المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم التربية

منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب

وأثره في بناء جوانب الشخصية

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب
وليد أحمد محمد صالح قرية الهمداني

إشراف
فضيلة الشيخ الدكتور
عيد بن حجيج الجهني (حفظه الله تعالى)

العام الجامعي
١٤٣١ - ١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

قال ﷺ: « أَلا وإنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ ».

صحيح البخاري، ح ٥٢، ١/٢٨.

قال الحسن البصري: "داو قلبك فإن حاجة الله إلى عباده، صلاح قلوبهم".

حلية الأولياء ٢ / ١٥٤.

" إن من الفوارق الجوهرية التي تميز التربية الإسلامية عن المناهج الأرضية، قيامها على أساس إصلاح القلوب وغرس الإيمان.. ، إذ القلب هو الأساس لكل ما يصدر عن الإنسان من سلوك ".

الدويش، محمد بن عبدالله، المدرس ومهارات التوجيه، ص١٠٣.

المحتويات

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب وأثره في بناء جوانب الشخصية.

منهج الدراسة : تقوم هذه الدراسة على منهج البحث الاستنباطي.

أهداف الدراسة: يهدف الباحث من خلال قيامه بهذه الدراسة إلى ما يلي :

١-بيان ما تميزت به التربية الإسلامية من بين سائر مناهج التربية الأخرى في اهتمامها بإصلاح القلب الذي هو العضو الرئيس في كيان الإنسان، ٢- إبراز أهمية القلب ومكانته، ومدى اهتمام التربية الإسلامية بإصلاحه، ٣- التعرف على منهج وطريقة التربية الإسلامية في إصلاح القلوب، ٤- التعرف على أهم العوامل لإصلاح القلوب، ٥- التعرف على أساليب ووسائل التربية الإسلامية في إصلاح القلوب، ٦- إيضاح الآثار التربوية لإصلاح القلوب على جوانب شخصية، والتي من شأنها أن ترتقي وتسمو بالإنسان في مدارج الكمال البشري .

تساؤلات الدراسة : تتضح معالم هذه الدراسة من الإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟ وما أثر ذلك في بناء جوانب الشخصية؟

ويتفرع عن السؤال الأسئلة التالية:

١-ما القلب وما مكانته وما أنواعه ؟، ٢- ما مفهوم إصلاح القلوب في التربية الإسلامية ؟

٣- ما أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟، ٤- ما عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟، ٥- ما أساليب ووسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟، ٦- ما دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟، ٧- ما آثار إصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية ؟

من أهم نتائج الدراسة :

- أن إصلاح القلب يقوم على إقامته بتصحيحه، وتسديده، وعلاج أمراضه وحمايته من الفساد.
- أن للقلب مكانة ، وأهمية كبيرة، يعول عليها في صلاح الأفراد، واستقامة أحوال المجتمعات.
- أثبتت الدراسة أن لصلاح القلب آثار حميدة وإيجابية، تعود على الشخصية الإنسانية، في كافة جوانبها: الإيمانية، والعقلية، والنفسية، والأخلاقية، والاجتماعية، والجسمية.

من أهم توصيات الدراسة :

- إقامة دروس علمية، ومحاضرات وعظية في المساجد بشكل دوري، تهتم بمجال إصلاح القلوب.
- توجيه النشاط المدرسي بحيث يؤدي إلي تنمية السلوكيات الطيبة، وأعمال القلوب الفاضلة.

شكر وتقدير

فإني أحمد الله وأشكره، على نعمه التي لا تحصى، وآلائه التي تترآ، حيث وفقني لسلوك طريق العلم، ويسر لي الالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتزود من علومها، كما أشكره سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الرسالة المتواضعة، التي أرجو أن تكون على الوجه الَّذِي يرضيه، وأن يكون هذا العمل خالصاً صواباً، نافعاً مباركاً، فلله الحمد والشكر أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

وأثني بالشكر على من أمرني ربي بشكرهما في كتابه العزيز، فقال ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ لقمان: ١٤، فأوجه شكري وامتناني وتقديري إلى والدي الكريمين، رعاهما الله، ويسر لهما سبل الخير، وطول العمر، مع حسن العمل، ويختم لهما بالسعادة في الدارين، ويسكنهما فسيح جناته.

وأتوجه بخالص الشكر والامتنان لحكومة خادم الحرمين الشريفين – حفظها الله – على ما تقدمه للإسلام والمسلمين من خدمات جليلة، وجهود متواصلة لنشر تعاليم الإسلام في أرجاء المعمورة، وعلى ما تقدمه من رعاية لهذه الجامعة المباركة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ التي تخرج منها الآلاف من الطلاب، انطلقوا في الأرض دعاة ومعلمين، مزودين بالعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للجامعة الإسلامية ممثلة بمديرها معالي الدكتور/ محمد بن علي العقلا، ومديرها السابق معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله العبود، حيث أتاحت لي فرصة الدراسة فيها، ومواصلة تعليمي العالي، وما تقدمه من عون لطلاب العلم، وتسهيلاً لشؤونهم، وحسن الرعاية والتشجيع لهم.

وأخص بالشكر قسم التربية برئاسة الشيخ الدكتور/ علي بن إبراهيم عبد الرحمن الزهراني، وأصحاب الفضيلة أعضاء مجلس القسم، على ما بذلوه من جهد في رعاية البحث وتوجيهه.

كما أتقدم بعميق الشكر، وجزيل الامتنان، والتقدير، لفضيلة شيخي ومشرفي الدكتور/ عيد بن حجيج الجهني (حفظه الله تعالى)، فله مني جزيل الشكر والتقدير، وأسأل الله العلي القدير أن يجزل له المثوبة، وأن يرفع منزلته في الدنيا والآخرة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر المناقشين الكريمين، فضيلةَ الأستاذَ الدكتور/ محمد بن يوسف عفيفي، وفضيلة الدكتور/ السيد محمد عبدالله خلف – حفظهم الله عزو جل – على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث المتواضع.

وأشكر أيضا جميع مشايخي وأساتذتي الذين استفدتُ منهم طيلة أيام الدراسة في الجامعة.

كما أشكرُ كل من قدّم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذه الرسالة من الأساتذة، والزملاء، بإبداء رأي أو نصيحة، أو إعارة كتاب، أو إرشاد إلى مرجع، أو غير ذلك، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأجزل مثوبتهم وسدّد خطاهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

المقدمة

- ❖ موضوع البحث.
- ❖ تساؤلات البحث.
- ❖ حدود البحث.
- ❖ أهداف البحث.
- ❖ أهمية البحث.
- ❖ مصطلحات البحث.
- ❖ الدراسات السابقة.
- ❖ خطة البحث.
- ❖ منهج البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علاّم الغيوب، غفّار الذنوب، الذي أنزل الوحيَ لإصلاح القلوب، وتنقيتها من العيوب، وتطهيرها من الذنوب التي هي جالبة الخطوب، ليرتقي بالإنسان إلى المستوى المطلوب، ويستقيم به السير في الدروب للوصول به إلى المقصد المرغوب، ورتب على صلاح القلب الفوز بالمحبوب، والنجاة من المرهوب، أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفِره، وأثني عليه الخيرَ كلَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعز مطلوب، وأشرف مرغوب، وأشهد أنّ نبيّنا وسيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلم، عبده ورسوله، وخيرتُه من خلقِه، اللهمّ صلّ وسلّم، وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبِه وسلم.

أما بعد:

فإن الإنسان هو محور العملية التربوية بقلبه، وعقله، وروحه، وجميع جوانب شخصيته، والتربية الإسلامية تمثل منهج ارتقاء لحياة المسلم في جميع شؤونه، وأموره، فـ " التربية الإسلامية واضحة المعالم محددة الغاية والأهداف معروفة الوسائل والأساليب، نجد ذلك في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن محور هذه التربية هو الإنسان بروحه وعقله وقلبه وبدنه"[(١)].

ومنهج التربية الإسلامية منهج متكامل، يأخذ بعين الاعتبار جميع جوانب شخصية الإنسان، فيجمع بين الجوانب المادية والروحية، ليعطي تكاملا، و توازنا في حياة المسلم، على أفضل الصور وأشملها، "وطريقة التربية في الإسلام هي معالجة الكائن البشري كله،

---

(١) الحجاجي، حسن بن علي بن حسن، الفكر التربوي عند ابن القيم، دار حافظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ، ص ٢٦.

معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض"[١].

وهي بذلك تخالف مناهج التربية الأخرى التي تأخذ بجانب دون الأخر، فهنالك من مناهج التربية من اهتمت بالجانب المادي في الإنسان فحسب، وأغفلت الجانب الروحي، فنشأ الفرد منعم البدن خاوي الروح، يعيش بين قلق واضطراب وحيرة وشك، يجرى وراء السعادة ولكنه يجري وراء السراب، وأتت بعض المناهج الأخرى بجملة من الطقوس التي تزعم أنها تكسب الفرد حياة روحية، وصفاء للنفس، وابتهاج للقلب، وأغفلت جانب الجسد، فكان عاقبة ذلك أن وجد الإنسان نفسه عليلاً .

وأما التربية الإسلامية فقد تميزت بعدة من الخصائص، والميزات، التي جعلت منها منهجاً تربويًا، ربانياً، متكاملاً، متوازناً، واقعياً، وشاملاً لكل جوانب الحياة، وهي بذلك تعطي المنهج الرائد للسمو بالإنسان إلى أفضل مستوى وأرقى مكانة، وهي عندما تسمو بالإنسان وترتقي به في مدارج الكمال، تعطي اهتماماً وتركيزاً بالغاً على مركز التغيير الأساس في الإنسان، الذي بصلاحه يصلح الإنسان، وبفساده يؤثر سلباً على صلاح الإنسان، قال النبي ﷺ « ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »[٢].

فلذلك فإن الاهتمام بإصلاح القلب وتطهيره، وفق المنهج الإسلامي يعتبر من أولويات التربية الإسلامية "والاهتمام بالقلب شرط رئيس من شروط التربية، اهتمام شامل لمرضه، وصحته، ورقته وثباته، وصلابته، وكل ما من شأنه قوة هذا القلب"[٣].

---

[١] قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص ١٨.

[٢] صحيح البخاري، ح٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، تحقيق: مصطفى ديب البغا،١/٢٨.

[٣] البلالي، عبد الحميد، منهج التابعين في تربية النفوس، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ، ص ٧٨.

فالله ﷻ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لإصلاح حياة الإنسان، وفق المنهج الرباني ،ومن ذلك إصلاح قلب الإنسان وحياة روحه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤.

وكما أن صلاح القلب طريق لصلاح الفرد، والرقي به إلى مدارج الكمال، فإنه كذلك طريق لصلاح المجتمعات، والأمم؛ لأن التغيير إلى الأفضل لابد أن يبدأ من الداخل، بإصلاح الأفراد قبل إصلاح الجماعات، وركيزة التغيير في حياة الأفراد و المجتمعات تبدأ بإصلاح النفس أولاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ الرعد: ١١، وتغيير النفس يبدأ بإصلاح القلب، فبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد.

والإصلاح الشامل لحياة الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالانطلاق بإصلاح القلوب، وتزكية النفوس، من خلال منهج إسلامي أصيل، ينطلق من نبع الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة، فذلك هو المنهج الشرعي في التغيير، حيث العودة الصحيحة إلى منهج الكتاب والسنة، والسير على خطاه في جميع جوانب ومجالات الحياة، ليكون منهجا علمياً، وعملياً راسخاً، يسير عليه الفرد والمجتمع في إصلاح قلبه، ليكون ذلك نواة التغيير والإصلاح التربوي للفرد والأسرة والمجتمع، حتى يعم سائر الأمة الإسلامية، للوصول إلى المستوى المطلوب والرقي المنشود.

ولذلك فموضوع هذه الدراسة سيكون بعنوان:

منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب

و أثره في بناء جوانب الشخصية

١- موضوع البحث وتساؤلاته:

يتناول البحث منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ، وأثره في بناء جوانب الشخصية، وتتضح معالم هذه الدراسة من الإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟ وما أثر ذلك في بناء جوانب الشخصية؟

ويتفرع عن السؤال الأسئلة التالية:

٣- ما القلب وما مكانته وما أنواعه ؟

٤- ما مفهوم إصلاح القلوب في التربية الإسلامية ؟

٥- ما أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

٦- ما عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

٧- ما أساليب ووسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

٨- ما دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟

٩- ما آثار إصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية ؟

٢- حدود البحث:

الحدود الموضوعية للبحث تتمثل في الأطر التالية:

١. حصر البحث في موضوع إصلاح القلوب، دون التعرض إلى مواضع أخرى لها تعلق بتربية الإنسان أو غير ذلك من قضايا التربية الإسلامية.

٢. الاقتصار على منهج وطريقة التربية الإسلامية في إصلاح القلوب دون التطرق إلى المناهج التربوية الأخرى.

٣- أهداف البحث: يهدف الباحث من خلال قيامه بهذه الدراسة إلى ما يلي:

١. بيان ما تميزت به التربية الإسلامية من بين سائر مناهج التربية الأخرى في اهتمامها بإصلاح القلب الذي هو العضو الرئيس في كيان الإنسان.

٢. إبراز أهمية القلب ومكانته ومدى اهتمام التربية الإسلامية بإصلاحه.

٣. التعرف على منهج وطريقة التربية الإسلامية في إصلاح القلوب.

٤. التعرف على أهم العوامل لإصلاح القلوب.

٥. التعرف على أساليب ووسائل التربية الإسلامية في إصلاح القلوب.

٦. إيضاح الآثار التربوية لإصلاح القلوب على جوانب الشخصية، والتي من شأنها أن ترتقي وتسمو بالإنسان في مدارج الكمال البشري .

٤- أهمية البحث: تتضح أهمية الدراسة من خلال الآتي:

١. أهمية القلب ومكانته في التربية الإسلامية، حيث تضافرت نصوص الكتاب والسنة في ذكر متعلقات مرضه وصلاحه، مما يبين المنزلة السامية له في الإسلام.

٢. أهمية إصلاح القلب، إذ بصلاحه تصلح سائر جوانب جسد الفرد، وروحه، وأموره، وأحواله، وبصلاحه يصلح حال المجتمع والأمة.

٣. أن طريق التغيير لإصلاح الفرد والمجتمع لا يكون إلا بالبدء بالتغيير من الداخل، بإصلاح القلب والنفس أولاً.

٤. الحاجة إلى معرفة كيفية إصلاح القلوب في التربية الإسلامية ، كي ينطلق من خلاله الفرد في إصلاح قلبه، وتزكية نفسه.

٥. أهمية وجود أبحاث تربوية تجمع بين الأصالة في منهجها والمعاصرة في أساليبها وتطبيقاتها، حيث تنطلق من نبع الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة في التأصيل، وتراعي مستجدات العصر وظروفه في التطبيق.

٥- مصطلحات البحث:

أ- المنهج:

المنهج لغة: من" نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ، ومَنْهَجٌ كَنَهْجٍ، ومَنْهَجُ الطريقِ وضَحُه، والمِنهاجُ كالمَنْهَجِ وفي التنزيل﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨ "[١].

و"المنهاج، فإنّ أصله: الطريقُ البيِّن الواضح، يقال منه: هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ، بيِّنٌ..، ثم يستعمل في كل شيء كان بينًا واضحًا سهلا"[٢].

ب-التربية الإسلامية :

التربية لغة: تدور حول الإصلاح والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينميه[٣].

التربية اصطلاحا: "تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والاخلاقية والارادية والابداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الاسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية"[٤].

ج-الإصلاح :

الإصلاح في اللغة: ضدّ الفساد وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه[٥]، و (أَصْلَحَ) أتى (بِالصَّلاحِ) وهو الخير و الصواب في الأمر[٦]، (أصلح) في عمله أو أمره أتى بما هو صالح نافع و أصلح الشيء أزال فساده[٧]، والصلاح التغير إلى استقامة الحال[٨].

---

[١] ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٠،١م، ١٧١/٤.

[٢] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٦/ ٢٦٩.

[٣] الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض،ط١، ١٤٢٠، ص١٨-١٩.

[٤] يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، دار الريحاني، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ص٢٦.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مادة" صلح" ، ٥١٧/٢.

[٦] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، مادة" صلح" ١ / ٣٤٥.

[٧] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "صلح"، ص ٥٢٠.

[٨] العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ، ص٢١٠.

الإصلاح في الاصطلاح: تتنوع وتتعدد، باختلاف المجال أو الشيء الذي يراد إصلاحه، ومن أجمع التعريفات، لمفهوم الإصلاح أن "الإصلاح: يعني جعل الشيء أو الأمر صالحاً، أي أنه عملية تغيير من وضع إلى وضع أفضل. ربما يكون الوضع السابق صالحاً فينتقل إلى الأصلح، وربما يكون فاسداً فينتقل إلى الصالح"(١).

د- **القلوب:** جمع قلب ويطلق في اللغة ويراد به أمران: " أحدهما: يدلّ على خالِص شَيءٍ وشَرِيفِه، والآخَرُ: على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة"(٢).

وفي الاصطلاح يطلق على معنيين :

أحدهما: أمر حسي وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم أسود وهو منبع الروح.

والثاني: أمر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية"(٣) .

وإصلاح القلب: هو إقامته بتصحيحه، وتسديده، وعلاج أمراضه، وحمايته من الفساد.

هـ - الشخصية:

الشخصية لغة: هي اشتقاق من كلمة الشخوص بمعنى الظهور، والشخص هو كل جسم له ارتفاع، " (شخص) الشين والخاء والصاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء، من ذلك الشّخص، وهو سوادُ الإنسان إذا سما لكَ مِن بُعد"(٤).

ومن أقرب التعاريف ما عرفت به الشخصية الإسلامية بأنها: " مجموعة الصفات الاعتقادية، والروحية، والأخلاقية والاجتماعية، والإرادية، والصحية، والعقلية، والعلمية، والإبداعية، والجهادية، والسياسية والاقتصادية، وذلك حسب تصور الإسلام لهذه الجوانب"(٥).

(١) آل الشيخ، عبد المحسن بن عبد الرحمن، نظرات في الإصلاح، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٩هـ، ص ١٣.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط٢،١٤٢٠هـ، مادة: "قلب"، ١٧/٥.

(٣) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت،٢٦٣/١.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "شخص" ، ٣ / ١٩٧.

(٥) يالجن، مقداد، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص٢٦.

٦- الدارسات السابقة:

من خلال جهد الباحث في التقصي والبحث حول ما يختص بالموضوع، وجد الباحث أنه لم يتم التطرق إلى موضوع البحث من خلال دراسة تربوية علمية ، وإنما هنالك بعض الدراسات التي كان لها بعض صلة بالموضوع من بعض النواحي منها:

١. رسالة بعنوان: (حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها)[١].

وجاءت الرسالة في تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة:

- الباب الأول: حديث القرآن عن القلب السليم .
- الباب الثاني: حديث القرآن عن القلب المريض.
- الباب الثالث: حديث القرآن عن القلب الميت.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أهمية القلوب وأنها التي تنجي عند علام الغيوب، ولذلك فإعطائها وقتاً كبيراً من البحث والنظر فيما يصلحها ويقيم حالها أمر مهم جداً لترتب السعادة والشقاوة الأبدية.
- أن لسلامة القلب أسباباً لابد من القيام بها في تحقيق ذلك للقلب وتنبع السلامة من هذه الأوصاف وجوداً وعدماً، وقوة وضعفاً.

٢. رسالة بعنوان: (أعمال القلوب وأثرها في الإيمان)[٢].

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أن الأعمال القلبية هي أهم أنواع الأعمال، وأن إصلاح القلوب وزكاتها وحياتها تنال بالأعمال المتعلقة بها بالدرجة الأولى.

---

[١] الجهني، عادل بن سعد، رسالة علمية غير منشورة تقدم بها الباحث لنيل درجة العالمية الماجستير، في قسم التفسير كلية القرآن الكريم، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

[٢] دوكوري، محمد، رسالة علمية غير منشورة تقدم بها الباحث لنيل الشهادة العالية العالمية الدكتوراه في قسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- أن السلوك الصحيح هو ما كان مبنياً على الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام؛ التي تضمنها كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه صلى الله علية وسلم.

وأوصى الباحث:

إلى مواصلة التنقيب عن تراث السلف الصالح في هذا المجال، والاهتمام بدراسته حتى يسهموا في إخراج المجتمع الإسلامي من محنته.

٣. دراسة بعنوان: (مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم جمع ودراسة)[١] وقد اشتمل البحث على مقدمة، وترجمة موجزة لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

- الفصل الأول : أقسام القلوب.
- الفصل الثاني : حياة القلوب .
- الفصل الثالث: أمراض القلوب.
- الفصل الرابع : آثار الذنوب والمعاصي على القلوب.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أن القلب مَلِك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهي المنفذة لما يأمرها به، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها.
- أهمية القلب ، وأنه إذا صلح، صلح الجسد كله .. وأن صلاح هذا القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الأصلين الكتاب والسنة .
- أن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب ، وأن القلب الصحيح الحيّ إذا عُرِضَت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ، ولم يَلْتفِتْ إليها.

---

[١] الصقري، سعود بن حمد، مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم جمع ودراسة، مجلة جامعة أم القرى، العدد١٤، ١٤٢١هـ، ص ٢٢٧- ٣٤١.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من خلال ما يلي:

- أن دراسة (حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها) سلك فيها الباحث طريقة التفسير الموضوعي، حيث قام بجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن القلوب، وجمع كلام علماء التفسير فيها، بخلاف الدراسة الحالية فهي دراسة تربوية تستعرض الموضوع من خلال كثير من القضايا والجوانب التربوية.
- أن دراسة (أعمال القلوب وأثرها في الإيمان) تناولت بشكل أساسي أعمال القلوب كـ (الإخلاص- المراقبة- المحبة- الرجاء- الخوف .. وغيرها من أعمال القلوب الأخرى) وأثر تلك الأعمال القلبية في الإيمان، بينما الدراسة الحالية تبحث عن منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب وأثر ذلك على جوانب شخصية الإنسان.
- أن دراسة (مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم جمع ودراسة)، اقتصرت على جمع ودراسة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في ما يتعلق بموضوع مرض القلوب وشفاؤها، بينما الدراسة الحالية تبحث في منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب بشكل عام.
- أن الدراسة الحالية تجمع بين التأصيل المنهجي لموضوع إصلاح القلوب من منظور التربية الإسلامية، وأثر ذلك على جوانب شخصية الإنسان.
- أن الدراسة الحالية دراسة تربوية تستعرض الموضوع من خلال كثير من القضايا والجوانب والتطبيقات التربوية.

٧- خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة، وتشمل ما يأتي:

- موضوع البحث.
- تساؤلات البحث.
- حدود البحث.
- أهداف البحث.
- أهمية البحث.
- مصطلحات البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

التمهيد:

مفهوم إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف القلب وبيان مفهوم إصلاحه.
- المبحث الثاني: مكانة القلب وأهميته.
- المبحث الثالث: أقسام القلوب.

الفصل الأول:

أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: **تنمية أعمال القلوب، وفيه تمهيد ومطلبان**:
  - تمهيد: مفهوم تنمية أعمال القلوب.
  - المطلب الأول: تعريف أعمال القلب و أهميتها.
  - المطلب الثاني : أنواع أعمال القلب وأحكامها.
- المبحث الثاني: **وقاية القلوب، وفيه ثلاثة مطالب**:
  - المطلب الأول: وقاية القلب من الشبهات.
  - المطلب الثاني: وقاية القلب من الشهوات .
  - المطلب الثالث: وقاية القلب من الجهل والإعراض.
- المبحث الثالث: **علاج أمراض القلوب، وفيه مطلبان**:
  - المطلب الأول: تعريف أمراض القلب و خطورتها.
  - المطلب الثاني: أنواع أمراض القلب وعلاجها.

الفصل الثاني:

عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الإيمان .
- المبحث الثاني: العلم النافع.
- المبحث الثالث: العمل الصالح.

الفصل الثالث:

وسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: الدروس العلمية.
- المبحث الثاني: المحاضرات الوعظية.
- المبحث الثالث: الخطب المنبرية.
- المبحث الرابع :الكتب العلمية .
- المبحث الخامس: البرامج الحاسوبية وشبكة الإنترنت.
- المبحث السادس: الإذاعات، والفضائيات.
- المبحث السابع: الصحف، والمجلات.
- المبحث الثامن : الرحلات الإيمانية.

الفصل الرابع:

أساليب إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه اثنا عشر مبحث:

- المبحث الأول: تلاوة القران الكريم وتدبر آياته.
- المبحث الثاني: التفكر في مخلوقات الله ﷻ.
- المبحث الثالث: الذكر، والدعاء.
- المبحث الرابع: التوبة، والاستغفار.
- المبحث الخامس: التأسي بالنبي ﷺ.
- المبحث السادس: الاقتداء بالسلف الصالح.

- المبحث السابع: مجالسة الصالحين.
- المبحث الثامن: تذكر الموت، والدار الآخرة.
- المبحث التاسع: المجاهدة، والممارسة العملية.
- المبحث العاشر: العبرة من الأحداث.
- المبحث الحادي عشر: زيارة المرضى، والقبور.
- المبحث الثاني عشر: تفقد الأيتام، والمساكين، والأرامل.

الفصل الخامس:

دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: دور الأسرة في إصلاح القلب.
- المبحث الثاني: دور المسجد في إصلاح القلب.
- المبحث الثالث: دور المدرسة في إصلاح القلب.
- المبحث الرابع: دور المجتمع في إصلاح القلب.

الفصل السادس:

الآثار التربوية لإصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية

وفيه تمهيد وستة مباحث:

- **تمهيد:** تعريف الشخصية وجوانبها.
- المبحث الأول: أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الإيماني.
- المبحث الثاني: أثر إصلاح القلب في بناء الجانب العقلي.
- المبحث الثالث: أثر إصلاح القلب في بناء الجانب النفسي.

- المبحث الرابع : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الأخلاقي.
- المبحث الخامس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الاجتماعي.
- المبحث السادس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الجسمي.

الخاتمة:

نتائج الدراسة.

التوصيات والمقترحات.

الفهارس:

- ❖ فهرس الآيات.
- ❖ فهرس الأحاديث.
- ❖ فهرس الآثار.
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.
- ❖ فهرس الموضوعات.

٨- منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على منهج البحث الاستنباطي.

"والمنهج الاستنباطي : هو الطريق التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ مدعمة بالأدلة الواضحة"[١]

---

(١) عبد القادر، موفق بن عبد الله، منهج البحث العلمي وكتابة الرسائل العلمية، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٨هـ.

ويتم تطبيق المنهج من خلال الخطوات التالية:

١. الرجوع إلى القران الكريم لجمع الآيات التي تحدثت عن القلوب، واستنباط دلالتها التربوية، من خلال الرجوع إلى ما أمكن من كتب التفسير المعتمدة .

٢. جمع الأحاديث التي تحدثت عن القلوب، واستنباط دلالتها التربوية، من خلال الرجوع إلى ما أمكن من كتب السنة النبوية، وشروحها.

٣. الاطلاع على ما أمكن من كتب علماء المسلمين المتقدمين في موضوع القلوب وإصلاحها، والاستفادة التربوية من ذلك.

٤. الاستفادة ما أمكن مما كتبه المعاصرون في موضوع القلوب وإصلاحها في التربية الإسلامية.

ومنهج البحث يتضمن الآتي:

١. عزو الآيات القرآنية بذكر سورها وأرقامها، مع كتابتها بالرسم العثماني .

٢. عزو الأحاديث النبوية إلى مواضعها في كتب السنة، فما كان منها في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه، وما كان في غيرهما عزوته إلى من خرجه، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

٣. التعريف بالإعلام، والأماكن، والمصطلحات، وما يحتاج إلى تعريف.

٤. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٥. عمل الفهارس الفنية اللازمة كما هو موضح في الخطة.

تمهيد

مفهوم إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف القلب وبيان مفهوم إصلاحه.
- المبحث الثاني: مكانة القلب وأهميته.
- المبحث الثالث: أقسام القلوب.

المبحث الأول: تعريف القلب وبيان مفهوم إصلاحه:

المطلب الأول: تعريف القلب:

أولاً: القلب في اللغة: يطلق القلب في اللغة ويراد به أمران:

١- خالص الشيء وشريفه، ومنه قلب النخلة، الذي هو لُبُّها وشَحْمَتُها، وهو الجُمَّارُ، "وقلب كل شيءٍ لُبُّه، وخالصه، ومَحْضُه، تقول جئتك بهذا الأمر قلباً، أَي مَحضا لا يَشُوبُه شيء"[١].

٢- التحويل، و رد شيءٍ من جهةٍ إلى جهة أخرى، يقال قلب الشيء إذا حوله عن وجهه، أو صرفه إلى مكان آخر، ومنه قول "عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﵁، أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ، فِي اعْتِكَافِهِ، فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا"[٢].

قال ابن فارس[٣]: في مادة (ق ل ب) "القاف واللام والباء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلّ على خالِص شَيءٍ وشَرِيفِه، والآخَرُ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة"[٤].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قلب" ٦٨٨/١.

[٢] صحيح البخاري، ح١٩٣٠، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، ١٧٥/٢.

[٣] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته، من تصانيفه (مقاييس اللغة) و(جامع التأويل) في التفسير، وغيرها، وله شعر حسن توفي سنة ٣٩٥هـ، الأعلام للزركلي (١٩٣/١).

[٤] ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط٢،١٤٢٠هـ، مادة: "قلب"، ١٧/٥.

وسمي قلب الإنسان قلباً، لأنه يحوي كلا المعنيين:

١- فهو أخلص شيء فيه وأرفعه، قال ﷺ: "أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ"[١].

٢- وهو سريع التقلب، والتحول، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الأنعام: ١١٠، وقال ﷺ: " إنما سمى القلب من تقلبه إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهر لبطن"[٢]، وقال ﷺ: "لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيًا"[٣].

وأنشد بعضهم: ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبه ... والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإِنْسان أَطْوارا [٤].

وقيل: سمي بذلك لأنه وضع في موضعه من الجوف مقلوبا[٥]، قاعدته أعلى ورأسه أسفل.

وعلماء اللغة يطلقون القلب ويريدون به المضغة التي في جوف الإنسان، قال ابن منظور[٦]: " والقَلْبُ مُضْغةٌ من الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ "[٧]، و يعبرون به عن " الفُؤادُ أو أخَصُّ منه"[٨]، " وقد يعبر به عن العقل "[٩]، وجمعه قُلُوبٌ.

---

[١] صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٨/١.

[٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١٩٦٧٧، مؤسسة قرطبة، مصر، ٤٨٠/٤، قال الألباني :صحيح، صحيح الجامع، ح ٢٣٦٥ .

[٣] المعجم الكبير للطبراني، ح٥٩٩، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤ هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٢٥٣/٢٠، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ح١٧٧٢.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قلب"، ٦٨٧/١.

[٥] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح، دار المعرفة، بيروت، ٥٦٨/١٠.

[٦] ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري، الرويفعي، الافريقي، صاحب لسان العرب، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، وولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، ، توفي سنة٧١١ هـ، الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٨).

[٧] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قلب"،٦٨٧/١.

[٨] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة: "قلب"، ١٦٣/١.

[٩] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، مادة: " قلب"، ٢٢٨/١.

ثانياً: القلب في الاصطلاح:

وعند القيام بتعريف القلب في الاصطلاح، يُلاحظ وجود اتجاهين في ذلك، اتجاه يقوم بتعريف القلب بالنظر إلى الجانب الحسي والمعنوي منه، وأنه شيء متكامل يجمع ذلك كله، وهذا ما سار علية كثير من علماء المسلمين، واتجاه يقوم بتعريف القلب بالنظر إلى أنه عضو عضلي في الجسم، له وظيفة معينه، ولا يتطرقون إلى ذكر الأمور المعنوية المتعلقة به، وهذا موجود في كثير من الموسوعات المعاصرة سواءً العلمي منها أو الطبي، والتي تركز في تعريفها للقلب على الجانب الحسي دون المعنوي، والمنهج الذي سلكه المتقدمون من علماء الإسلام، في تعريف القلب، هو المنهج الأولى، إذْ أنه منهج شامل، يراعي تكوين الإنسان، الذي خلقه الله ﷻ مكوناً من الجسد والروح، وأما الاقتصار على تعريف القلب، بالعضو العضلي وحسب ففيه تأثر بالمذهب المادي الذي يهتم بالجسد، ويغفل جانب الروح.

فنجد مثلا من تعريفات علماء المسلمين المتقدمين:

قول الإمام الغزالي[(١)] رحمه الله: "القلب وهو يطلق لمعنيين، أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني"[(٢)].

---

(١) الغزالي، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، درس في النظامية ببغداد، وأخذ في التأليف، له نحو مائتي مصنف، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، تصوف، وأخذ في آراء الفلاسفة، ألف كتاب الإحياء، وله رسالة أيها الولد، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، توفي سنة٥٠٥هـ، قال الذهبي: "فرحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ. سير أعلام النبلاء ، (١٩ / ٣٢٢)، الأعلام للزركلي (٧ / ٢٢).

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٣ / ٣.

قال ابن القيم[١] رحمه الله: "ويطلق القلب على معنيين: أحدهما: أمر حسي، وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه تجويف، وفي التجويف دم أسود، وهو منبع الروح، والثاني: أمر معنوي، وهو لطيفة ربانية، رحمانية، روحانية، لها بهذا العضو تعلق واختصاص، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية"[٢].

قال الجرجاني[٣] رحمه الله، في التعريفات: القلب لطيفة ربانية، لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب[٤].

بينما نجد الموسوعات المعاصرة في تعريفها للقلب تذكر بأن القلب مجرد " عضو عضلي أجوف في الصدر يستقبل الدم من الأوردة، ويدفعه في الشرايين[٥].

وتعريف القلب، بأنه لطيفة ربانية، لها تعلق بالقلب الحسي هو الأولى، إذْ أنه منهج شامل، يراعي تكوين الإنسان، الذي خلقه الله عز وجل مكوناً من الجسد والروح.

---

[١] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، واشتغل في أنواع العلوم وأفتى ودرس وناظر، درس بالصدرية والتدمرية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، وألف تصانيف كثيرة منها، تحفة المودود بأحكام المولود، ومدارج السالكين، توفي سنة، ٧٥١هـ ، مولده ووفاته في دمشق، الأعلام للزركلي (٦ / ٥٦)، شذرات الذهب لابن العماد (٦ / ٢٠٧).

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، دمشق، ١ / ٢٦٣.

[٣] السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجانى، من كبار علماء العربية، ولد في تاكو ودرس في شيراز، وأقام بها إلى أن توفى وله نحو خمسين مصنفا منها (التعريفات)، وشرح المواقف، وشرح السراجية، توفي سنة ٨١٦ هـ، موسوعة الأعلام (١ / ١٠٢).

[٤] الجرجانى، على بن محمد بن على، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١، ١ / ٢٢٩.

[٥] موسى، خليل توفيق، الإرشاد معجم معاصر، دار الإرشاد، حمص- سوريا،٢٠٠١م، ص ٤٨٣.

المطلب الثاني: الألفاظ المرادفة للقلب والمتعلقة به:

للقلب في اللغة العربية عدة مرادفات، تطلق ويراد بها القلب، ومن هذه الألفاظ المرادفة للقلب الفؤاد، والجنان، والرُوع، والخَلَد، والبال، ويطلق عليه الكرم، كما يعبر عنه أيضاً بالصدر، الذي هو محل له، وكذلك وردت جمله من المسميات التي لها علاقة بالقلب، وتتصل به، كالشَغَاف، والخَلب، والمهجة، والنياط، والوتين والأبْهَر.

أولاً: الألفاظ المرادفة للقلب:

١. **الفؤاد:** يُستعمل الفؤاد في اللغة ويُراد به القلب، فقد ورد في القرآن الكريم ما يقارب من خمسة عشر آية، جاء فيها لفظ الفؤاد مرادفاً للفظ القلب، واستعمل بمعناه، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشْكُرُونَ ٧٨ ﴾ المؤمنون: ٧٨، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل: ٧٨.

الفرق بين القلب والفؤاد:

يطلق الفؤاد عند أهل اللغة ويراد به القلب، ومن أهل اللغة من فرق بين القلب والفؤاد فقال بعضهم: أنه عين القلب، وقال بعضهم: أنه غشاء القلب، (لأن الفؤاد إذ رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله)[(١)].

ويدل على ذلك حديث أبي هُريرة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا»[(٢)]، (فوصف القلوب بالرِّقة، والأفئدة باللين، وكأن القلب أَخَصُّ من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا أصبتُ حَبَّةَ قلبه وسُوَيْداءَ قلبه)[(٣)]، وعليه يكون الفؤاد غِشاء القلب، والقلب حبته وسُوَيْداؤه، وإن كان عند إطلاق الفؤاد في النصوص، والألفاظ، يقصد به القلب كله.

---

(١) العسقلاني، فتح الباري، ٨/١٠٠.

(٢) صحيح البخاري، ح ٤١٢٧، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ٤ / ١٥٩٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قلب"، ١/٦٨٧.

٢. **الجَنان:** من كل شيء جوفه، ويطلق على القلب، وفي المثل (إذا فرح الجنان بكت العينان)(١)، وجَنَّ الشيء يجُنُّه جناً سَتَره، وكل شيء سُتر عنك، فقد جُنَّ عنك، وسمي القلبُ جَناناً لأَن الصدر أَجَنَّه(٢)، أي ستره وغطاه وأخفاه باحتوائه إياه.

٣. **الرُّوع:** بالضم من مرادفات القلب، حيث يطلق ويراد به القلب، ومنه قولهم وقع ذلك في روعي أي نفسي وخلدي وبالي(٣)، والرَوع بالفتح الفزع، والرُوع بالضم القلب الذي هو محل ذلك الفزع، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: « إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب »(٤)، وفي حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَال: قال رسول اللَّهِ: ﷺ يَوْمًا لأَصْحَابِهِ « أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ »، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وأُلقى في نفسي أو روعي أنها النخلة(٥).

٤. **الخَلَد:** يطلق ويراد به القلب وجمعه أَخلاد؛ يقال: (وقع ذلك في خَلَدي أَي في رُوعي وقلبي)(٦)، وقيل:(الخَلَد: البال، وسمِّي بذلك لأنّه مستقرٌّ في القلب ثابتٌ)(٧).

ومنه قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخطب يوم الجمعة على المنبر، فعرض له في خطبته أن قال: " يا سارية بن حصن الجبل الجبل "، فلما فرغ من صلاته سئل فقال: إنه وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا، وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه

(١) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ،ط٤، مادة: "جن"، ص١٤١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قلب"، ١٣ /٩٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ، مادة: "روع"، ١٣٧/٨.

(٤) مستدرك الحاكم، ح ٢١٣٦، كتاب البيوع، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١هـ، ط١، ٢/٥، قال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، ح١٧٠٠.

(٥) صحيح مسلم، ح ٢٨١١ ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، صفة القيامة والجنة والنار، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ٤ / ٢١٦٥.

(٦) ابن منظور، لسان العرب ، مادة: "خلد"، ٣ / ١٦٥

(٧) ابن فارس، لسان العرب، مادة: "خلد" ، ٢ / ٢٠٨.

قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا، فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر أنه سمع صوت عمر رضي الله عنه، قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا[١].

٥. البال: يطلق على القلب، وما يخطر للمرء من التفكير ومنه قولهم : لا يبالي، ولم يلقِ له بالاً، أي لم يخطر بباله، ولم يجعل قلبه نحوه، "وخطر (بِبَالِي) أي بقلبي"[٢]، ويطلق البال أيضاً على الحال والشأن، والأمر، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد: ٢،(عن ابن عباس رضي الله عنه﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ قال: أمرهم، وعن مجاهد﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ قال: شأنهم، عن قتادة ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ قال: أصلح حالهم)[٣].

وحمل بعض المفسرين قوله تعالى ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ على إصلاح القلب، (بالهم: يعني قلوبهم لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد)[٤]، "وحقيقة لفظ البال أنها بمعنى الفكر، والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك، فقد صلحت حاله، فكأن اللفظ مشير إلى صلاح عقيدتهم، وغير ذلك من الحال تابع"[٥].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم)[٦]، "بالكم أي شأنكم، وقيل: البال الحال، وقيل: القلب".[٧]

---

[١] ابن الأثير، المبارك بن محمد، أسد الغابة ،١ / ٨٢٣.

[٢] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، لمصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، مادة: " بال"، ١ / ٦٦.

[٣] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥، ٢٦/ ٣٩.

[٤] الخازن، أبو الحسن علي بن محمد الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل،٥ / ٤١٧.

[٥] أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢ هـ، ط١، ٧٤/٨.

[٦] صحيح البخاري، ح ٥٨٧٠، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، ٥ / ٢٢٩٨.

[٧] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٢٨/٢٢.

« يصلح بالكم » "البال: القلب، يقول: فلان ما يخطر ببالي أي قلبي، والبال: رخاء العيش، يقال: فلان رخي البال أي واسع العيش، والبال: الحال، يقول: ما بالك أي حالك، والبال في الحديث يحتمل المعاني الثلاثة، والأولى إن الحمل على المعنى الثالث أنسب، لعمومه المعنيين الأولين أيضاً، كذا في المفاتيح، والأول أولى فإنه إذا صلح القلب صلح الحال هذا"[(١)]

٦. **الْكَرْمُ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ »[(٢)]، وفي رواية « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ الْكَرْمُ. فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ »[(٣)].

الْكَرْمُ شجرة العنب، "وفي تشبيه الْكَرْم بِقلب المؤمن مَعْنى لطيف؛ لأن أوصاف الشيطان تجري مع الْكَرْمَة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة ، كما أن من غفل عن عصير كَرْمه تَخَمَّرَ فَتَنَجَّس، وَيُقَوِّي التَّشَبُّه أيضا أن الخمر يعود خَلاً من ساعته بنفسه أو بِالتَّخْليل فيعود طاهرا، كذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسًا بِاتِّصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كَالتَّخْلِيل، أو بباعث من نفسه وهو كَالتَّخَلُّلِ، فينبغي للعاقل أن يَتَعَرَّض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة"[(٤)].

---

(١) القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح ،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢هـ،ط١، ٨ /٥٣٣.
(٢) صحيح البخاري، ح ٥٨٢٩، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ إنما الكرم قلب المؤمن، ٢٢٨٧/٥.
(٣) صحيح مسلم، ح ٢٢٤٧،كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة تسمية العنب كرما، ١٧٦٣/٣.
(٤) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٥٦٨/١٠.

٧. الصدر:

يطلق الصدر ويراد به القلب، في كثير من النصوص الشرعية، في الكتاب والسنة، وكذلك في استعمال اللغة، وإن كان الصدر ليس حقيقة هو القلب، وإنما "أستعمل الصدر مكان لفظ القلب من باب الاستعارة المحلية، إذ أن الصدر هو محل القلب"[(١)].

فـ"القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ الفرقان:٣٢، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ الشرح: ١، يعني في الموضعين قلبك"[(٢)].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يقارب من إحدى وأربعين آية للصدر، وفي أكثرها أستعمل لفظ الصدر، وله صلة وثيقة بالقلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الأنعام: ١٢٥، وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله ﷺ: حين نزلت هذه الآية ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ قال: إذا دخل النور القلب أنفسح وانشرح[(٣)] .

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به"[(٤)].

---

(١) الجوزو، محمد علي، مفهوم العقل والقلب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠،ص ٢٤٣.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ١/١٨٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٨ / ٢٧، وقواه ابن كثير لتعدد طرقه، قال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة، يشد بعضها بعضاً، والله أعلم. ٢ / ١٧٦.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ ، ٢/١٧٥.

ثانياً: الألفاظ المتعلقة بالقلب:

هنالك جمله من الألفاظ التي تطلق في اللغة، وتستخدم، ولها صلة وثيقة بالقلب، ولذلك يحسن إيرادها، والتعرف على معانيها ومقصودها:

١. **الشَغَاف:** حجاب القلب، وغلافه الذي هو فيه، وهي جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب لباساً له، وقيل: أنه باطن القلب، وهو المصطلح المستعمل طبياً في الوقت الحالي، حيث يسمونه الشغاف أو بطانة القلب، ويقصدون (الغشاء الذي يغلف تجاويف القلب من الداخل ويكوّن صماماته).

تقول العرب: شَغَفَه الحُبُّ يَشْغَفُه شَغْفاً وشَغَفاً وصَل إلى شَغافِ قلبه، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ يوسف: ٣٠، "أي وصل حبُّ يوسف إلى شَغَاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها"[(١)]، وفي الحديث أن رجلاً من بني الهجيم، قال لابن عباس ما هذا الفتيا التي قد تشغفت أو تشغبت بالناس أن من طاف بالبيت فقد حل ؟ فقال سنة نبيكم ﷺ وإن رغمتم)[(٢)]، وقوله: (تشَغَّفتِ الناسَ) فَمَعْنَاهَا عَلِقَتْ بِالْقُلُوبِ وَشَغَفُوا بِهَا[(٣)]، وقيل: أي وسْوَسَتْهُم وفَرَّقَتهم كأنها دَخلَت شَغاَف قُلوبهم[(٤)].

٢. **الخِلْب:** هو الحجاب الذي بين القلب وسواد البطن، وبين القلب والكبد، وهو ما يعرف الآن بالحجاب الحاجز، قال ابن منظور: "والخِلْب بالكسر حجاب القلب وقيل: هو حجاب ما بين القلب والكبد، حكاه ابن الأعرابي، وقيل: الخِلْب حجاب بين القلب وسواد البطن "[(٥)].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ١٢/١٩٨.

(٢) صحيح مسلم، ح١٢٤٤،كتاب الحج، باب تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام، ٢ / ٩١٢.

(٣) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ٨ / ٢٢٩.

(٤) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، ٢ / ٤٨٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "خلب"، ١/ ٣٦٤.

٣. **المُهْجَة:** خالص دم الإنسان الذي إذا خرج خرجت روحه، والعرب تقول: سالت مهجهم على رماحنا، وقيل: المهْجَة دم القلب ولا بقاء للنفس بعدما تُراقُ مُهْجَتُها، وقيل: المهْجَةُ الدَّمُ، وحكي عن أَعرابي أَنه قال: دفقت مُهْجَتَه أي دمه، ويقال: خرجت مُهْجَتُه أي روحه، وقيل: المهْجةُ خالِص النفس، الأزهري بذلت له مُهْجَتي، أَي بذلت له نفسي، وخالِص ما أقدر عليه ومُهْجة كل شيء خالِصُه[١].

٤. **النِّياطُ:** "والنِّياطُ عِرق علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه ونياط القلب عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين والجمع أَنوِطةٌ ونُوط"[٢]، ومنه قول الصحابي الجليل عبادة بن الصامت قال : فأشهد بصر عيناي هاتان ووعاه قلبي، وأشار إلى نياط قلبه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله في ظله »[٣].

٥. الوتين و الأبْهَرُ:

الوتين والأبهر شيء واحد، وكلاهما يطلق على العرق أو الشريان الأكبر في جسم الإنسان، الذي يخرج من البطين الأيسر للقلب، ويوزع الدم إلى جميع أنحاء الجسم عن طريق الدورة الدموية الكبرى، ويسمى الشريان الأبهر، أو الشريان الأورطي.

قال تعالى:﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ **الحاقة: ٤٦**، عن ابن عباس، قوله:(الْوَتِينَ) عرق القلب، وعن مجاهد، قوله:(الْوَتِينَ) قال: حبل القلب الذي في الظهر.[٤]

(الوتين) الشريان الرئيس، الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب[٥].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "مهج"، ٢ / ٣٧٠.

[٢] المرجع السابق، مادة: " نوط" ،٧ / ٤١٨.

[٣] صحيح ابن حبان، ح ٥٠٤٤، كتاب البيوع، باب الديون، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،١١ / ٤٢٣، قال شعيب الأرنؤوط: عن الحديث، إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٤] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٢٩ / ٦٧.

[٥] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "وتن" ص ١٠١٠.

وورد ذكر الأَبْهَرُ في حديث عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ، يقول في مرضه الذي مات فيه « يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ »[(١)].

قَال أهل اللغة: الْأَبْهَر عِرْق مُسْتَبْطِن بالظهر مُتَّصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه[(٢)].

و "الأَبْهَرُ: عرق في الظهر، وقيل: هو عرق مستبطن القلب، فإذا انقطع لم تبق معه حياة، وقيل: الأبهر عرق منشؤه الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن[(٣)].

المطلب الثالث: العلاقة بين القلب، والعقل، والجسم:

الإنسان كيان متكامل في تكوينه، خلقة الله سبحانه، فأحسن خلقه، وأبدع صنعه، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **التين:٤** ، "والطبيعة الإنسانية في تكوينها طبيعة مزدوجة، مكونة من حقيقتين مختلفتين، أحدهما روحية سماوية، وأخرى مادية أرضية"[(٤)]، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **السجدة: ٧ – ٩**، والطبيعة الإنسانية تعتمد على الترابط بين مكونات الإنسان، والتكامل المتلازم بين أعضائه وأجزائه، فإذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وتظهر تلك العلاقة الوثيقة، والصلة القوية، بين قلب الإنسان والذي يعد بمثابة ملك الجوارح فيه، وبين بقية أعضاء الإنسان وجوارحه.

---

(١) صحيح البخاري، ح٤١٦٥، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٤/ ١٦١١.

(٢) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ١٣١/٨.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١ / ١٨.

(٤) يالجن، مقداد، والقاضي، يوسف، علم النفس التربوي في الإسلام، دار عالم الكتب،الرياض،١٤١٨هـ،٣٤.

أولاً: العلاقة بين القلب الحسي والمعنوي:

إن بين القلب الحسي والمعنوي علاقة وثيقة، مرتبطة ببعضها، كما أشار إلى ذلك العلماء المتقدمون، وأثبتته الدراسات المعاصرة، وإن كان التعرف على حقيقة ذلك الارتباط وكيفيته قد يصعب تحديده بدقة، وذلك لأنه أقرب أن يكون من مجال ارتباط الروح بالجسم الذي لا يعلم حقيقة ذلك إلا الله عزوجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته- تعلق القلب المعنوي بالحسي- فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات وشرح ذلك مما نتوقاه – ثم قال- وذلك أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ فليس لغيره أن يتكلم فيه[١].

ومن خلال النظر في دلالة بعض النصوص الشرعية، وأقوال أهل العلم قديما وحديثاً، وما أثبتته بعض الدراسات المعاصرة، يمكن لنا إثبات ذلك الارتباط، دون الخوض في حقيقته، وكنهه، من خلال بيان ما يلي:

١. محل القلب:

مكان القلب ومحله الصدر، وهذا يشمل القلب كله، سواءً ذلك العضو العضلي، الذي يقع في وسط الصدر مائلاً نحو اليسار، ويقوم بوظيفته الحيوية في جسم الإنسان، أو ذلك القلب المعنوي، الذي هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية، وهي المدرك من الإنسان والمخاطب والمطالب والقرآن يؤكد هذه الحقيقة ويجليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج:٤٦، فذكر سبحانه وتعالى أن القلب يعقل، ويحصل له العمى، ثم أكد أن ذلك القلب هو القلب الموجود في الصدر.

---

[١] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٣ / ٣.

ومن السنة ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّات[١]، والتقوى أصلها في القلب كما **قَالَ تَعَالَى**:﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾** ﴾ **الحج: ٣٢.**

وحديث شق صدر النبي ﷺ وتطهير قلبه وحشوه إيمانا وحكمة[٢]، فهذا واضح في الدلالة على أن المراد بالقلب هو القلب الذي في الصدر، وهو هذا العضو المعروف.

فهذه الأدلة كلها تؤكد حقيقة أن القلب الوارد في نصوص الكتاب والسنة، هو القلب الذي محله في الصدر، وتلك الصلة الوثيقة بينه وبين القلب الحسي.

٢. ألم القلب:

فالإنسان المؤمن، صاحب القلب الحي، إذا حصل منه تقصير في واجب، أو وقوع في محرم، يجد لذلك ألم في قلبه، وغم وضيق في صدره، ويشعر بألم وضيق في محل قلبه وكأنه ألم حسي أصاب قلبه ، ويبدأ يتأفف ويتضجر، فإذا أدى الواجب، وأقلع عن المحرم، وأستغفر وأناب، يجد وكأن شيء سري عن قلبه ، وشيء ثقيل نزع من فوق جثمان صدره، وهذا شيء ملموس حساً وواقعاً، مما يدل على تلك الصلة الوثيقة بين متعلقات القلب كله.

٣. تأثير القلب:

فقد ذكرت بعض الأبحاث المعاصرة حقيقة أن من يقود البشر في جميع حركاتهم وسكناتهم بما فيها عواطفهم إنما هو القلب، أساساً وابتداءً، استدلالاً بنتائج العمليات الطبية الكبرى لزراعة القلب البشرى في آخرين، حيث ثبت في بعضها تغير في طبائع متلقي القلوب المنقولة، حتى أن أحدهم ذكر أنه يشعر كما لو كان هناك

---

[١] صحيح مسلم، ح٢٥٦٤، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، ١٩٨٦/٤.

[٢] صحيح البخاري، ح٣٤٢، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ١٣٥/١.

تواجد وجداني لشخص آخر معه، وهذا الإحساس كان مشتركا لدى بقية المنتفعين من عمليات زرع القلب، بعد الدراسة.

إضافة إلى ذلك التغيير الداخلي في شخصية المتلقي: فقد وُجد أن ميوله الجديدة غالبا ما تكون مناقضة تماما لميوله السابقة... كما ثبت بعد التأكد، أنها صفات منسوبة فعلياً، إلى أصحاب القلوب الأصليين السابقين!.

وغير خافٍ أن عدد من أجري لهم هذه العمليات من هؤلاء قلة في العرف العلمي لتطبيق منظومة الإحصاء المتبعة، ما يجعل من الصعب التسليم باعتمادها، إلا أن مضامينها مدوّية ومثيرة.

وهذا ما أكدته كذلك بعض أبحاث المؤتمر العالمي الثالث لعلوم طب القلب، المنعقد في الأحساء، بتاريخ ١٨ . ١٠- ١٤٣١هـ، حيث بحث علماء المؤتمر العالمي لثالث لعلوم طب القلب المتقدمة (ملك الأعضاء ٢٠١٠) من ضمن محاور البحث ما يتعلق بعلوم الأعصاب القلبية وحيث تبين ومن خلال العلماء المختصين في هذا المجال، وجود ما يسمى بالمخ القلبي، وأن هناك آلاف الخلايا العصبية في القلب مشابهة لتلك الموجودة في الدماغ ، وهذه الخلايا العصبية هي بمثابة الأسلاك التي تعطي الأوامر إلى الدماغ، مما يؤدي بعد ذلك الى تنمية الشخصية واتخاذ القرارات.

وكذلك استشعار القلب لأحداث معينة قبل الدماغ بفترة زمنية مما يؤهله لخلق ردة فعل، وحيث تم فعليا قياس مجال طاقة ضخم حول القلب بتجارب علمية كثيرة، وتفاعل ذلك المجال والدورة الدموية بالتغيرات الكونية مما يدعم بقوة العلم والحجة الدور الكبير للقلب في سيادة باقي الأعضاء[1].

(١) عرب نيوز، يقول العلماء للقلب البشري عقلاً خاصاً به، سراج وهاب، ٢٩، سبتمبر، ٢٠١٠، http://arabnews.com/saudiarabia/article150010.ece ، وموقع المؤتمر العالمي الثالث لعلوم طب القلب، ttp://www.kingoforgans.com/arabic/main.php .

ثانياً: العلاقة بين القلب والعقل:

للعلماء قديماً وحديثاً كلام مستفيض في العلاقة بين القلب و العقل، وهل القلب محل للعقل أم لا؟ ويحسن الإشارة في هذا الموضع، إلى كلام العلماء في تعريف العقل وحقيقته، وبيان محله وموضعه، وذلك للصلة الوثيقة بين القلب والعقل، إذْ أن القلب محل للعقل .

١- تعريف العقل:

العقل في اللغة: يطلق على معان متعددة من أهمها :

الحِجْر ، الجَمْع ، الْحَبْس ، التَثبت في الأمور ، التميُّز ، الفَهْم [١].

العقل في الاصطلاح: اختلفت عبارات العلماء في تعريف العقل، نظراً لكونه اسماً مشتركاً يُطلق على عدد من المعاني، "والصحيح أن العقل لا يمكن إحاطته برسم واحد، لكن المختار أن العقل يقع في الاستعمال على أربعة معان"[٢]:

- فيطلق: على بعض العلوم الضرورية، مثل العلم باستحالة اجتماع الضدين.
- ويطلق: على الغريزة التي يتهيّأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، وتدبر الأمور الخفية.
- ويطلق: على ما يستفاد من خلال التجارب.
- ويطلق: على النظر في العواقب .

وقيل: في تعريفه " العقل: غريزة كأنها نور يقذف في القلب، فيستعد لإدراك الأشياء فيعلم جواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، ويتلمح عواقب الأمور، وذلك النور يقل ويكثر، وإذا قوى ذلك النور قمع بملاحظة العواقب عاجل الهوى"[٣].

ويمكن القول أن العقل: نور يُقذف في القلب، يستعد به ويتمكن من المعرفة والإدراك، والتمييز بين الأشياء وتلمح عواقب الأمور.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة" عقل" ، ٤٥٨/١١.

[٢] آل تيمية، عبد السلام، وعبد الحليم، وأحمد بن عبد الحليم، المسودة في أصول الفقه، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ ٩٨١/٢.

[٣] ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، ذم الهوى، ١٩٦٢، ٥/١.

٢- محل العقل:

أختلف العلماء في ذلك على عدة أقوال، أبرزها ثلاثة :

- القول الأول: أن محل العقل الدماغ.
- القول الثاني: أن محل العقل القلب.
- القول الثالث: أن محل العقل القلب وله اتصال بالدماغ.

والقول بأن العقل في القلب، وله اتصال بالدماغ قول قوي له حظ من الاستدلال والنظر، ومما يدل على أن العقل في القلب :

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج:٤٦ ففي الآية التصريح بأن القلوب هي التي يعقل بها وما ذلك إلا لأنها محل العقل، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ معناه أن القلوب التي في الصدور هي التي تعمى إذا سلب الله منها نور العقل فلا تميز بعد عماها بين الحق والباطل ولا بين الحسن والقبيح ولا بين النافع والضار وهو صريح بأن الذي يميز به كل ذلك هو العقل ومحله القلب.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٩، فعابهم الله بأنهم لا يفقهون بقلوبهم، والفقه الذي هو الفهم لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن القلب محل العقل .

وفي حديث شق صدر النبي ﷺ وتطهير قلبه وحشوه إيمانا وحكمة دليل على أن محل العقل القلب، عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث : أن رسول الله ﷺ قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري[١].

[١] صحيح البخاري، ح٣٤٢، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ١/١٣٥.

و من خلال النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفي كل منهما التصريح بأن محل العقل في القلب، وكثرة ذكر ذلك وتكراره في الوحيين لا يترك احتمالا ولاشك في ذلك، فيترجح القول بأن العقل في القلب، و لا يمنع أن يكون له اتصال بالدماغ.

"والتحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ"[١]، ف "العقل في القلب يعلو نوره إلى الدماغ فيفيض منه إلى الحواس ما جرى في العقل"[٢].

"والعقل قد يتأثر بتأثير الدماغ ولكن لا يستلزم ذلك أن محله الدماغ ، فالعقل خارج عن الدماغ ولكن سلامته مشروطة بسلامة الدماغ"[٣]، والعقل قوَّةٌ معنويَّة لا يمكن أن يُدْرك بواسطة الحسِّ، وكما أن العلْم الحديث أثبت أنَّ المخَّ هو الذي يتحكَّم في تصرُّف الإنسان، فقد ثبت أيضاً ما يؤيد أن القلب مركز للتعقل، حيث يتحدث بعض الباحثين اليوم عن دماغ في القلب، ويؤكدون أن القلب له نظامه العصبي الخاص به، وهو نظام معقد، فالقلب يبث مع كل دفقه دم عدداً من الرسائل والمعلومات لجميع أنحاء الجسد، وله نظام كهربائي معقد وله طاقة خاصة به، وله مجال أقوى بمائة مرة من الدماغ[٤]!!.

وجه العَلاقة بين القلب والدِّماغ:

- "أنَّ التَّصوُّر والإدراك للمعاني محلُّه الدِّماغ، ثم يبعث بذلك إلى القلب، والقلب يأمر ويدبِّر فيبعث بأوامره إلى الدِّماغ، والدِّماغُ يحرِّك الأعضاء"[٥]

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر ، ٢٥٦/١.

[٢] أبو يعلى، محمد بن الحسين، العدة، الرياض، ١٤١٠هـ ،٨٩/١، والقول لأبي الحسن التميمي.

[٣] الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين، مجالس الشيخ الأمين الشنقيطي، مكتبة الشؤون الفنية، الكويت، ١٤٢٨هـ، ط١، ص٩٧.

[٤] موقع عبد الدائم الكحيل،حقائق تؤكد أن القلب يفكر ويعقل،عبد الدائم الكحيل، http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=840

[٥] ابن عثيمين، محمد بن صالح، إزالة السّتار عن الجواب المختار لهداية المحتار، ص ٧١.

ثالثاً: العلاقة بين القلب والجوارح:

العلاقة بين القلب وسائر الأعضاء والجوارح وكذلك الحواس، علاقة متلازمة في التأثر والتأثير، حيث أن صلاح القلب أو فساده، يؤثر إيجاباً أو سلباً على بقية الجوارح بالصلاح أو الفساد، " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد القلب كله ألا وهي القلب"، وكذلك الجوارح فإن ما تتلقاه، وتقوم به يؤثر في صلاح القلب أو فساده، " ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"[(١)].

ويتبين تلك العلاقة بين والقلب الجوارح من خلال الأتي:

١- منزله القلب من الجوارح:

القلب يعد بمنزله الملك للجوارح، وهي تبع وخدم له، ومن نظر بعين التأمل والتفكر للنفس البشرية، ونفذ بفكرة (إلى مشاهدة القلب، يجد ملكاً عظيماً جالساً على سرير مملكته، يأمر وينهى، ويولي ويعزل، وقد حف به الأمراء والوزراء والجند، وكلهم في خدمته، إن استقام استقاموا وإن زاغ زاغوا، وإن صح صحوا، وإن فسد فسدوا، فعليه المعول، وهو محل نظر الرب تعالى، وإنما الجوارح أتباع للقلب، يستخدمها استخدام الملوك للعبيد، والراعي للرعية، والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره، فإن أظلم أظلمت الجوارح، وإن استنار استنارت)[(٢)].

والأعضاء والقوى هي في حكم الأعوان للقلب، حيث (سخرت له، وأقيمت في خدمته لتجلب له ما يوافقه من الغذاء والمنافع، ويدفع عنه ما يضره ويهلكه)[(٣)]، (فالأعضاء الظاهرة والباطنة قد خلقت خادمة له، لا تستطيع له خلافا، فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم، وإذا أمر اليد بالبطش بطشت، وإذا أمر الرجل بالسعي سعت، وكذا جميع الأعضاء ذللت له تذليلا)[(٤)]

---

(١) مسند الأمام أحمد،ح ١٣٠٧١، ١٩٨/٣، وحسنه الألباني، السلسة الصحيحة، ح٢٨٤١.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ٢٦٢/١.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٥/٣.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ٢٦٣/١.

٢- ارتباط البدن والجوارح والحواس بالقلب:

البدن، هو المحل الذي يقوم فيه القلب، والمركب الذي يصل به إلى الله والدار الآخرة، فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يحفظ البدن بأن يجلب له ما يوافقه وينفعه، وأن يدفع عنه ما ينافيه ويضره، فافتقر لأجل جلب ما ينفعه إلى جندين باطن: وهو الشهوة، وظاهر: وهو اليد والأعضاء التي هي كآلات، وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن: وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء، وظاهر: وهو اليد والرجل اللذين بهما يعمل بمقتضى الغضب، فالجوارح من البدن كالأسلحة، ثم المحتاج إلى جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، يفتقر إلى المعرفة والتي تحصل بأمرين: باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها[١].

فأعوان القلب وجنوده المسخرة في خدمته، على أقسام ثلاثة:

١. قوى باعثة إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة، وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة.

٢. الأعضاء التي هي كالآلة، والتي تقوم بجلب المنافع، أو دفع المضار، ويعبر عن هذا بالقدرة، وهي مبثوثة في الأعضاء، لاسيما العضلات، واليدين، والرجلين.

٣. المدرك المتعرف للأشياء، وهي قوة البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، وهي مبثوثة في أعضاء ظاهره وهي العين والأذن والأنف واللسان واليد وغيرها[٢].

---

[١] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٣ / ٥.

[٢] المرجع السابق، السابق، ٦/٣.

أهم الجوارح التي لها صله وثيقة بالقلب:

العين التي هي طليعة، والأذن صاحب خبره، واللسان الذي هو ترجمانه .

١- الأذن: قناة تصب إلى القلب ويتأثر القلب بما تسمع ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ السمع كما أمر بحفظ البصر **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦، و هذه الأذن لا تحدد نوع المسموع إلا بأمر من القلب، حيث يأمرها أن تسمع الطيب أو تسمع الرديء ، فإذا صلح القلب صلحت الأذن.

وهنالك (بين الأذن والقلب من الارتباط فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب فهي بابه والرسول الموصل إليه العلم، ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها أن توصف بالوعي وأنها إذا وعت وعى القلب)[١]

٢-العين: العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته وإرادته ونقش فيه صور تلك المبصرات فيشغله ذلك الفكر عن ما ينفعه في الدار الآخرة.

(وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فيوصلانه، إليه كما ترياه جعلهما مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض الخير والشر والبلادة والفطنة الزيغ والاستقامة فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب فالعين مرآة للقلب وطليعة ورسول)[٢]

٣-اللسان: اللسان الناطق الذي هو آلة العلوم وترجمان القلب ورسوله المؤدي عنه، يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فيبدو عليه صحة القلب وفساده معنى وصورة، والمقصود أن العبد لا يعلم ما في ضمير صاحبه إلا بالألفاظ الدالة على ذلك [٣].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١ / ١٢٥.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن ،١ / ١٩١.

[٣] المرجع سابق، ١ / ١٩٤.

المطلب الرابع : مفهوم إصلاح القلب :

١- الإصلاح في اللغة :

الصَّلاح ضدّ الفساد وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده أَقامه[١]، و (أَصْلَحَ) أتى (بِالصَّلاحِ) وهو الخير و الصواب في الأمر[٢]، (أصلح) في عمله أو أمره أتى بما هو صالح نافع و أصلح الشيء أزال فساده[٣]، والصلاح التغير إلى استقامة الحال[٤].

٢- الإصلاح في الاصطلاح:

تتنوع تعريفات الإصلاح وتتعدد، باختلاف المجال أو الشيء الذي يراد إصلاحه، ومن أجمع التعريفات، لمفهوم الإصلاح أن "الإصلاح: يعني جعل الشيء أو الأمر صالحاً، أي أنه عملية تغيير من وضع إلى وضع أفضل. ربما يكون الوضع السابق صالحاً فينتقل إلى الأصلح، وربما يكون فاسداً فينتقل إلى الصالح"[٥].

قال تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ هود: ٨٨، أي: فيما آمركم وأنهاكم، إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي[٦]، وقوله ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ أي : إصلاح نفوسكم بالتزكية، والتهيئة لقبول الحكمة، ما دمت مستطيعاً متمكناً منه ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ أي : وما كوني موفقاً للإصلاح إلا بمعونة الله وتأييده ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي : أعتمد : ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أي : أرجع في السراء والضراء[٧] .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة" صلح" ، ٥١٧/٢.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، مادة" صلح" ١ / ٣٤٥.

(٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "صلح"، ص ٥٢٠.

(٤) العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ، ص٢١٠.

(٥) آل الشيخ، عبد المحسن بن عبد الرحمن، نظرات في الإصلاح، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٩هـ، ص ١٣.

(٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،٢ / ٤٥٧.

(٧) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار أحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ، ٣٤٧٩/٩.

والإفساد ضد الإصلاح، كما أن الفساد ضد الصلاح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ الأعراف: ٥٦، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٨١.

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »[1].

قال أهل اللغة يقال صلح وفسد بفتح اللام والسين وضمهما والفتح أفصح وأشهر[2].

« صلحت » بفتح العين في الماضي ومضارعه: يصح بضمها، وكذلك مقابلها وهي: فسد، يفسد، ومعناه: إذا صارت تلك المضغة ذات صلاح أو ذات فساد، وقد يقال: صلح، وفسد – بضم العين فيهما – : إذا صار الصلاح أو الفساد هيئة لازمة لها "[3].

وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب حتى يصير ذلك الصلاح هيئة ملازمة للقلب.

٣- مفهوم إصلاح القلب:

ومن خلال النظر في تعريف الإصلاح، و كلام من كتبوا فيه، وأقوال أهل اللغة والعلم في بيان معنى الصلاح والإصلاح، يمكن استنتاج مفهوم إصلاح القلب بأنه:

إقامة القلب بتصحيحه وتسديده وعلاج أمراضه وحمايته من الفساد. وربما يكون الوضع السابق للقلب صالحاً فينتقل إلى الأصلح، وربما يكون فاسداً فينتقل به إلى الصلاح.

وهذا يتطلب وجود حاله معينة للقلب تحتاج إلى إصلاح، ووجود حالة أخرى يراد الوصول إليها، ووجود آلية وطريقة معينة للقيام بإصلاح القلب، ووجود أفراد يقومون بذلك، وهكذا فإن أركان عملية الإصلاح أربعة.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ١/٢٨..

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الديباج على مسلم، دار ابن عفان ، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، ٤ / ١٩٠.

(٣) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم،دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٧هـ ،ط١، ٥ / ٤٩٤.

٤- أركان عملية الإصلاح:

- وضع يراد القيام بإصلاحه.
- وضع يراد الإصلاح إليه.
- آلية وطريقة لعملية الإصلاح.
- أفراد يقومون بعملية الإصلاح.

وهذه الأركان الأربعة لعملية الإصلاح، ما تحاول أن تحققه هذه الرسالة العلمية، وتجيب عنه، من خلال ما تحتويه من فصول ومباحث وذلك من خلال ما يلي:

١) **وضع يراد القيام بإصلاحه:** وهي تلك القلوب التي تمكن منها المرض، وعلاها الريب، وأصابتها القسوة، فهذه القلوب تحتاج إلى إصلاح، لتصل إلى الصلاح، ويشمل كذلك القلوب التي فيها خير وصلاح فيرتقى بها إلى الأصلح.

٢) **وضع يراد الإصلاح إليه:** وهو وصول القلوب إلى مرتبة القلوب السليمة، والتي سلمت من كل ما يخالف أمر الله وأخلصت عبوديتها لله تعالى، وبلغت منزلة القلوب المخبتة، الرقيقة، الخاشعة، الذليلة، المطمئنة، الصادقة.

٣) **آلية وطريقة لعملية الإصلاح:** وذلك من خلال عوامل الإصلاح، واستخدام الأساليب والوسائل التربوية، التي وردت في النصوص الشرعية، والتي تحقق عملية الإصلاح للقلوب.

٤) **أفراد يقومون بعملية الإصلاح:** وهم المربون الذين يحملون هم الإصلاح، ويقومون به، سواء كانا الوالدين في البيت، أو المعلم في المدرسة، أو الإمام في المسجد، أو العالم والشيخ والداعية ورواد الفكر والتأثير في المجتمع.

المبحث الثاني: مكانة القلب، وأهمية إصلاحه:

المطلب الأول: مكانة القلب:

للقلب مكانة عظيمة، وأهمية كبيرة، وذلك لأنه عليه المعول في صلاح الأفراد، واستقامة أحوال المجتمعات، فعند ما يتحقق صلاح القلوب، ينعم الجميع بالخير، والسعادة، والمحبة، والوئام، ولأهمية القلب الكبيرة، ومكانته العظيمة، اهتمت به الشريعة الإسلامية، اهتماماً بالغا، بل لا يكاد يوجد دين؛ سواء كان سماوي، أو أرضي، أهتم بالقلب مثل ما اهتم به الدين الإسلامي، ويظهر ذلك جلياً عند النظر والتأمل في كثرة النصوص الشرعية، الواردة في الكتاب والسنة، حيث ذكرت القلب، وفصلت في ذكر أعماله، وبيان أحواله، وتشخيص أمراضه، وذكر السبل، والأساليب، والوسائل التي لها دور، وتأثير في إصلاحه، ويتبع ذلك عناية السلف الصالح بالقلب، واهتمامهم به، فكان محور حديثهم في كثير من مجالسهم، بل حتى في وصاياهم التربوية للآخرين، فهذا الحسن البصري يوصي أحدهم فيقول: "داو قلبك فإن حاجة الله إلى عباده، صلاح قلوبهم"[(١)]، ومن ثم قام علماء المسلمين بالتأليف والكتابة في هذا المجال لأهميته، وهكذا تتجلى مكانة القلب، وتظهر أهميته، ويمكن التحدث عن مكانة القلب من خلال الأتي:

أولاً: مكانة القلب في القرآن الكريم:

القران الكريم هو كلام رب العالمين، ونوره المبين، الذي أنزله لإصلاح البشرية وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وحيث أن طريق الإصلاح والتغيير، ينبع من داخل النفس البشرية، وذلك بإصلاحها وتزكيتها وتطهير معدن الصلاح فيها وهو القلب، فقد تضافرت النصوص الدالة على إصلاحه والاهتمام والعناية به، فقد ورد ذكر القلب أو الإشارة إليه بلفظ الفؤاد أو الصدر في ما يقارب من مائة وثمان وسبعون آية، وعدد سور القران الكريم مائة وأربعة عشر سورة، ذكر القلب في ستين منها أي أكثر من نصفها، وتعددت صفاته من آية إلى

---

(١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة،٢ / ١٥٤.

أخرى، فمرة هو قلب سليم، ومرة هو قلب مريض، وتنوعت أساليب ذكره، في كل من الآيات الكريمات، بين مدح للقلوب السليمة، وذم للقلوب القاسية، والمريضة.

فيتحدث القرآن عن حقيقة القلب، وأن الله سبحانه هو الذي خلقه وأنعم به على خلقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الملك: ٢٣، ويخبر سبحانه أنه ليس هناك للإنسان إلا قلب واحد، ولذلك لا يمكن أن يجتمع فيه نقيضان إيمان وكفر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ الأحزاب: ٤، والله ﷻ يخبر بأنه أملك لقلوب العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء؛ حتى لا يدرك الإنسان شيئا إلا بمشيئة سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤، و القلوب بيد الله سبحانه يقلبها كيف ما شاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الأنعام: ١١٠، والقلب موضع الفكر، ومحل العقل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق:٣٧، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦، ومحل التقوى القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٢، وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب.

والقرآن يتحدث عن صفات قلوب عباد الله المؤمنين بأنها قلوب مطمئنة تسكن وتستأنس وتطمئن بذكر الله سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ ، وهي قلوب وجلة وخائفة من الله سبحانه فهم يعملون الصالحات ويخافون ألا تقبل منهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٠ ،وقلوب سليمة سلمت من الشك

والشرك، و أصبحت سالمه وخالصة من الأوصاف الذميمة، ومتصفه بالأوصاف الجميلة، وهو حال الكمل من عباد الله الصالحين، قال تعالى عن إبراهيم **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾**الصافات: ٨٤**، وهي قلوب منيبه مقبله على الطاعة راجعه إلى الله ﷻ في كل الأمور، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾**ق: ٣٣**، و يتحدث القرآن عن صفة من صفات أعظم الخلق محمد في لين قلبه ورحمته بالمؤمنين، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ **آل عمران: ١٥٩**، وغليظ القلب الجافي قليل الإشفاق والرحمة، وهو يدعوا المؤمنين لأن يكونوا على مثل هذه الأخلاق الكريمة تأسياً بالنبي، و يتحدث تعالى عن انشراح القلب وأنه لا يكون إلا لمن رضي الله عنه فأراد له الهدى، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ ﴾ **الأنعام: ١٢**، وما أعظم اطمئنان القلوب بالبشارة بالنصر من الله القوى العزيز فلا يتسرب اليأس اليها، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ **آل عمران: ١٢٦**، والله سبحانه يربط على قلوب عباده المؤمنين فيعطيهم قوة العزم والتصميم لمواجهة الشدائد، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ **الأنفال: ١١**، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ **الكهف: ١٤** ، والله سبحانه يعلم ما في قلوب عباده المؤمنين من الصدق والوفاء فينزل عليهم السكينة والطمأنينة فيحصل لهم سكون النفس إلى صدق الوعد، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ **الفتح: ١٨**، ويمتحن الله سبحانه قلوب عباده المؤمنين؛ بأن يطهرها من كل قبيح، ويجعل في قلوبهم الخوف من الله ويوسعها ويشرحها للتقوى، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ **الحجرات: ٣**، كما يحبب الإيمان أليهم ويزينه ويحسنه في

قلوبهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ الحجرات: ٧، ومن آمن بالله ورسوله ولم يوالي أعدائه يكتب الله ﷻ في قلبه الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ المجادلة: ٢٢، والمؤمنون قلوبهم صافيه لا تحمل الغل ولا الحقد ولا الكراهية للمؤمنين السابقين واللاحقين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر: ١٠، والتذكرة والموعظة إنما تحصل لمن كان له قلب يعقل ويتدبر به قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ ق: ٣٧، وصلاح القلوب سبب كبير لانشراح الصدور، لأنه إذا دخل الإيمان و النور القلب انشرح وانفتحقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ الزمر: ٢٢.

ويتحدث القرآن عن العلل التي تصيب القلب، بسبب الكفر والنفاق والبعد عن أمر الله سبحانه وتعالى، فعند ذلك يصيب القلب الختم، والمرض، والقسوة، والزيغ، والغفلة، والطبع، وتجعل عليه الأغلفة والأكنة، ويغطيه الران بسبب ما يكسبه ويقترفه من الذنوب والمعاصي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ البقرة: ٧، وقال تعالى عن صفات المنافقون ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ ﴾ البقرة: ١٠، و قال تعالى في قسوة قلوب الكافرين ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾ البقرة: ٧٤، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ المائدة: ١٣، أي صلبة لا تعي خيراً ولا تفعله، ويصيب القلب مرض الزيغ: الذي هو الميل عن القصد السوي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ الصف: ٥، أي فلما مالوا عن الحق

والطاعة أمال الله قلوبهم عن الهدى، وتجعل على القلوب الأغلفة وهي الأغطية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ٨٨ ، وكذلك تجعل عليه الأكنة: جمع كنان، وهو ما ستر الشيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾ الأنعام: ٢٥ ، والبعيد عن الله ﷻ قلبه غافل عن ذكر الله، متبع لهواه، ومضيع مصالح دينه ودنياه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨، ويحصل للقلوب الإنكار، فلا تقبل الوعظ ولا ينفعها التذكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ النحل: ٢٢، ويدخل على القلب مرض الريب والشك في الدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٥، ومن يتكبر على أمر الله ويتجبر على عباده، ويعرف الإيمان ثم يكفر به؛ فإن الله سبحانه يطبع على قلبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ غافر: ٣٥، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المنافقون: ٣، وتعمى القلوب عن إدراك الحق و الأخذ به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦، وتغمر الغفلة القلوب المعرضة عن القرآن وذكر المولى سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٣، كما أن قلوب البعيدين عن الله سبحانه لاهية و ساهية، معرضة عن ذكر الله، متشاغلة عن التأمل والتفهم في معناه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٣ ، و الله تعالى يخبر في كتابه العزيز أنه ختم وطبع على قلوب الكافرين وأزاغها وجعلها قاسية مجازاة لكفرهم، ولما حصل منهم من الأعراض والتجبر والتكبر، ولما اقترفوه واكتسبوه من الذنوب والمعاصي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ المطففين: ١٤.

ثم يبن لنا القرآن الكريم السبل والطرق التي تؤدي إلى صلاح القلب فمن ذلك الدعاء، فيعلمنا سبحانه كيف ندعو قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨ ، ويخبر سبحانه أن الذكر طريق لحصول الطمأنينة في القلب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، ويذكر سبحانه عن قصص القرآن وما فيها من أثر كبير في تثبيت القلب، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠، ويبين سبحانه المسئولية المنوطة بكل شخص أمام سمعه وبصره وقلبه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦.

فالقرآن الكريم؛ في حديثه عن القلوب أعطى منهجاً متكاملاً في تشخيصه لأمراضها وما يعتريها ويصيبها، وأرشد إلى كل ما فيه صلاحها وزكاتها ونمائها.

ثانياً : مكانة القلب في السنة النبوية :

للقلب في السنة النبوية مكانة عظيمة، حيث تجعل السنة من القلب الملك المطاع في البدن، الذي بصلاحه واستقامته؛ يصلح حال رعيته؛ التي هي الجوارح، ويستقيم أمرها، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)].

وجاءت السنة بإطلاق الأوصاف الجميلة على القلب، وأنه أحق أن يسمى بذلك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَقُولُونَ الْكَرْمُ إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»[(٢)]، وفي رواية « لاَ تَقُولُوا كَرْمٌ. فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ »[(٣)].

وتبين السنة ما للقلب من مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة، حتى كان هو محل نظر الله سبحانه وتعالى، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ »[(٤)]. وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.

وصلاح القلب، واستقامته، وعمارته بالإيمان، والتقوى، ونقاءه من الغل والحسد، ميزان يتفاضل به الناس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ »[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٨/١.

(٢) صحيح البخاري، ح ٥٨٢٩، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ إنما الكرم قلب المؤمن، ٢٢٨٧/٥.

(٣) صحيح مسلم، ح٢٢٤٧،كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة تسمية العنب كرما، ١٧٦٣/٣.

(٤) صحيح مسلم، ح٢٥٦٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، ١٩٨٦/٤.

(٥) سنن ابن ماجه، ح ٤٢١٦، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، دار الفكر، بيروت،١٤٠٩/٢، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ح ٣٢٩١.

والإنسان بصلاح وصدق قلبه، يتبلغ منازل عاليه، ويتحصل على أجور كبيرة، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف يحدث عن أبيه عن جده ﷺ : عن النبي ﷺ قال: « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلْبِهِ صَادِقًا بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ »[١].

ويحصل الخير، والنجاة للإنسان بحسب ما يتفاضل في قلبه من الأيمان والخير، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ »[٢] .

وعندما يتحقق الإخلاص، والصدق في القلب، فإن صاحبه ينعم بخير الدنيا، والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[٣]، وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: ما مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ »[٤].

وكذلك إذا كان القلب يحب الخير، ويتعلق ببيوت الله سبحانه، التي هي مواطن الخير والبركة، فإنه ينعم بأن يظله الله سبحانه تحت ظل عرشه يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ – وذكر منهم- وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»[٥].

---

[١] سنن الترمذي، ح١٦٥٤، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ١٨٣/٣، قال الألباني : صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، ح١٢٧٦.

[٢] صحيح البخاري، ح٤٤، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ٢٤/١.

[٣] صحيح البخاري، ح ٩٩، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ٤٩/١.

[٤] صحيح البخاري، ح ١٢٨، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ،٥٩/١، ومسلم، ح٣٢، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ٦١/١.

[٥] صحيح البخاري، ح ٦٢٩، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد، ٢٣٤/١.

ومن كان قلبه رحيم، ورقيق في تعامله مع الآخرين، فإن جزاءه الفوز بجنات النعيم، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: « وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ – ومنهم- رَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ »[١].

و هذا هو حال عباد الله المؤمنين، والتي أصبحت قلوبهم مثل أفئدة الطير في الرقة، واللين والصفا، والتوكل على الله سبحانه، وقد غلب عليهم الخوف، والهيبة له جل ثناءه وتقدست أسمائه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ »[٢].

ومن صلح قلبه فإنه لا يخشى عليه من فتن الزمن، ومغريات الحياة الزائفة، ففي حديث عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْجَزَعِ، وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْغِنَى، وَالْخَيْرِ»[٣].

ولما كان للقلب تلك الأهمية البالغة، كان الشيطان حريص على إفساد ذلك القلب، وإشغاله عن الخير، وأن يقذف فيه الشر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، فَيَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى لَا يَدْرِيَ أَثَلَاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا»[٤].

ولذلك كان من هدي النبي ﷺ في تربيته لأصحابه، أن يسد الثغرات التي من خلالها قد يدخل الشيطان ليلقي الشر في القلوب، فبينما هو ذات يوم يمشي ﷺ مع زوجته صَفِيَّةَ ليوصلها إلى البيت، مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا،

---

[١] صحيح مسلم، ح٢٨٦٥، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٧.

[٢] صحيح مسلم، ح٢٨٤٠، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، ٤/٢١٨٣.

[٣] صحيح البخاري، ح٨٨١، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، ١/٣١٢.

[٤] صحيح البخاري، ح٥٨٣، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، ١/٢٢٠.

فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»[١].

ولأهمية القلب، كان النبي ﷺ يدعو الله سبحانه وتعالى في مواطن كثيرة بأن يصلحه ويهديه، فكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ ﷺ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا »[٢]، وكان يقول: « اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ »[٣]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو « رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ[٤] قَلْبِي »[٥].

بل قد كان أكثر دعائه ﷺ أن يثبت الله ﷻ قلبه على الهداية والإيمان، فعن شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ، قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ، فَتَلَا مُعَاذٌ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[٦].

---

[١] صحيح البخاري، ح١٩٣٠،كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه ، ١٧٥/٢.

[٢] صحيح البخاري، ح٥٩٧٥، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، ٢٣٢٧/٥.

[٣] صحيح البخاري، ح٦٠٠٧، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من المأثم والمغرم، ٢٣٤١/٥.

[٤] اسلل : أخرج، السخيمة : الغل والحقد والحسد ونحوها مما يسكن فى القلب من مساوئ الأخلاق، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨ / ٥٤٧.

[٥] سنن أبي داود، ح١٥١٠، كتاب الآداب، باب ما يقول الرجل إذا سلم، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٨٣/٢، قال الألباني : صحيح، صحيح الجامع، ح ٣٤٨٥ .

[٦] سنن الترمذي، ح٣٥٢٢، كتاب الدعوات، باب ٩٠، ٥٣٨/٥، قال الترمذي: وهذا حديث حسن، وقال الألباني : حسن لغيرة، السلسلة الصحيحة، ح ٢٠٩١.

ثالثاً: مكانة القلب عند السلف وعلماء المسلمين:

لقد كان للقلب، والاهتمام به وإصلاحه، أهمية كبيرة عند السلف الصالح، من صدر هذه الأمة، ولاسيما الصحابة ﭫ، الذين أختارهم الله ﻷ لصحبة نبيه ﷺ لِما علم ما في قلوبهم من الخير والصلاح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَخَصَّهُ، أَوْ، قَالَ: بَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ"(١).

ومما تميز به أولئك الرعيل الأول من الصحابة ﭫ أنهم تربوا على يد المربي الأول محمد ﷺ، وتخرجوا من مدرسته علية الصلاة والسلام، والذي كانت مجالسته لأصحابه، وحديثه معهم، وتوجيهاته لهم، وتلاوته للوحي بين أيديهم، منهجاً متكاملاً يتحقق به صلاح قلوبهم، قال عبد الله بن رواحة:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ   إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنْ الْفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا   بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ(٢)

وتلك التربية النبوية، العظيمة أثرت في نفوس الصحابة الأجلاء، ووصلت إلى شغاف قلوبهم، فهذا أبو بكر الصديق ﭬ، المقدم بين الصحابة ﭬ لم يفضل الناس بكثرة صوم ولا صلاة وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه(٣).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ح٨٥٨٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ١١٢/٩.

(٢) صحيح البخاري، ح١١٠٤،كتاب الجمعة، باب فضل من تعار من الليل فصلى، ٣٨٧/١.

(٣)الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ١٤٩/١، و قال الحافظ العراقي : لا أصل لهذا مرفوعاً ، وإنما يعرف من قول بكر بن عبد الله المزني .

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ هذه الآية ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ بكى حتى يغلبه البكاء[١].

ونجد أن قلوبهم عمرت بالإيمان، وإن كانوا في ظاهرهم يمزحون ويمرحون، سئل بن عمر هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون قال نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال[٢]، ولذلك لما توفي ﷺ، أنكروا قلوبهم ﭫ، لما افتقدوا تلك المجالس الإيمانية، والتوجيهات النبوية، فعن أنس بن مالك ﭬ قال: "لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وإنا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا"[٣]، وبقية أثار تلك التربية الرشيدة في نفوسهم، وظهرت جلياً في أقوالهم، وأفعالهم.

وتحمل الصحابة إرث النبي الذي لم يورث ديناراً ولا درهماً وإنما ورث العلم، الذي به تصلح القلوب، وتتهذب النفوس، فكانوا بأقوالهم وأفعالهم يرشدون إلى ما به صلاح القلوب، بَعَثَ أَبُو مُوسَى الأشعري إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلاَثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ فَاتْلُوهُ وَلاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"[٤]، وقال أبو الدرداء: "إن القلب يربد كما يربد الحديد، قيل: وما جلاؤه قال بذكر الله"[٥].

[١] المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة الكوفي، ح٣٤٦٤٧، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ٧ / ١١٨.

[٢] المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ح٢٠٦٧١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ١١ / ٣٢٧.

[٣] سنن الترمذي، ح٣٦١٨، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ ، ٥/٥٨٨، قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح، وقال الألباني: صحيح، صحيح الترمذي، ح٣٦١٦.

[٤] صحيح مسلم، ح١٠٥٠، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، ٢/٧٢٦.

[٥] مصنف ابن أبي شيبة، ح٣٥٥٤٧، ٧ / ٢٢٧.

وتربى التابعون رحمهم الله، على أيدي الصحابة الأجلاء، فكان لا يعتريهم شيء، أو يصيب قلوبهم، إلا سارعوا إلى أطباء القلوب من الصحابة ﷺ ليعالجوهم مما قد أصابهم، "عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ[١] قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نفسي شيء مِنَ الْقَدَرِ، فحدثني بشيء لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قلبي"[٢].

وهكذا سار بقية السلف الصالح؛ من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، في طريق إصلاح القلوب، والاهتمام بها، ورعايتها، فهذا الحسن البصري[٣] رحمه الله يقول: "داو قلبك فإن حاجة الله إلى عباده، صلاح قلوبهم"[٤]، وقال:"إن الرجل ليعمل الحسنة فتكون نورا في قلبه، وقوة في بدنه، وإن الرجل ليعمل السيئة فتكون ظلمة في قلبه، ووهنا في بدنه"[٥]، وقال حذيفة المرعشي[٦]: "ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه"[٧].

---

[١] عبد الله بن فيروز أبو بشر ويقال أبو بسر الديلمي، وكانت لأبيه صحبة وأبوه من أبناء اليمن صحب عبد الله معاذ بن جبل بالشام إلى أن مات وسكن فلسطين ويقال الأردن وحدث عن أبيه ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، تاريخ دمشق – (٣١ / ٤٠٢)

[٢] سنن أبي داود، ح٤٦٩٩، كتاب السنة، باب في القدر، ٢٢٥/٤، قال الألباني : صحيح .

[٣] هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، الانصاري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة، توفي بالبصرة، ١١٠ هـ، سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٦٣)، الأعلام للزركلي (٢ / ٢٢٦).

[٤] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة،٢ / ١٥٤.

[٥] مصنف ابن أبي شيبة،ح٣٥١٩٥، ٧ / ١٨٧.

[٦] حذيفة بن قتادة المرعشي، أحد الاولياء، صحب سفيان الثوري وروى عنه، سير أعلام النبلاء ٢٨٣/٩.

[٧] الأصبهاني، حلية الأولياء، ٨ / ٢٦٩.

وحذر السلف من كل ما قد يتسبب في إمراض القلب، أو فساده، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن الرجل ليذنب الذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء، ثم يذنب الذنب فينكت، حتى يصير قلبه لون الشاة الربداء"[١].

وعن الحسن رحمه الله قال: "لا يزال العبد بخير ما لم يصب كبيرة تفسد عليه قلبه، وعقله"[٢]، وقال: "لا تمكن أذنيك صاحب هوى فيمرض قلبك"[٣]، وقال إبراهيم النخعي[٤] رحمه الله: "الغناء ينبت النفاق في القلب"[٥].

بل حتى في أمور الحياة فقد كانوا يوجهون إلى البعد عما يشغل القلب، ويشتت البال، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "يا أهل المدينة لا تتخذوا الأموال بمكة واتخذوها بالمدينة فإن قلب الرجل مع ماله"[٦].

وهم مستشعرين في ذلك كله أن المالك للقلوب والمتصرف فيها هو الله ﷻ، وإنما عليهم بذل الأسباب، معتمدين قبل ذلك على الله ﷻ في إصلاح قلوبهم، كان مطرف بن عبد لله بن الشخير [٧]يقول: "لو كان الخير في كف أحدنا ما استطاع أن يفرغه في قلبه، حتى يكون الله هو الذي يفرغه في قلبه"[٨].

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة، ح ٣٠٣٢٢، ٦ / ١٥٩.

[٢] مصنف ابن أبي شيبة، ح٣٥٦٤٠، ٧ / ٢٣٦.

[٣] مصنف عبد الرزاق، ح٢٠٦٦٧، ١١ / ٣٢٦.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الاسود النخعي، اليماني ثم الكوفي، أبو عمران، الامام، الحافظ، فقيه العراق، تابعي جليل، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود، أحد الاعلام والأئمة المشاهير، توفي سنة ٩٦هـ، وله تسع وأربعون سنة، سير أعلام النبلاء (٥٢٠/٤) ، وفيات الأعيان (٢٥/١).

[٥] مصنف ابن أبي شيبة،ح٢١١٣٨، ٤ / ٣٦٨.

[٦] مصنف عبد الرزاق،ح١٩٦٢٥، ١٠ / ٤٣٧.

(٧) مطرف بن عبد ابن الشخير، الامام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، زاهد من كبار التابعين، له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار، ثقة في ما رواه من الحديث، ولد في حياة النبي ﷺ، ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة ٨٧ هـ، سير أعلام النبلاء (٤ / ١٨٧)، الأعلام للزركلي (٧ / ٢٥٠).

[٨] مصنف ابن أبي شيبة،ح ٣٥١٣٣، ٧ / ١٧٩.

ومما يبين مكانة القلب عند السلف وعلماء المسلمين هو اهتمامهم بعلم القلوب وما يتعلق به من مسائل في تشخيص أمراضها، ووصف العلاج النافع لها، وبيان طرق وأساليب إصلاحها؛ ونشأة علم القلوب بدأ مع بداية التنزيل للقرآن الكريم، حيث حوى القرآن الكريم جملة من الآيات التي تحدثت عن القلوب ومنهج إصلاحها، ومثلت السنة النبوية المنهج العملي لتطبق ذلك المنهج على أرض الواقع، فقد كان النبي ﷺ القدوة العملية في ذلك فهو القائل ﷺ « أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ »[١]، وكانت توجيهاته الرائدة لأصحابه ﷺ في ما به صلاح قلوبهم، واستقامتها على الخير، والهدى والإيمان؛ تمثل منهجاً عملياً يسيرون عليه في حياتهم.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم، والسنة النبوية، تعد المصدر الأساس في نشأة علم القلوب، ثم تأتي توجيهات الصحابة الكرام، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، لتنطلق من ذلك النبع الصافي؛ وتعطي منهجاً متكاملاً في دقائق علم القلوب وتفاصيل أحوالها وطرق إصلاحها، وكان الحديث عن القلوب وسبل إصلاحها، يتم تداوله في مجالس العلم، وحلقات الذكر، ووصايا الصالحين، دون أن يتطرق إلى جمعه وتدوينه والتأليف فيه.

وبجمع القرآن الكريم، وتدوين السنة النبوية، تتكون النواة الأولى للتدوين، والكتابة في علم القلوب، ثم تأتي مرحلة أخرى يتم فيها الحديث عن القلوب، والكتابة في ذلك في ثنايا كتب أهل العلم، الذين يتطرقون إلى تفسير آيات القرآن الكريم، أو التبويب والإيضاح لأحاديث الرسول الكريم، (وأما تدوين علم القلوب، بالمعنى الاصطلاحي الشامل، لتشخيص الأمراض القلبية، وتحديد العلاج لكل منها منفصلاً عن الكتاب، والسنة، ومفرداً في كتب متخصصة، فإنا لا نعرف أنه دون على هذه الصفة، قبل القرن الثالث الهجري، ولعل بدايته المؤصلة الثابتة كانت في القرن الرابع الهجري)[٢].

---

[١] صحيح مسلم، ح١١٠٨، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، ٧٧٩/٢.

[٢] النشمي، عجيل جاسم، طب القلوب، دار الدعوة، الكويت، ١٤١١هـ، ص١٨.

"وقد كتب علماء المسلمين في هذا الميدان كتابة علمية قيمه، وفصلوا الكلام على الأمراض النفسية تفصيلاً متقناً، ومادتها العلمية في هذا العلم سواءً تشخيص الأمراض، أو علاجها، إنما هي مستمدة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكان دور العلماء هو استخراج واستنباط المعاني، والمقاصد، وتنزيلها على الوقائع والأحوال، إلا أن العلماء يتفاوتون في هذا الصدد في اعتمادهم على نصوص الكتاب، والسنة من حيث التفصيل والتفريع، وهذا الذي أدى إلى بعض التباين والتناقض في بعض القضايا تبعاً للتقيد بالنص ودلالته، أو الانطلاق خارج حدود النصوص، وإعطاء العقل والوجدان استقلالية في تحديد الفكر، والتصور في التصرف، والسلوك"[١].

وكان للعلماء المتأثرين بفكر التصوف دور في الكتابة في هذا المجال، وحصل منهم جملة من الانحرافات في بعض القضايا، بسبب عدم تقيدهم بالنصوص الشرعية، وهذا ما حدا بكثير من العلماء الربانين المتقيدين بالنصوص الشرعية؛ بالكتابة في هذا الباب وإثرائه في ثنايا كتبهم، وشروحاتهم، أو ككتابات مستقلة في ذلك، معتمدين على نصوص الكتاب والسنة، وقاموا بالرد على الانحرافات الصوفية في هذا الميدان.

ومن أهم كتابات العلماء المسلمين المتقدمين في هذا المجال:

- ❖ اعتلال القلوب، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، المتوفى ٣٢٧ هـ.
- ❖ قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي محمد بن علي الحارثي، المتوفى ٣٨٦ هـ.
- ❖ منازل السائرين، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، المتوفى ٤٨١ هـ.
- ❖ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى ٥٠٥هـ.
- ❖ أمراض القلب وشفاؤها، لشيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم تيمية، المتوفى ٧٢٨ هـ.
- ❖ التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لشيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم تيمية، المتوفى ٧٢٨ هـ.
- ❖ مدارج السالكين، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المتوفى ٧٥١ هـ.
- ❖ ذم قسوة القلوب، لابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، المتوفى ٧٩٥ هـ.

---

[١] النشمي، عجيل جاسم، طب القلوب، دار الدعوة، الكويت، ١٤١١هـ، ص١٩.

المطلب الثاني: الأهمية التربوية لإصلاح القلب:

إن الحديث عن القلب وإصلاحه، حديث بالغ الأهمية؛ لعظم مكانة القلب ومنزلته، وأثره في حياة الإنسان، ونحن نرى في هذا العصر تطوراً هائلاً في جراحة القلب البشري، و الدقة المتناهية في تحديد الأمراض الحسية التي تنتاب القلب، وبيان طرق تشخيصها ومعالجتها، وأما صلاح القلب، واستقامته فقليل من ينظر إليه، ويعطيه الاهتمام اللائق به، مع أهمية ذلك، وكما أننا نشهد من يتخصص في طب القلب وصحته، فنحن بحاجة إلى من يتقن الحديث عن مقامات القلب، وأحواله، وأعماله، وعلله وأدوائه، وطرق إصلاحه، فحياة القلب، وإضاءته مادة كل خير، وموته، وظلمته مادة كل شر، ولذلك يجب الاعتناء، والاهتمام بحياة القلب، وإصلاحه؛ وذلك لعدة أمور:

١. القلب محل الإيمان والتقوى:

فالقلب محل الإيمان، واليقين، والتعظيم لرب العالمين، والخوف منه، والتوكل عليه، ومحبته والأنس به، والانقياد والتسليم له سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ المجادلة: ٢٢، "كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه، وثبته، وغرسه غرسا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك"[(١)]، فإيمان القلب هو الأصل، والأساس لإيمان الجوارح، فالقلبُ هو الباعث والمحرِّكُ الذي مِنه ينطلق التوجيه إلى الجوارح بالعمل، وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول « الإسلام علانية والإيمان في القلب »[(٢)]، "فقد جعل النبي ﷺ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شئ واحد وجماعها الدين"[(٣)]

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، ١ / ٨٤٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ، ح١٢٤٠٤، ١٣٤/٣، إسناد فيه ضعف؛ لكن معناه تشهد له الأدلة.

(٣) ابن تيمية "الإيمان" ص٣١١. والقول للبغوي .

وللتلازم بين الظاهر والباطن، لا يتصور وجود إيمان القلب مع عدم أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان في القلب، (فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه)[١].

ومحل التقوى هو القلب كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٢، فأضيفت التقوى إلى القلوب؛ لأن القلب هو محلها، وبيَّنَ ذلِكَ رسولُ اللهِ ﷺ، حينَ قالَ « التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّات(٢)، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يرويه عَنِ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «..يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكم وَآخرَكُم، وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَتقَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُم، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلكِي شَيئًا، »[٣].

فدل على أن التقوى في القلب، التي متى ما تحققت فيه حصل له الخيرية والأفضلية.

وبالقلب يعرف العبد ربه، فيتعرف على أسمائه وصفاته، وبالقلب يعلم العبد أمر الله ونهيه "فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو العالم بما عند الله، وإنما الجوارح أتباع له...، فالقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله، إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو الذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع في الحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات والأخلاق أنواره وآثاره، وبحسب ما فيه من

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧/ ٦٤٤.

[٢] صحيح مسلم، ح٢٥٦٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، ١٩٨٦/٤.

[٣] صحيح مسلم، ح ٢٥٧٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٧٤.

النور والظلام، تظهر محاسن الظاهر ومساوية، إذ كل إناء بما فيه ينضح، والقلوب كالقدور تغلي بما فيها"[(١)].

٢. القلب محل نظر الله ﷻ:

أشرف ما في الإنسان قلبه، فهو محل نظر الله عز وجل ، فإذا صلح قلبه؛ كان مقبولا عند الله عز وجل، فعلى العبد أن يهتم بقلبه ويزينه بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، ويطهره من كل ما يكرهه الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥١ ، فعن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُم»[(٢)].

"فالقلب إذن موضع نظر رب العالمين، فيا عجباً ممن يهتم بوجهه؛ الذي هو موضع نظر الخلق، فيغسله وينظفه من الأقذار، والأدناس، ويزينه بما أمكنه، لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين، فيطهره، ويزينه، ويطيبه، كي لا يطلع الرب جل ذكره على دنس فيه وشين، وآفة وعيب"[(٣)].

٣. صلاح الإنسان بصلاح القلب:

فالقلب له أثر كبير في حياة الإنسان فبصلاحه تصلح الأعضاء و تستقيم الجوارح، وتستقيم أحوال الإنسان، وأموره في هذه الحياة، بل إن صلاح العالم وفساده يكون بحسب حركة الإنسان في الحياة، الذي إن صلح ذلك القلب صلح الإنسان، وبالتالي صلح العالم بأسره، عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشَيرٍ رضي الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ

---

(١) الشحود، علي بن نايف، الخلاصة في فقه القلوب، ص٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٥٦٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ٤/ ١٩٨٧.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، منهاج العابدين، دار المنهاج، جده، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ص١١٣.

مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)]، فإن كان القلب صالحا ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده، لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله ﷻ، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفت عما يكرهه ويأباه، فصلح اللسان وصلحت العين و الأذن، وسائر الجوارح.

عن أبي هريرة ﷺ"القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث القلب خبثت جنوده"[(٢)].

" القلب مَلِكُ الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنودٌ طائعون له، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحةً، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدةً"[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله: " ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسؤول عنها كلها، لأن كل راع مسؤول عن رعيته، كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده، أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجه، أهم ما تنسك به الناسكون"[(٤)].

٤. عدم إصلاح القلب يؤدي إلى الهلاك :

إن كثيراً من المشكلات بين الناس، سببها أمراض تعتري القلوب، فهذه المشكلات تترجم عن أحوال قلوب أصحابها، وما فيها من أمراض مثل: الحسد، والغل، والكبر، والاحتقار، وغير ذلك، وسبيل حلها الأمثل هو علاج هذه القلوب، وإلا فالمرض سيظهر

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٨/١.

(٢) مصنف عبد الرزاق، ح ٢٠٣٧٥، ١١ / ٢٢١.

(٣) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ، الطبعة السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس، ٧٤/١.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٥/١.

بين حين وآخر كلما ظهرت دواعيه، ونظرة إلى واقع المجتمع، وما يحدث فيه بين الناس من مشكلات اجتماعية، وخصومات في الحقوق والأموال يتبين صحة ذلك.

و كذلك عند ما يفسد القلب فإنه ما يزال يتشرب لكل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس، فيشتبه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والحق باطلا والباطل حقا، عَنْ حُذَيفَةَ ﵁ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ – حتى يصير ذلك القلب – أَسْوَدُ مُرْبَادًّا قَلبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً؛ إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، »[(١)].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﵁ عَنْهُ: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُهُ المعْرُوفَ، وَيُنْكِرْ قَلْبُهُ المنْكَرَ "[(٢)].

واختلال العبادات القلبية، قد يهدم العبادات التي تتعلق بالجوارح، فالإخلاص عمل قلبي، إذا زال من قلب العبد، فإن إيمانه يضمحل، و يختل، وذلك العمل الذي خالطه الرياء يكون باطلاً؛ فالله طيب لا يقبل طيباً كما قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[(٣)].

٥. صلاح القلب سبب للفوز والسعادة في الدنيا والآخرة:

فيوم القيامة لا ينجو من النار ولا يدخل الجنة إلا من أتي الله بقلب سليم من الشرك والنفاق وغيرهما من الخبائث، كما قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩

وصفاء القلب للمسلمين، ونقائه من الغل والحسد والبغضاء وسائر الأدواء سبب لدخول الجنة ، ففي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"– وعندما سأله عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ عن

---

(١) صحيح مسلم، ح ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ٤/ ١٢٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ح ٨٥٦٤، ٩/ ١٠٧.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٩٨٥، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ٤/ ٢٢٨٩.

سبب ذلك مع أنه لم يرى منه كثرة صلاة ولا صيام قال: "غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ"[(١)].

و صلاح وسلامة القلب سبب للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة، وهذا ما يجده الإنسان في نفسه إن كان قلبه موصولاً بالله عز وجل،كان بعض السلف يقول: "مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه"[(٢)].

٦. الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب:

من تأمل في الشريعة، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، و مجرد القيام بأعمال الجوارح، من غير حضور ، ولا إقبال على الله، قليل المنفعة، عَنْ عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكعَتَينِ مُقبِلٌ عَلَيهِمَا بِقَلبِهِ وَوَجهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[(٣)]

"وكذلك قراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم، وجمع القلب عليها، أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سرداً، وهذا وإن كثر ثواب هذه القراءة، وكذلك صلاة ركعتين يقبل العبد فيهما على الله تعالى بقلبه، وجوارحه، ويفرغ قلبه كله لله، فيهما أحب إلى الله تعالى من مئتي ركعة خالية من ذلك، وإن كثر ثوابهما عددا"[(٤)].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١٢٧٢٠، ١٦٦/٣، قال ابن كثير: وهذا إسناده صحيح على شرط الصحيحين، تفسير القرآن، (٤٠٦/٤) .

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١/ ٤٥٤.

(٣) صحيح مسلم،ح٢٣٤،كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، ١/ ٢٠٩.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، المنار المنيف، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٢٩/١.

فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، من الإيمان والمحبة والتعظيم والإجلال، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا، وبين صلاتيهما كما بين المشرقين، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل، والآخر ساه غافل.

وكذلك في الصدقة فرجل يتصدق، وآخر مثله، وبينهما كما بين السماء والأرض، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْبِقُ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ؟ قَالَ:« رَجُلٌ كَانَ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَآخَرُ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عَرَضِهَا مِائَةَ أَلْفٍ يَعْنِي فَتَصَدَّقَ بِهَا »(١).

يقول ابن المبارك(٢) ﵀: "رُبَّ عمل صغير تكثره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغره النية"(٣).

٧. عبودية القلب لله عز وجل أعظم من عبودية الجوارح:

القلب أشرف من الجوارح، فكان عمله أشرف من عمل الجوارح، وعبودية القلب لله عز وجل أعظم من عبودية الجوارح، وأعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وأكبر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، مثل محبة الله ورسوله والتوكل عليه، وإخلاص الدين له والشكر له، والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك.

وعبادات القلب أعظم من عبادات الجوارح أجراً عند الله عز وجل ومثوبة وقد كان كثير من السلف يفضلون عبادات القلب على الإكثار من عبادة الجوارح، مع عدم إهمالهم

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ح ٧٥٦٨، كتاب الزكاة، باب ما يستدل به على أن قوله ﷺ خير الصدقة ما كان عن ظهر غني، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ١٨١/٤.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الاسفار، حاجا ومجاهدا وتاجر، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بها ١٨١ هـ منصرفا من غزو الروم، له كتاب في " الجهاد " و " الرقائق "، الأعلام للزركلي، (٤ / ١١٥).

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ط٩، تحقيق: شعيب الأرناءوط، محمد نعيم العرقسوسي، ٤٠٠/٨.

لعبادات الجوارح، "سأل رجل أم الدرداء بعد موته عن عبادته فقالت كان نهاره أجمعه في بادية التفكر وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة"[١].

وقد تكون العبادات القلبية في بعض الأحيان معوضة للعبد عن عبادات الجوارح، فالإنسان قد لا يستطيع أن يعمل بعض الأعمال، ولكنه يبلغ مبلغ العاملين لها بنيته، يأتي رجال للنبي ﷺ ليحملهم فيقول:لا أجد ما أحملكم عليه فيتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، فهؤلاء كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»[٢] ، وقال النبي ﷺ: « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[٣]

يقول ابن القيم رحمه الله:" فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها وأحكام الجوارح متفرعة عنها"[٤].

وبذلك يتبين لنا أهمية القلب ، وأنه إذا صلح، صلح الجسد كله .. وأن صلاح القلب سبب لسعادة الإنسان وفلاحه، قال ابن حجر رحمه الله: " وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه "[٥].

وإذا كانت هذه مكانة القلب وأهميته، فهلا وقفنا مع أنفسنا لننظر كيف عملنا بقلوبنا، بل ماذا عملت بنا قلوبنا؟.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ١٨١.

[٢] صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، ١٦١٠/٤.

[٣] صحيح مسلم،ح٢٣٤،كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة ، ٣/ ١٥١٧.

[٤] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦ هـ، الطبعة الأولى، ٧٠٥/٣.

[٥] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ١٢٨/١.

المبحث الثالث: أقسام القلوب:

من خلال النظر والتأمل في النصوص الشرعية، في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيهﷺ، وكلام أهل العلم في ذلك، يمكن تقسيم القلوب إلى عدة أقسام، وباعتبارات متعددة:

أولاً: تقسيم القلوب إلى قسمين: قلوب بيضاء، وقلوب سوداء، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح، عن حُذَيْفَةُ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[(١)].

ثانياً: تقسيم القلوب إلى ثلاثة أقسام: لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها، انقسم بحسب ذلك إلى ثلاثة أقسام: القلب الصحيح أو السليم، والقلب الميت، والقلب المريض، وقد جمع اللّه سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة، في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٣ - ٥٤.

" فجعل اللّه القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبتة، "[(٢)] .

ثالثاً: تقسيم القلوب إلى أربعة أقسام: قلب أجرد، وقلب أغلق، وقلب منكوس، وقلب تمده مادتان، كما قال حذيفة بن اليمان ﷺ « القلوب أربعة:قلب أجرد: أي: متجرد مما سوى الله ورسوله، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلق: فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس: فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق؛ فهو لما غلب عليه منهما » [(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، ح ٢٩٨٥، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ٤/ ٢٢٨٩.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٣/٢٧٠-٢٧١ .

(٣) مسند الإمام أحمد، ١٧/٣، وذكره ابن كثير في تفسيره، وقال: وهذا إسناد جيد حسن، ١/٥٩.

المطلب الأول: تقسيم القلوب إلى قسمين:

(قلوب بيضاء – قلوب سوداء)

كما ورد ذلك في الحديث الصحيح، عن حُذَيْفَةُ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[١]، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[٢].

وتختلف درجات السواد والبياض في كل قسم بمقدار ما أُشرب من فتن، أو ابتعد عنها وأنكرها، وكل قسم من هذين القسمين يضم أنواعًا من القلوب.

١- القلوب البيضاء:

وهي القلوب التي قبلت الحق، وإذا تعرض لفتنة وابتلاء وامتحان واختبار أنكرت الفتن، ومع استمرار الإنكار لها ينتشر البياض على قلبه حتى يغطيه، ثم يكتسب خاصية الصلابة حتى يكون مثل الصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فلا تؤثر فيه الفتن ولا تعلق به، وقد تنتابُ صاحب هذا القلبِ فترات من الضعف والغفلة الآنية، تلك الغفلة التي شبهها الرسول بالسحابة، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من القلوب قلب إلا وله سحابةٌ كسحابة القمر، بينما القمر يضيء إذ علته سحابةٌ فأظلم، إذ تجلت»[٣].

وهذه السحب تمثل العوارض التي تَعْتَرِضُ أصحابَ القلوب البيضاء، ولكنها كلَّها تزول وتنجلي السحابة عن القمر المضيء، فتعود أشعتُه تخترق القلوب، وتنير لأصحابها الحق الذي لا تشوبه فتنة.

---

(١) مرباد: شيء من بياض يسير يخالط السواد، الكوز: الكأس، مجخياً : منكوساً أو مائلا.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٩٨٥، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ٤/ ٢٢٨٩.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني، ح ٥٢٢٠، ٥/٢٤٧، وحسنه الألباني، صحيح الجامع (٥٦٨٢).

والقلوب البيضاء تشمل أنواع عده منها: القلوب المطمئنة، والقلوب السليمة، والقلوب المنيبة، والقلوب الوجلة، والقلوب المخبتة، والقلوب المقشعرة اللينة.

القلوب المطمئنة التي تسكن وتستأنس وتطمئن بذكر الله سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ ، والقلوب الوجلة الخائفة من الله سبحانه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٠، والقلوب السليمة التي سلمت من الشك والشرك، و أصبحت سالمه و خالصة من الأوصاف الذميمة، و متصفة بالأوصاف الجميلة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ ، و القلوب المنيبة المقبلة على الطاعة راجعه إلى الله عز وجل في كل الأمور، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ ق: ٣٣.

ومن القلوب البيضاء القلوب المخبتة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤ فتخبت له قلوبهم أي: تخشع وتسكن وتنقاد، والمخبتون من عباده المتواضعون، الخاشعون، المخلصون.

ومن القلوب البيضاء القلوب المقشعرة اللينة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣ ، أي "إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ "[1].

---

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت، ٧٦/٤.

٢- القلوب السوداء:

ويتضح ذلك من قول رسول الله ﷺ : " وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"[١].

وهي القلوب التي تتقبل الفتن وتلج فيها (فأي قلب أُشربها) أي: دخلت فيه دخولاً تامًا وأُلْزِمها وحلت فيه محل الشراب، فيُنكت فيه نكتة سوداء، ومع تكرار الفتن التي تعرض عليه وقبواه لها ينتشر السواد في القلب حتى يغطيه، فيكون مُرْبَادًّا أي: شديد السواد، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا أي: كقدح الماء عندما ينكفئ، فلا يعلق به خير ولا حكمه، ولا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه.

ولاختلاف درجات الفتن واختلاف درجات قبولها من قلب إلى قلب آخر تتعدد أنواع كثيرة للقلوب السوداء فمنها القلوب الغليظة، والزائغة، والغافلة، والقاسية، والمغلَّفة، والمريضة، والمختومة، والمطبوعة، والمكنونة، والعمياء، والمقفلة، واللاهية، وغيرها.

القلوب المختومة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ البقرة: ٧.

والقلوب المريضة ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠.

والقلوب القاسية الصلبة التي لا تعي خيرا ولا تفعله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ ﴾ المائدة: ١٣.

والقلوب الزائغة التي مالت عن الحق وعن القصد السوي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الصف: ٥.

---

[١] صحيح مسلم، ح ٢٩٨٥، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ٤/ ٢٢٨٩.

والقلوب المغلفة وهي التي تجعل عليها الأغلفة وهي الأغطية، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ **البقرة: ٨٨** ، وكذلك القلوب المكنونة التي تجعل عليه الأكنة: جمع كنان، وهو ما ستر الشيء، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ **الأنعام: ٢٥**.

والقلوب الغافلة وهي البعيدة عن الله ﷻ الغافلة عن ذكره **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ **الكهف: ٢٨**.

والقلوب المنكرة التي يحصل لها الإنكار، فلا تقبل الوعظ ولا ينفعها التذكر، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ **النحل: ٢٢**.

والقلوب المطبوع عليها، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ **غافر: ٣٥**.

والقلوب العمياء التي تعمى عن إدراك الحق و الأخذ به، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ **الحج: ٤٦**،

والقلوب اللاهية و الساهية،المعرضة عن ذكر الله، المتشاغلة عن التأمل والتفهم في معناه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **الأنبياء: ٣** .

المطلب الثاني: تقسيم القلوب إلى ثلاثة أقسام:

(القلب الصحيح – القلب الميت – القلب المريض)

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها، انقسم بحسب ذلك إلى ثلاثة أقسام: القلب الصحيح أو السليم، والقلب الميت، والقلب المريض، وهي عبارة عن ثلاث حالات تنتاب القلوب، وقد جمع اللَّه سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة، في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٣ - ٥٤.

" فجعل اللَّه القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبتة، وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً، وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة، فالأول هو القاسي: وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلا لينا قابلاً، و الثاني: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لا يزول عنه؛ لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال، فالثاني هو الذي فيه مرض، والأول هو القوي اللين"[(١)].

و"القلوب ثلاثة: قلب قاسٍ غليظ بمنزلة اليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جداً، فالأول: لا ينفعل بمنزلة الحجر، والثاني بمنزلة الماء، وكلاهما ناقص، وأصحُّ القلوب القلب الرقيق الصافي الصلب، فهو يرى الحق من الباطل بصفائه، ويقبله ويُؤْثِره برقّته، ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته"[(٢)].

" القلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول له، والقلب الميت لا يقبله ولا ينقاد له، والقلب المريض إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم"[(٣)].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٣/٢٧٠-٢٧١ .

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، ص٢٤١.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/١٠.

أولاً : القلب الصحيح :

القلب الصحيح، هو القلب السليم الذي ينفع صاحبه عند ربه، والذي لا ينجو يوم القيامة إلا مَنْ أتى الله تعالى به، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩، وهذا القلب هو قلب أهل الإيمان والتقوى، المطيعون لله ورسوله، يقول الله تبارك وتعالى عن سلامة قلب إبراهيم الخليل: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾ الصافات: ٨٤، أي بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد"[١]، فإبراهيم عليه السلام حقق ذلك، ولذلك أمر رسول الله ﷺ، بالتأسي والاقتداء به؛ لأن قلبه عليه السلام سَلِمَ من الشرك، ومن الولاء لغير الله، ومن المداهنة، والرياء، والنفاق، فخلص وتجرد، وتطهر لله وحده لا شريك له.

وكان النبي ﷺ، يدعو ويسأل الله ﷻ، قلباً سليما، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول في صلاته « وأسألك قلباً سليماً »[٢].

و القلب السليم هو: " الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده فالقلب السليم : هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى : إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله"[٣].

---

[١] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٦٩/٢٣.

[٢] سنن النسائي، ح١٢٢٧، كتاب ، باب الدعاء بعد الذكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ٣٨٦/١. قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن بطرقه.

[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٧/١.

وقال محمد بن سيرين[(١)] رحمه الله: " القلب السليم هو الذي يعلم أن اللَّه حق، وأن الساعة قائمة، وأن اللَّه يبعث من في القبور "[(٢)].

وقال ابن رجب[(٣)] رحمه الله: " القلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلِّها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة اللَّه وما يحبه اللَّه، وخشية اللَّه، وخشية ما يُباعد منه "[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: "وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟ وقد أثنى اللَّه تعالى على خليله عليه السلام بسلامة القلب فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ **الصافات: ٨٣ - ٨٤** ، وقال حاكياً عنه أنه قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ **الشعراء: ٨٨ - ٨٩** ، والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن اللَّه، وسلم من كل شبهة تعارض خبر اللَّه، ومن كل شهوة تعارض أمر ربه، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن اللَّه، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة البرزخ، وفي جنة يوم المعاد.ولا يتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم "[(٥)].

---

(١) محمد بن سيرين البصري، الانصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي جليل، من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة ١١٠ هـ ، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك، بفارس، وكان أبوه مولى لأنس. الأعلام للزركلي (٦ / ١٥٤).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩١/١٥ .

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء، من كتبه فتح الباري و جامع العلوم والحكم ، وذم قسوة القلوب، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق ٧٩٥ هـ، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٥).

(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٢١١/١ .

(٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٨٣ .

- علامات صحة القلب:

أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله، ويخبت إليه ، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، فيستغنى بحبه عن حب ما سواه، وبذكره عن ذكر ما سواه ، وبطاعته عن طاعة من سواه .

- ومن علامات صحة القلب: أنه إذا فاته وِرْدهُ أو طاعة من الطاعات، وجَدَ لذلك ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده .

- ومن علامات صحته: أنه يشتاق إلى الخدمة كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب - قال يحيى بن معاذ[1] رحمه الله: " من سر بخدمة الله سُرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عيون كل أحد بالنظر إليه "[2] .

- ومن علامات صحته: أن يكون همه واحداً ، وأن يكون فى الله يعنى فى طاعة الله.

- ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً كأشد الناس شحاً بماله.

- ومن علامات صحته: أن يكون إذا دخل فى الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا ووجد فيها راحته ، ونعيمه وقرةَ عينه ، وسرور قلبه.

- ومن علامات صحته: أن لا يفتر عن ذكر ربه ، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويذكره به .

- ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة، والمتابعة، والإحسان، ويشهد مع ذلك منةَ الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله.

ومن علامات صحة القلب :أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها، أو أبنائها، جاء إلى هذه الدار غريباً يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه.

---

(١) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، له كلمات سائرة، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور، ٢٥٨ هـ. الأعلام للزركلي (٨ / ١٧٢).

(٢) السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص١٠٢.

٢ - القلب الميت :

القلب الميت: " هو الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير اللّه حباً، وخوفاً، ورجاء، ورضا وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً، إن أحب، أحب لهواه، وإن أبغض، أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادَى إلى اللّه وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يُصِمّه عما سوى الباطل ويعميه ... فمخالطة صاحب هذا القلب سَقَم، ومعاشرته سُمّ، ومجالسته هلاك "[١].

والقلب الميت، وهو قلب أهل الكفر والنفاق، الذين لم يدخل قلوبهم الإيمان، ولم يرد الله بهم خيراً، أعرضوا عن الله وعن رسوله، واتبعوا الشيطان والهوى، فلا هادي لهم بعد الله، ولا منجي لهم من عذاب الجحيم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ٢٣ .

والقلب الميت يمرض ثم إذا اشتد المرض بالقلب؛ حصل له الموت، والموت: هو القسوة، وقد حذر اللّه من قسوة القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر: ٢٢.

وبعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فَتَقْسُوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم" [٢].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان ٩/١ .

[٢] صحيح مسلم، ح١٠٥٠، كتاب الزكاة ، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، ٧٢٦/٢.

والقسوة في القلب : غلظ القلب وشدَّته، وذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، فالقسوة يبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثر بالنوازل، فلا يتأثر لغلظه وقسوته، لا لصبره واحتماله، فالقلب القاسي: " هو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً "[١].

والقلوب القاسية الحجرية، لا تقبل ما يبث فيها، ولا ينطبع فيها الحق، ولا ترتسم فيها العلوم النافعة، ولا تلين لإعطاء الأعمال الصالحة.

وعند إهمال القلب حين مرضه، وعدم تداركه، تعتريه العلل وتصيبه الآفات، فعند ذلك يصيب القلب الختم، والقسوة، والزيغ، والغفلة، والطبع، وتجعل عليه الأغلفة والأكنة، ويغطيه الران بسبب ما يكسبه ويقترفه من الذنوب والمعاصي.

٣- القلب المريض :

القلب يحصل له المرض كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ النور: ٥٠.

"ومرض القلب هو نوع فسادٍ يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته، فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته : بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار "

" والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض، وحياة وشفاء، وحياته، وموته، ومرضه، وشفاؤه أعظم من حياة البدن، وموته ومرضه، وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة، أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه "[٢].

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٧١/١٣ .

[٢] المرجع السابق، ٩٣/١٠-٩٥ .

" القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة ومرض الشهوات المردية ، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع ، كلها من مرض الشبهات والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢، وهو شهوة الزنا ، والمعافى من عوفي من هذين المرضين "[(١)].

و القلب المريض " قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة اللَّه تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه : ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات، وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة، ما هو مادة هلاكه، وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى اللَّه ورسوله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً ".

والقلب المريض الذي ابْتُلي بأمراض الشهوات والشبهات يتنازعه المرض والسلامة فهو لما غلب عليه منهما، فتجده ميّالاً إلى الشهوات، لا يغض بصره عن عورة، ولا يكف يده عن مال ليس له، ولا يكف لسانه عن غيبة ونميمة، وعن أكل لحوم الناس، ولا يعلق سمعه عن ما حرم الله من آلات اللهو ونحوها.

بل وأشد من ذلك، أن لا يقوم بما أمره الله به ورسوله من أداء الطاعات، وتجد في قلبه الشبه التي تشككه في ربه ودينه ونبيه وفي إخوانه المسلمين من حوله.

والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، وفتن المعاصي والبدع، وفتن الظلم والجهل.

ومدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان: الغضب والضلال، وهذان المرضان ملاك أمراض القلوب جميعها، وشفاء ذلك بالهداية العلمية، والهداية العملية وتكون بتحقيق التوحيد لله، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن ص٢٤، ٢٥ .

علامات مرض القلب :

قد يمرض قلب العبد، ويشتد المرض، ولا يعرف به صاحبه، بل قد يموت وصاحبه لا يعرف بموته، وعلامة مرضه أو موته، أن صاحبه لا تؤلمه جراحات المعاصي، ولا يوجعه جهله بالحق، وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان حياً تألم بورود القبائح عليه، وتألم بجهله بالحق، وقد يشعر بالمرض، ويشتد عليه مرارة الدواء، فهو يؤثر بقاء الألم على مشقة الدواء.

ومن علامات أمراض القلوب عدولها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن الدواء النافع إلى دائها الضار، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذى ، والقلب المريض بضدّ ذلك، وأنفع الأغذية : غذاء الإيمان ، وأنفع الأدوية : دواء القرآن .

وكلما مرض القلب آثر الدنيا، واستوطنها، حتى يصير من أهلها.

ومريض القلب، إن يسر له الدواء في بداية مرضه وقبل أن يشتد، رجي له العافية، أما إذا اشتد المرض مات القلب، ولم يُرجَ له صلاح بعد ذلك، لعدم تفريقه بين المعروف والمنكر، والخير والشر، والصلاح والفساد، وقد يعلم الإنسان بمرض قلبه، لكن يصعب عليه تحمل الدواء، فيبقى حبيس مرضه وألمه حتى يلقى ربه، كذلك فيكون من الخاسرين، لأن المعاصي لا تزال بالعبد حتى تهلكه.

المطلب الثالث: تقسيم القلوب إلى أربعة أقسام:

(قلب أجرد – قلب أغلق – قلب منكوس – قلب تمده مادتان)

القلوب تنقسم إلى أربعة أقسام، كما قال حذيفة بن اليمان ﷺ « القلوب أربعة: قلب أجرد: أي: متجرد مما سوى الله ورسوله، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلق: فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس: فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق؛ فهو لما غلب عليه منهما »[(١)].

١- **القلب الأجرد:** "أي متجرد مما سوى اللَّه ورسوله ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق، و"فيه سراج يزهر" وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان"[(٢)].

٢- **القلب الأغلف:** وهو قلب الكافر، لأنه داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكياً عن اليهود: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ البقرة: ٨٨، وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كقُلْف وأقلَف، وهذه الغشاوة هي الأكِنّة التي ضربها اللَّه على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أكِنَّة على القلوب وَوَقْرٌ في الأسماع، وعمىً في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الإسراء: ٤٥ ــ ٤٦.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ١٧/٣، وذكره ابن كثير في تفسيره، وقال: وهذا إسناد جيد حسن، ٥٩/١.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان، ١٢/١.

٣- **القلب المنكوس:** وهو "قلب المنافق، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ النساء: ٨٨، أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه ، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة، وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله "[1].

٤- **القلب الذي له مادتان:** وهو" القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه ، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث اللّه به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه ، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان ، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع "[2].

وهذا القلب له مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما، فتارة تراه في وسط القلوب المؤمنة، وتارة تراه في وسط القلوب المنافقة، وهذا يخشى عليه والعياذ بالله، أنه لا يدري متى سيأتيه ملك الموت، هل سيأتيه وقلبه في جانب أهل الإيمان، أم سيأتيه وقلبه في جانب أهل النفاق.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان، ١٣/١.

(٢) المرجع السابق، ٣١/١ .

الفصل الأول

أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تنمية أعمال القلوب.
- المبحث الثاني: وقاية القلوب.
- المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب.

الفصل الأول

أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

لقد تميز الإسلام في تربيته للإنسان، وإصلاح كيانه، وتنمية شخصيته، بمنهجه الفريد الرباني، الشامل، الذي يسير في مسار متوازن ومتوافق مع طبيعة الإنسان، ليصل به إلى أعلى درجات الكامل البشري.

والمنهج الإسلامي وهو يهدف إلى إصلاح قلب الإنسان وتربيته، وتزكيته، يقوم على مرتكزات ثلاث في تحقيق ذلك:

١. حفظ قوته، وتنمية أعماله الفاضلة.

٢. حمايته من كل ما يؤذيه، ووقايته مما يفسده.

٣. علاج أمراضه، واستفراغ المواد الفاسدة منه.

" فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته؛ وهو الإيمان، وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذي الضار؛ وذلك باجتناب الآثام، والمعاصي، وأنواع المخالفات، وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له؛ وذلك بالتوبة النصوح، واستغفار غافر الخطيئات"[(١)].

وهذه الجوانب الثلاثة: الجانب الإنمائي، و الجانب الوقائي، والجانب العلاجي، هي الركائز التي عليها مدار صحة القلب، والأهداف التي تراد من خلال عملية إصلاحه، " فمدار الصحة على حفظ القوة، والحمية عن المؤذى، واستفراغ المواد الفاسدة، ونظر الطبيب دائر على هذه الأصول الثلاثة وقد تضمنها الكتاب العزيز، وأرشد إليها من أنزله شفاء، ورحمة"[(٢)].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٧/١.

(٢) المرجع السابق، ١٦/١.

المبحث الأول: تنمية إعمال القلوب:

تمهيد: مفهوم تنمية أعمال القلوب:

التنمية في اللغة: مشتقة من نما، ينمو، نمواً؛ بمعنى الزيادة في الشيء، " النَّماءُ الزيادة، نَمَى يَنْمِي، نَمْياً، ونُمِيّاً، ونَماءَ، زاد وكثر، وربما قالوا: يَنْمُو نُمُوًّا، وأَنْمَيْتُ الشيءَ، ونَمَّيْته جعلته نامياً"[(١)]، و" نما الشيء نماء، ونموا؛ زاد وكثر، يقال نما الزرع، ونما الولد، ونما المال"[(٢)]، ومنه ينمو نمَوًا، فالنماء يعني: أن الشيء يزيد حالاً بعد حال.

و" تشير معاجم العربية إلى أن (التنمية) في اللغة تعني الزيادة في كم الأشياء، وكيفها ونوعها"[٣].

وتنمية أعمال القلوب:

هو تحسين حال القلب، ورفع مستوى إيمانه، وترقيته بالازدياد من قدر أعماله الفاضلة، الواجبة، والمستحبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " زيادة الإيمان ونقصه: وهو زيادة أعمال القلوب ونقصها، فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن: أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء، والكبر والعجب، ونحو ذلك، والرحمة للخلق، والنصح لهم ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية"[(٤)].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "نمي" ٣٤١/١٥.

(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط،مادة "نمى"، ٢ / ٩٥٦.

(٣) بكار عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ، ص٩.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/ ٥٦٣.

المطلب الأول : تعريف أعمال القلوب وأهميتها :

أولاً : تعريف أعمال القلوب :

عند البحث في كلام السلف رحمهم الله وحديثهم، عن أعمال القلوب، وتعريفهم لها، يلاحظ أنهم يعرفون أعمال القلوب بذكر أمثلة لها، دون أن يذكروا لها تعريفاً اصطلاحيا، كما هي عادتهم في ذلك، ونجد أن حاصل كلامهم في ذلك أن أعمال القلوب هي: " الأعمال التي يتعلق أدائها بالقلب دن سائر الجوارح، وغالباً ما تكون بين العبد وربه، ويتعذر الحكم عليها، ولكن بعض لوازمها، وعلاماتها، ومقتضياتها، قد تظهر أحياناً، كما أنه يستدل عليها ببعض الأعمال التي لها تعلق بها"(١).

وعمل القلب يشمل كل ما يتعلق أدائه بالقلب دون سائر الجوارح، سواء كان ذلك العمل ممدوحاً، أو مذموماً، لكن الذي سار عليه أهل العلم عند الحديث عن أعمال القلوب، أنهم يقصدون بها: الأعمال المشروعة، والممدوحة، دون الأعمال غير المشروعة، والمذمومة ،حيث يذكرونها عند الحديث عن أمراض القلوب وآفاتها، فإذاً الأعمال القلبية المراد تنميتها (لا يقصد بها أي عمل من أعمال القلوب مقبولاً كان أو غير مقبول، ومشروعاً كان أو غير مشروع، وإنما يعني بذلك أعمال القلوب المشروعة فقط؛ الواجبة، والمستحبة)(٢).

الفرق بين أقوال القلوب وأعمالها :

عند تعريف السلف للإيمان بأنه قول وعمل، فإنه يشمل قول القلب، وعمله، وكذلك قول اللسان، وعمل الجارح، " وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ ومعنى ذلك أنه قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان، وعمل الجوارح"(٣).

---

(١) دكوري، محمد، أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية، غير منشورة، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ، ص٢٩.

(٢) العتيبي، سهل بن رافع، أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، مطابع جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢٦هـ،ص١٥٥.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/ ٦٧٢.

فإيمان القلب يشتمل على أصلين:

الأول: قول القلب.

الثاني: عمل القلب.

"والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر والعزم على تركه"(١).

فقول القلب: "هو الاعتقاد، والإقرار، والمعرفة، والعلم، والتصديق، كاعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، وعن أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، ولقائه، على لسان رسوله ﷺ ونحو ذلك،.. فالمعرفة، والإقرار، والتصديق، والعلم، والاعتقاد؛ كلها عبارات تطلق عند السلف على قول القلب غالباً"(٢).

وعمل القلب: هو انقياده لما صدق به، ونيته، وإخلاصه، ولوازم ذلك، وتوابعه من أعمال القلوب، كالتوكل، والرجاء، والمحبة، والصبر ونحو ذلك"(٣).

ثم إن بين أعمال القلوب، وأقوالها، علاقة قوية وتلازم؛ بحيث لا ينفك بعضها عن بعض، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بهما، فـ" أقوال القلب وإن كانت أصل في الإيمان يزول بزوالها، إلا أنها لا تنفع وحدها، بل لابد أن ينضم إليها عمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح"(٤)، فـ" الإيمان وإن كان أصله تصديق القلب، فذلك التصديق لا بد أن يوجب حالاً في القلب وعملا له..، فإذا لم تحصل هذه الحال، والعمل في القلب لم ينفع ذلك التصديق، ولم يغن شيئا"(٥).

---

(١) السعدي، عبد الرحمن ناصر، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، دار طيبة، الرياض، ط١٤١٤،١هـ، ١ / ٩١.

(٢) العتيبي، سهل بن رافع، أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها، ص١٦١.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٥٥.

(٥) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ، ط١، ٣/ ٩٦٦.

ثانياً: أهمية أعمال القلوب:

أعمال القلوب لها منزلة، وقدر، وجلالة، ومكانة عظيمة في الدين؛ وذلك لما لصلاح أعمال القلب وفسادها من آثار على العبد في الدنيا، والآخرة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (أعمال القلوب.. هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبعاً، ومكملة، ومتممة)[١].

وأهمية أعمال القلوب، تتضح من خلال الآتي:

أولاً: الأعمال القلبية أساس النجاة من النار، والفوز بالجنة: كالتوحيد فهو عبادة قلبية محضة، وسلامة الصدر، وصفاء القلب للمسلمين، ونقائه، عبادة قلبية، وهو سبب لدخول الجنة ، ففي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » – وعندما سأله عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن سبب ذلك، مع أنه لم يرَ منه كثرة صلاة، ولا صيام – قال: « غَيْرَ أَنِّ لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ »[٢]، فالعبادات القلبية أساس النجاة، والفوز بالجنة.

ثانياً: أعمال القلوب سبب المراتب العالية في الجنة: فالحب في الله عبادة قلبية، وقد صح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لله جُلَسَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، وَكِلْتَا يَدَي الله يَمِينٌ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، وَلَا صِدِّيقِينَ، قِيلَ يَا رَسُولَ الله: مَنْ هُمْ قَالَ: هُمْ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٣].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ ، ط١، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي ، ٧٠٥/٣.

[٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١٢٧٢٠، ١٦٦/٣، قال ابن كثير: وهذا إسناده صحيح على شرط الصحيحين، تفسير القرآن، (٤٠٦/٤) .

[٣] المعجم الكبير للطبراني، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ح٣٤٣٤، ٢٩٠/٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: " ورجاله وثقوا "، ٢٧٧/١٠.

ثالثاً: أن العبادات القلبية أحلى وأوقع وأجمل أثراً في نفس الإنسان إن كان قلبه موصولاً بالله عز وجل، كان بعض السلف يقول: "مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه"(١).

رابعاً: عبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح: فعبادات القلب أعظم من عبادات الجوارح أجراً عند الله ﷻ، ومثوبة، وقد كان كثير من السلف يفضلون عبادات القلب على الإكثار من عبادة الجوارح، مع عدم إهمالهم لعبادات الجوارح، "سأل رجل أم الدرداء بعد موته عن عبادته، فقالت: كان نهاره اجمعه في بادية التفكر، وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة"(٢).

خامساً: أن العبادات القلبية محركة ودافعة لأعمال الجوارح: إذْ كلما عظم الإيمان، والتوحيد، ومحبة الله في القلب؛ كلما كان ذلك دافعاً للجوارح للعبادة .. يقول أحد السلف وهو عتبة الغلام: " من عرف الله؛ أحبه، ومن أحبه؛ أطاعه"(٣)، فإذا وُجدَ الإقبال، والمحبة في قلب العبد؛ أقبلت جوارح العبد على الطاعات، وهان عليها التعب في الطاعة والعبادة .

سادساً: الأعمال تتفاضل بتفاضل أعمال القلوب: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ من الإيمان، والمحبة، والتعظيم والإجلال لله ﷻ، فقد تكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين المشرقين، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله ﷻ، والآخر ساه غافل.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١/ ٤٣٤.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، ١/ ١٨١.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ط٩، تحقيق: شعيب الأرناءوط، محمد نعيم العرقسوسي، ٦٣/٧.

"وكذلك قراءة سورة بتدبر، ومعرفة، وتفهم، وجمع القلب عليها، أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سرداً، وهذا وإن كثر ثواب هذه القراءة، وكذلك صلاة ركعتين يقبل العبد فيهما على الله تعالى بقلبه، وجوارحه، ويفرغ قلبه كله لله فيهما، أحب إلى الله تعالى من مئتي ركعة خالية من ذلك، وإن كثر ثوابهما عددا"[1].

يقول ابن المبارك رحمه الله: "رُبَّ عمل صغير تكثره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغره النية" .

سابعاً: أن العبادات القلبية قد تكون في بعض الأحيان معوضة للعبد عن عبادات الجوارح: فالإنسان قد لا يستطيع أن يعمل بعض الأعمال، ولكنه يبلغ مبلغ العاملين لها بنيته، قال تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ التوبة: ٩٢، فهؤلاء كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»(٢)، وقال النبي ﷺ: « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[3].

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، المنار المنيف، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٣ هـ، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ١/٣٠.

[2] صحيح البخاري، ح٥٢، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، ٤/١٦١٠.

[3] صحيح مسلم، ح٢٣٤، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة ، ٣/ ١٥١٧.

المطلب الثاني: أنواع أعمال القلوب وأحكامها:

أولاً: أنواع أعمال القلوب:

أجتهد العلماء رحمهم الله، وبارك في جهودهم، في تعداد أعمال القلوب وحصرها، وذلك عند حديثهم عن شعب الإيمان المتعلقة بالقلب، فذكر الحافظ ابن حجر، للقلب أربعاً وعشرين خصلة، " فأعمال القلب فيه: المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده؛ بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، وإتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغصب"[١].

وإن كان في الحقيقة أن " أعمال القلوب غير منحصرة في عدد معين؛ لأن كل عمل منها له أفراد متعددة، ولوازم متنوعة، قد يصعب حصرها أحياناً، وكل فرد أو لازم يعتبر عملاً قلبياً مستقلاً، له أحكامه الخاصة به، وأيضاً منها المتداخلة والمتقاربة في المعنى، أضف إلى ذلك أضدادها الكثيرة المحرمة والمكروهة، وكذلك المباح منها الذي يتحول بالنية إلى طاعات أو إلى سيئات"[٢].

وأعمال القلوب يمكن تقسيمها إلى قسمين[٣]:

أولاً: أعمال القلوب المحضة: كالمحبة، والخوف، والخشية، والإخلاص.

ثانياً: أعمال القلوب التي لها اشتراك مع بقية الجوارح: كالصبر، والشكر، والذكر.

---

[١] العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ١ / ٥٢.

[٢] العتيبي، سهل بن رافع، أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها، ص١٥٥.

[٣] دكوري، محمد، أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، ص .

ويمكن تقسيم أنواع أعمال القلوب إلى ثلاثة أقسام[(١)]:

الأول: أعمال القلوب التي تكون مع الله ﷻ:

وهي أغلب أعمال القلوب، والمرادة غالباً عند إطلاق أعمال القلوب، وهي كثيرة جداً: كالإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، واليقين، والتوكل، والشكر، والصبر، والإخبات، الإنابة، والخشوع، والخشية، والرهبة، والصدق، وغيرها من أعمال القلوب.

الثاني: أعمال القلوب التي تكون مع النفس:

وهي عبارة عن أعمال متعلقة بالنفس، ويكون أدائها ومحلها في القلب، وإن كانت آثارها تظهر على الشخصية، وتطبيقاتها ترى في الحياة العملية، ومنها: العزة، السكينة، الهمة العالية، قوة الإرادة، الغيرة، العزم، التفاؤل، الثبات.

الثالث: أنواع القلوب التي تكون مع الغير (الآخرين):

وهذه الأعمال تكون نابعة من القلب، وآثارها تحصل عند التعامل مع الآخرين، كالتواضع، والرحمة، والشفقة، والرأفة، والمودة، والحنان، والحياء.

ثانياً: أحكام أعمال القلوب:

إن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة شاملة، أتت أحكامها مفصلة لكل جوانب وجزئيات حياة المسلم، بما في ذلك أعمال قلبه، فقد ذكر العلماء وفصلوا في الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال القلوب، والتي تشمل الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة وهي: الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والمباح، " ووجه الحصر في هذه الأقسام الخمسة:

أن الخطاب الشرعي إما أن يكون طلبًا أو تخييرًا.

فإن كان طلبًا فهذا يشمل طلب الفعل وطلب الترك، والطلب قد يكون جازمًا وغير جازم، فطلب الفعل يشمل الواجب والمندوب،.. وطلب الترك يشمل المحرم والمكروه.

أما إن كان الخطاب الشرعي تخييرًا لا طلب فيه، فهذا هو المباح "[(٢)].

---

(١) موسوعة نظرة النعيم، دار الوسيلة، جدة، ط٣، ١٤٢٥هـ، مخطط بعد ص(س و).

(٢) الجيزاني، محمد بن حسين، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص٢٩٦-٢٩٧.

١- أعمال القلب الواجبة والمستحبة:

"فواجب القلب منه متفق على وجوبه ومختلف فيه، فالمتفق على وجوبه كالإخلاص والتوكل والمحبة والصبر والإنابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية في العبادة ،.. وكذلك الصدق ،.. واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة، وكذلك النصح في العبودية، ومدار الدين عليه، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له، وأصل هذا واجب، وكماله مرتبة المقربين، وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان: واجب مستحق؛ وهو مرتبة أصحاب اليمين، وكمال مستحب، وهو مرتبة المقربين.

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة،... وله طرفان أيضاً: واجب مستحق، وكمال مستحب، وأما المختلف فيه فكالرضا، فإن في وجوبه قولين،.. ومن هذا أيضا اختلافهم في الخشوع في الصلاة، وفيه قولان للفقهاء، ... والقصد أن هذه الأعمال واجبها ومستحبها هي عبودية القلب لله سبحانه وتعالى، فمن عطلها فقد عطل عبودية الملك، وإن قام بعبودية رعيته من الجوارح، والمقصود أن يكون ملك الأعضاء وهو القلب قائما بعبوديته لله سبحانه هو ورعيته"[١].

٢- أعمال القلب المباحة:

من أعمال القلوب ما يكون مباحاً، وهي التي تكون أسبابها مباحة، مثل: الحب الطبيعي والخوف الطبيعي، وبغض بعض الأشياء، و"سائر أعمال القلوب من الحب والبغض، وغير ذلك كلها ينقسم: إلى محبوب لله، ومكروه لله، ومباح " [٢]

من ذلك المحبة الطبيعية التي في الإنسان؛ كمحبة الرجل لزوجته وولده، ومحبة الجائع للطعام والظمآن للماء، وكذلك ما يتعلق بالخوف الطبيعي الجبلي، الذي تكن له أسباب ظاهره، كخوف الإنسان من عدو، أو سبع، ونحو ذلك، كلها تعتبر من الأعمال القلبية المباحة،

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١ / ١١٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣، ط١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، ٢ / ١٢٣.

فهي بذاتها أعمال قلبية مباحة، ولكن قد يتغير حكمها بسبب متعلقاتها، وما يترتب عليها، فإن أعانت على الطاعة فهي طاعة، وإن كانت سبباً لترك واجب، أو فعل محرم فهي محرمة، وكذلك إذا نوى الإنسان بالمباح إرادة الخير كان ذلك مما يثاب علية ويؤجر، "والمباح بالنية الحسنة يكون خيراً، وبالنية السيئة يكون شراً،.. فإذا فعل شيئًا من المباحات؛ فلابد له من غاية ينتهي إليها قصده، وكل مقصود إما أن يقصد لنفسه، وإما أن يقصد لغيره، فإن كان منتهى مقصوده، ومراده عبادة اللّه وحده لا شريك له، وهو إلهه الذي يعبده لا يعبد شيئًا سواه، وهو أحب إليه من كل ما سواه، فإن إرادته تنتهي إلى إرادته وجه اللّه، فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « نَفَقَة الرجل على أهله يحتسبها صدقة » . .. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه، لأبي موسى رضي الله عنه : إني أحتسب نَوْمَتِي كما أحتسب قَوْمَتِي، وفي الأثر : نوم العالِمِ تسبيحٌ "[١].

٣- أحكام الأعمال القلبية من حيث الثواب والعقاب:

أعمال القلوب كأعمال الأبدان يتعلق بها الثواب والعقاب، كما يتعلق بأعمال الجوارح، فالإنسان يعاقب إذا توكل على غير الله عز وجل، وكذا إذا خاف من غير الله عز وجل، خوفاً لا يصلح إلا لله؛ فإنه يعاقب، وهكذا إذا انعدم الإيمان في قلبه، أو نقص إيمانه الواجب، فإنه يعذب

كما أن الإنسان يعذب على الأعمال القلبية السيئة: كالمحبة المحرمة، وسوء الظن بالله عز وجل، أو بإخوانه المؤمنين.. وهكذا على سائر الأعمال القلبية المحرمة.

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/ ٤٣.

المبحث الثاني: وقاية القلوب:

إن من أهم الأشياء التي ينبغي للإنسان أن يقوم بمراجعتها في كل حين، حتى يتأكد من صحتها وسلامتها هذا القلب، الذي بين جنبي الإنسان، والذي يعد الجوهر الحقيقي لشخصيته، فقد يداهمه مرض من أمراض القلوب وهو لا يشعر، فينبغي للإنسان أن يحمي قلبه ويقيه، من كل أنواع الشبهات، والشهوات، والجهل والإعراض، لأنها إذا جاءت والقلب خالٍ من الإيمان، والتقوى، فإنها تتمكن من القلب وعند ذلك يصعب معالجته إذا أصابه المرض.

والشبهات والشهوات أمران موجودان بقوة في هذا الزمان، الذي تخلى فيه كثير من الناس عن منهج التربية الإسلامية، في الاستمساك بالكتاب والسنة، اللذان من يستمسك بهما فإنه لا يضل، ولا يشقى، ومن يتركهما يضل، ويزيغ.

والشيطان يعمل مكائده على المسلمين فيلقى عليهم فتن الشبهات والشهوات، وهاتان الفتنتان لم تزل تتزايدان شيئاً فشيئاً، حتى استحكمت على كثير من الناس، وأطاعه أكثر الخلق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم من جمع بينهما.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :" الفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما"[1]، "وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله تعالى:﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ ﴾ التوبة: ٦٩، أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا، وشهواتها، والخلاق:هو النصيب المقدر، ثم قال ﴿ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ ﴾ فهذا الخوض با لباطل، وهو الشبهات، فأشار-سبحانه- في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب، والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل وتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح، فالأول: هو البدع وما والاها،

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٦٥/٢.

والثاني: فسق العمل، فالأول: فساد من جهة الشبهات، والثاني: من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون: (احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه)، وكانوا يقولون: (احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)، وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني :أصل فتنة الشهوة "[١].

إن أعداء الإسلام يحاربون المسلمين ويفسدون أجيالهم، بتكثير الشبهات لإفساد عقولهم، وإثارة الشهوات لإفساد سلوكهم، باستخدام تقنيات العصر الحديث، وعبر وسائل الأعلام، على صفحات الجرائد، وعبر شاشات التليفزيون، وعبر الإذاعات المسموعة، وعلى شبكات الإنترنت، والهدف من ذلك هو إيجاد جيل جديد من المسلمين الضعاف في العقيدة و الدين، فيسهل السيطرة على الأمة الإسلامية، ومسخ هويتها، فالواجب على الأمة جميعاً أن تلتزم بتعليم الدين الصحيح، وتحصن أجيال الأمة، حتى ينشأ جيلاً إسلامياً فريداً، محصنا من فتن الشبهات والشهوات، جيلاً يعرف الفرق بين الحقيقة و الافتراء، جيلاً واعياً يكشف الزيف لو سمعه، ويطرد الغث لو غزاه.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٦٦/٢.

تمهيد: مفهوم وقاية القلوب:

الوقاية في اللغة: تأتي بمعنى الصيانة، والحماية، وستر الشيء عن الأذى ، " وَقَيْتُ الشيء أَقِيه إذا صُنْتَه وسَتَرْتَه عن الأَذى، ..ووقاهُ صانَه، ووقاه ما يَكْرَه، ووقَّاه حَماهُ منه، والتخفيف أَعلى، وفي التنزيل العزيز ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ الإنسان: ١١، والوِقاءُ، والوَقاء، والوِقايةُ، والوَقايةُ، والوُقايةُ، والواقِيةُ كلُّ ما وقَيْتَ به شيئاً "[١].

" (وقي) الواو والقاف والياء: كلمةٌ واحدة تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره، ووقيْتُه أَقِيه وَقْياً، والوِقاية: ما يقي الشَّيء، واتَّقِ اللهَ: تَوَقَّهُ، أي اجعل بينَك وبينه كالوِقاية. قال النَّبيﷺ: « اتَّقُوا النّارَ ولو بِشقِّ تَمرة »، وكأنّه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها"[٢].

فالوقاية هي: "حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره، والتوقي جعل الشيء وقايةً مما يخاف"[٣].

ووقاية القلوب: هي حفظ القلب، وحمايته وصيانته، من كل ما يؤذيه ويضره.

" وكما أن الواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل حصوله، وإزالته بعد حصوله، فهكذا أمراض يحتاج فيها إلى حفظ الصحة ابتداء وإلى إعادتها، بأن عرض له المرض دواماً، والصحة تحفظ بالمثل، والمرض يزول بالضد، فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال ما فيها، أو هو ما يقوي العلم والإيمان من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة، وتزول بالضد، فتزال الشبهات بالبينات، وتزال محبة الباطل ببغضه ومحبة الحق"[٤].

" فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذى الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات؛ وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح، واستغفار غافر الخطيئات "[٥].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وقى"، ١٥/ ٤٠١.

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "وقى" ، ٦ / ١٣١.

[٣] المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر، بيروت، ط١، ٧٣٠/١.

[٤] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٤٥/١٠-١٤٨ .

[٥] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٧/١.

المطلب الأول: وقاية القلوب من الشبهات:

فتن الشبهات، هي ما يتعلق من الفتن بعقيدة الإنسان وتصوراته لأحكام الشريعة، والشبهات أحد نوعي الفتن التي ترد على القلوب؛ فإن القلب مغزوٌ بفتنة الشبهة، وبفتنة الشهوة، وفتنة الشبهة أخطر؛ إذ أنها إذا أنشبت أظفارها في قلب العبد قلَّ أن ينجو.

وأعظم فتن الشبهات الكفر أو الشرك بالله، ويدخل فيها كل ما يخرج المسلم من دينه من نواقض الإيمان الاعتقادية، كمن يعتقد اشتراك أحد مع الله في شيء من خصائص الإلوهية أو الربوبية، أو الأسماء والصفات، ومن فتن الشبهات البدع الاعتقادية؛ التي تحصل من أهل الأهواء والبدع.

أولاً: تعريف الشبهات:

الشبهات جمع شبهة، والشبهة في اللغة هي: الالتباس، والاختلاط، "والشُّبْهةُ الالتباسُ، وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ، ومُشَبِّهَةٌ، مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضاً، .. وشَبَّهَ عليه؛ خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره"[(١)].

وفي الاصطلاح: التباس الحق بالباطل، واختلاطه حتى لا يتبين، وقيل: (وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق) "[(٢)].

و"الشبهة: الالتباس، وفي الشرع: ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل "[(٣)].

وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس، فيعتقد صحتها، و أما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها، وما تحت لباسها، فينكشف له حقيقتها.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "شبه"، ١٣ / ٥٠٣.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، ١/١٤٠.

(٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة"شبه" ١ / ٤٧١.

ومثال هذا : الدرهم الزائف، فإنه يغتر به الجاهل بالنقد، نظراً إلى ما عليه من لباس الفضة، والناقد البصير يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك؛ فيطلع على زيفه، فاللفظ الحسن الفصيح هو للشبهة بمنزلة اللباس من الفضة على الدرهم الزائف، والمعنى كالنحاس الذي تحته، وكم قد قتل هذا الاغترار من خلق لا يحصيهم إلا الله"[١].

ثانياً : خطر فتن الشبهات :

فتن الشبهات أخطر من فتن الشهوات، خاصةً في عصرنا هذا لكثرة مصادر الشبهات، فمآل هذه الشبه إما أن يقع الإنسان في الكفر، أو أن يقع في البدعة، أو أن يقع في النفاق، فما كفر من كفر، ولا ابتدع من ابتدع، ولا نافق من نافق إلا لأجل شبهة في قلبه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣، " قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله، ومنهاجه، وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله، وفاعله كائناً من كان،.. قوله تعالى ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي في قلوبهم من كفر، أو نفاق، أو زندقة، ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الدنيا بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك "[٢].

وصح عن رسول الله ﷺ أن من الناس من قد يفتنون في دينهم، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا، أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » [٣].

وجاء رجل إلى مالك بن أنس[١] رحمه الله فقال: "يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفه حيث أحرم رسول الله ﷺ ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل،

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، ١/١٤١.

[٢] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٠٨.

[٣] صحيح مسلم، ح ١١٨، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ١/١١٠.

قال: فإني أريد أن احرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنه، فقال: وأي فتنه هذه؛ إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنه أعظم من أن ترى انك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ، إني سمعت الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣"[٢].

قال ابن رجب رحمه الله: "وأما فتنة الشبهات، والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعاً، وكفر بعضهم بعضاً، وأصبحوا أعداءً، وفرقاً، وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية؛ وهم المذكورون في قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »"[٣].

ثالثاً: أسباب فتن الشبهات:

هنالك جملة من الأسباب قد توقع صاحبها في فتنة الشبهات، وتتلخص تلك الأسباب في: قلة العلم، وضعف البصيرة، وفساد القصد، وإتباع الهوى.

" ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ النجم: ٢٣، وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر، والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق

---

[١] أبو عبد الله مالك ابن أنس بن مالك الحميري ثم الاصبحي المدني، شيخ الاسلام، حجة الامة، إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الاربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة ١٧٩هـ سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٣)، الأعلام للزركلي (٥ / ٢٥٧).

[٢] الشاطبي، أبو إسحاق، الاعتصام، ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣١/١.

[٣] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، مجموعة رسائل ابن رجب، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٣١٨/١.

بالباطل، والهدى بالضلال، وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد، وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة، لا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد إتباع الرسول، وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره، وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام"[(١)].

رابعاً: سبل الوقاية من فتن الشبهات:

لمواجهة تيارات الشبهات التي تصيب القلب، فتفسد المعتقد، والتصور، ينبغي الأخذ بالأسباب الواقية من فتن الشبهات، والتي تتلخص فيما يلي:

١. العلم والبصيرة بدين الله عز وجل وشرعه:، وعلم وبصيرة بما يضاد دين الله سبحانه وشرعه؛ فإذا تحقق هذا الأمر، فإنه لا مجال للشبهة؛ لانتفاء الجهل الذي منه تنتج الشبهات المؤدية إلى اللبس والتلبيس، فتنة الشبهات تُدفع باليقين، ولقد كان السلف رحمهم الله تعالى يوصون طلابهم بطلب العلم، ويرون فيه العصمة من فتنة الشبهات ودفع وساوس شياطين الإنس والجن، "قال ابن وهب[(٢)]: كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى بن مريم عليه السلام، وكيف خلقه الله تعالى؟ ونحو هذا فشكوت ذلك إلى شيخ فقال لي: ابن وهب قلت: نعم، قال: أطلب العلم، فكان سبب طلبي العلم"[(٣)].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٦٥/٢.

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد، الامام شيخ الاسلام، فقيه من الائمة، من أصحاب الامام مالك، لقي بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم، ومن كنوز العمل، مولده ووفاته بمصر ١٩٧ هـ، سير أعلام النبلاء (١٧ / ٢٣٢)، الأعلام للزركلي (٤ / ١٤٤).

(٣) ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ٢٧/١.

٢. متابعة النبي ﷺ بالتمسك بسنته، والسير على نهجه: " لا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد إتباع الرسول، وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره، وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام"[١].

٣. مصاحبة أهل العلم الصادقين: وهذا مما يتقى به الشبهات؛ التي هي من أسباب الانحراف، والجنوح عن طريق أهل الاستقامة، لأن في مصاحبة أهل العلم؛ الذين يجمعون صحة العلم، وحسن القصد، عاصماً بإذن الله تعالى من الشبهات، ورافعاً لها إذا وجدت، لأن الشبهات لا تنتشر إلا في بيئات الجهل، وقلة العلم.

٤. تجنب أهل الشبهات والبدع: لأن في مجالسهم تثار الشبهات، ويكثر الجدال، والمراء فتعلق بقلوب السامعين شبهاتهم، ويصعب التخلص منها بعد ذلك، وفي تجنب مجالسة أهل الأهواء، والبدع، والشبهات، وعدم السماع لهم، حماية بإذن الله تعالى من المزالق والمخالفات، ولذلك كان السلف رحمهم الله يتباعدون عن الشبه، ويحرصون على عدم الجلوس في المجالس التي تورد فيها الشبه، وشددوا رحمهم الله تعالى في ذلك ونهوا عن مناظرة أهل الأهواء والشبهات، وعن حضور مجالسهم أو السماع منهم.

٥. كشف الشبهات وتبيين الحق: فعندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً والمشككون، والمبطلون من خصوم هذا الدين يثيرون الشبهات، تشكيكاً في مصادره، وفي مبادئه، وتعاليمه، وفي عصرنا تجمع أعداء الإسلام، ودأبوا على إثارة الشبهات ضد الإسلام، ويحاولوا أن يروجوها بحجة حرية الفكر، والنقاش، وفتح المجال لطرح الأفكار، فينبغي تكثيف جهود العلماء لمواجهة هذه الشبهات، وذلك ببذل جهود علمية مضاعفة؛ من أجل توضيح الصورة الحقيقة للإسلام، ونشر ذلك على أوسع نطاق .

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٢/١٦٥.

المطلب الثاني: وقاية القلوب من الشهوات:

من أعظم الفتن على الإنسان فتن الشهوات، وهي من الأمراض التي قد تصيب القلب فتفسده وتهلكة، ولذلك كان لابد من وقاية القلب وحمايته منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢، "وهو مرض الشهوة، فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها، بخلاف القلب المريض بالشهوة؛ فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك، بحسب قوة المرض وضعفه، فإذا خضعن بالقول طمع الذي في قلبه مرض..."[1].

وكثير من الناس في هذه العصور المتأخرة، التي غلبت عليها الماديات وحياة الشهوات، حتى جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم، وخواطرهم، وأعمالهم، الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وأصبحوا يتمتعون بها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها، وصرفوها، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء، والعذاب .

أولاً: تعريف الشهوات:

والشهوات جمع شهوة: وهي كل ما يفتن به المرء مما يهواه، وتميل إليه نفسه من متع الحياة الدنيا وزينتها، من النساء، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وغيرها.

" شَهِيتُ الشيء بالكسر .. وشَهِيَ الشيءَ، وشَهاهُ، يَشْهاهُ، شَهْوَةً، واشْتَهاهُ، وتَشَهّاهُ أَحَبَّه ورَغِب فيه ..وفي الحديث «إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عليكم الرِّياءُ والشَّهْوةُ الخفيَّة»، قال أَبو عبيد: ذهب بها بعضُ الناس إِلى شَهْوةِ النِّساءِ وغيرِها من الشهَواتِ، قال: وعندي أَنه ليس بمخصوصٍ بشيءٍ واحد، ولكنه في كل شيءٍ من المعاصي، يُضْمِرُه صاحبه، ويُصِرُّ عليه فإِنما هو الإِصرارُ وإِنْ لم يَعْمَلْه، وقال أَبو سعيد: الشهوةُ الخَفِيَّة من الفواحش ما لا يَحِلُّ مما يَسْتَخْفي به الإِنسانُ إِذا فعَلَه أَخفاهُ وكَرِهَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناسُ "[2].

"الشَّهْوةُ اشْتِياقُ النَّفْسِ إلى الشيءِ ، والجَمْعُ شَهَواتٌ وأَشْهِيَةٌ "[3].

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٠/٩٥.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "شها"، ١٤ / ٤٤٥.

[3] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، مادة: " شها"، ١ / ٣٢٦.

و" الله تعالى خلق فينا الشهوات، واللذات؛ لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة فيه، فإن ذلك في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء أجسامنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذة به؛ هو في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء النسل، فإذا استعين بهذه القوى على ما أَمَرَنا، كان ذلك سعادة لنا في الدنيا، والآخرة، وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حَظَرَه علينا؛ بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم، أو بالإسراف فيها، أو تعدينا أزواجنا أو ما ملكت أيماننا، كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته "[١].

ثانياً: خطر الشهوات:

لفتن الشهوات خطورة بالغة على صحة القلب وسلامته، فقد توجب مرضه وفساده، إذا استعملت في المحظورات، وتجاوز الإنسان بها ما شرعه الله له، فالله سبحانه جبل الناس على حب الشهوات الدنيوية، وجعلها لهم ليستعينوا بها على كمال مصالحهم، دون أن يتجاوزوا ما حده الله لهم، ودون أن تشغلهم عن الغاية التي خلقوا من أجلها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عمران: ١٤.

"يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة؛ لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها"[٢]، و"بدأ في الآية بالنساء؛ لأنهن أشد الأشياء فتنة للرجال، ومنه حديث "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[٣].

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال »[١].

---

[١] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، ١/٣٤١ .

[٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ١٢٣.

[٣] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ٢٥٨/١١.

وعن عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « فَوَ اللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا؛ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ: كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ »(٣).

وعن أَبِي الأَشْهَبِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ أَبُو الأَشْهَبِ: لا أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلاَّتِ الْفِتَنِ »[٤].

" فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو إحداهما، أصبحوا متقاطعين، متباغضين، بعد أن كانوا إخواناً متحابين متواصلين، فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها؛ وصارت غاية قصدهم لها يطلبون وبها يرضون ولها يغضبون، ولها يوالون وعليها يعادون، فقطعوا لذلك أرحامهم، وسفكوا دماءهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك "[٥].

وقد استغل أعداء الإسلام فتنة الشهوات لتدمير الأمة الإسلامية، وجندوا لذلك كل القوى والطاقات، فأغرقوا الأمة في الشهوات والملذات، حتى انصرفت قلوبهم عن رب الأرض والسموات.

---

[١] سنن الترمذي، ح٢٣٣٦، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ٥٦٩/٤، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الترمذي، ح٢٣٣٦.

[٢] صحيح البخاري، ح ٣٧٩١، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، ١٤٧٣/٤.

[٣] صحيح ابن حبان، ح ٦٦٨٨، ذكر الإخبار عما تكون أحوال الناس عند فتح خزائن فارس عليهم، ١٥ / ٨٢، قال شعيب الأرنؤوط: عن الحديث، إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) مسند الأمام أحمد،ح ١٩٧٨٨، ٤٢٠/٤، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ٣٠٩/٧.

[٥] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، مجموعة رسائل ابن رجب،٣١٨/١.

ثالثاً: أسباب فتن الشهوات:

لفتن الشهوات جملة من الأسباب قد توقع صاحبها فيها، وتتلخص تلك الأسباب في: كثرة المعاصي، وإتباع الهوى، وسيطرة الدنيا على القلوب؛ ولذا قال سلفنا الصالح: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا قد أعمته دنياه.
" وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل فالأول: أصل فتنة الشبهة والثاني: أصل فتنة الشهوة "[١].

رابعاً: سبل الوقاية من فتن الشهوات:

هناك طرق، ووسائل يمكن للإنسان أن يتبعها في سبيل الحذر من فتن الشهوات المهلكة ، ومن تلكم الوسائل ما يلي :

١. التربية الإيمانية المتكاملة؛ التي تتضمن معاني التقوى، والمراقبة، والخوف، والرجاء، والمحبة، ولزوم الاستقامة؛ بفعل الطاعات، وترك المنكرات، حتى يصبح المرء إنساناً سوياً، تقياً، نقياً، لا تستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة.

٢. المسارعة إلى الزواج ، وتحصين الفرج ، والتعفف، والاستعانة بالصوم، فإنه يكسر جماح الشهوة، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ "[٢].

٣. البعد من الأماكن التي يكون فيها الاختلاط، والتبرج، وفيها دعوة إلى الإثارة والإغراءات المحرمة، والابتعاد عن كل ما يثير مكامن الشهوة، من القصص، والروايات، و القنوات الفضائية، والمجلات، التي تعرض المشاهد، والصور التي تثير الغريزة في الإنسان.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٦٧/٢.

[٢] صحيح البخاري، ح ١٨٠٦، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ، ٦٧٣/٢.

٤. إشغال الإنسان نفسه بما يعود عليها بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، فيشغل العبد قوته، وأنفاسه، وجوارحه بطاعة الله عز وجل، فقلب العبد إذا كان مشغولاً بالطاعات، والعبادات فإنه لا يكون عند ذلك محلاً للخطرات، والوساوس، (فإذا غفل القلب ساعة واحده عن ذكر الله جثم عليه الشيطان وأخذ يعده، ويمنيه، ويهيم به في كل واد)[١].

٥. مجاهدة النفس في تطويعها لشرع الله عز وجل، والحذر من وساوس الشيطان، ومداخله المتعددة؛ وذلك بالمحاسبة الدائمة، واليقظة الشديدة للنفس، "فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة "[٢]،

٦. تذكر العواقب من السير وراء الشهوات، فإن حال من يجري وراء الشهوة كالذي يشرب من ماء البحر فلا يروى أبداً، بل يزيد ظمؤه حتى يهلك، فيتذكر المخاطر والأدواء والأوجاع، التي تصيب أهل الشهوات، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا، بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا »[٣]، و يتذكر سوء الخاتمة، فالتعلق بالشهوات واستيلائها على القلب من أكبر أسباب سوء الخاتمة، وكذلك ما يصيب أصحاب الشهوات من العقاب الأليم، والعذاب الشديد، في الدنيا والقبر ويوم العرض على الله عز وجل.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، ٤٩٨/٢.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٦٧/٢.

[٣] سنن ابن ماجه، ح ٤٠١٩، كتاب الفتن، باب العقوبات، ١٣٣٢/٢، وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجة، ح ٣٢٦٢.

المطلب الثالث: وقاية القلوب من الجهل والإعراض:

أولاً: وقاية القلب من الجهل:

مما ينبغي وقاية القلب منه هو مرض الجهل: الجهل بالله تعالى، والجهل بشرعه، ودينه، فقضية العلم تعتبر من جوانب الشخصية المسلمة، وعندما لا يتوفر العلم، يقع الإنسان في الجهل، وعند ذلك تفسد الأحوال، وتتعطل المصالح، وتصبح القلوب إن لم تمت، في غاية من أنواع الأمراض، حتى تستولي عليها القسوة والظلمة، وقد سمى النبي ﷺ الجهل مرضاً، لِما ينشأ عنه من عمى القلوب، قال ﷺ « ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال»، فجعل الجهل مرضاً، وشفاءه سؤال أهل العلم"[١].

١. تعريف الجهل:

الجهل: عدم الإدراك أو الإدراك بالشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

"(جهل) الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خِلاف العِلْم، والآخر الخِفّة، وخِلاف الطُّمَأْنِينة"[٢].

"الجهل انتفاء العلم بالمقصود؛ بأن لم يدرك أصلاً، وهو الجهل الحدود البسيط، أو أدرك على خلاف هيئته في الواقع، وهو الجهل المركب، لأنه تركب من جهلين: جهل المدرك بما في الواقع، وجهله بأنه جاهل به"[٣].

فمَفهوم الجَهل بالعُموم يدور حول ما ينأقض العِلم، من عدم البصيرة، و غياب المعرفة بأساسيَات الحيَاة لدَى الشَخص، حَتى ييَات شخصاً غير قَادر على السَير في الحيَاة على بصيرة؛ ترشده وتوجهه، أو أن يتعَلم الشَخص أسَاسيَات خَاطئة يسير عليها في الحياة، فالجهل حالة من الفهم الخاطئ تؤدي إلى تصرف خاطئ.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٩/١.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "جهل"، ١ / ٤٨٩.

(٣) الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ، ط١، تحقيق: د. مازن المبارك، ١ / ٦٧.

٢. خطر الجهل:

الجهل داء قاتل، يؤدي إلى فساد القلب، وخراب الدنيا، كما أخبر النبيﷺ أن من أشراط الساعة أن يكثر الجهل ويقل العلم، قالﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا؛ فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَإِمَّا قَالَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ »[٢].

والجهل داء مهلك يقع فيه كثير من الناس، فهو آفَة العَصر، ومشكلة المجتمع، حيث يجهل كثير من الناس بالكثير من القيم والمبأدى الإنسانية، وعندما حصل الجهل بدأت البدع، والمنكرات تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر.

والمجتمعات الإسلامية و العربية في الغالب تعاني من نسب عالية من الأمية، والتخلف في أمور كثيرة، حيث ذكرت بعض الإحصائيات أن نسبة الأمية العربية تصل إلى ٤٠ في المائة حسب تقرير "الأسكوا"، وأنها في حدود ٦٠ ـ ٧٠ في المائة حسب تقرير "اليونسكو"، وأن تقرير التنمية البشرية العربية أوضح أن نحو ٦٥ مليون مواطن عربي أميون[٣].

والجهل ظاهرة قد تصل تشعباتها حتى إلى بعض المتعلمين، فكم من أشخاص على مقاعد الدراسة، أو خريجين تعجب من حصيلة معلوماتهم، أو مستوى تفكيرهم، ولذلك ينبغي تفعيل دور المؤسسات التعليمية لمحاربه الجهل الواقع.

---

[١] صحيح البخاري، ح١٠٠، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ٥٠/١.

[٢] صحيح البخاري، ح٦٤٢٣، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب إثم الزناة، ٢٤٩٧/٦.

[٣] الاقتصادية، الميزات النسبية للإنسان وأمية العرب، الجمعة ١٠ صفر ١٤٣٢ هـ. الموافق ١٤ يناير ٢٠١١، العدد ٦٣٠٤، http://www.aleqt.com/2011/01/14/article_491270.html .

٣. سبيل الوقاية من الجهل:

الأصل في الإنسان الجهل، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل: ٧٨، وعلاج الجهل تعلم العلم النافع، والتركيز على المعاني العلمية الإيمانية، فتتحقق بذلك معاني الإيمان في القلب بالفهم والمعرفة، ثم بعد ذلك يكون تطبيق جوانب العلم والمعرفة على واقع الحياة .

فإن الجهل مرض شفاؤه العلم النافع والهدى، و"الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضاً إلى مرضه، لكن اشتغال القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة؛ التي هي شرط في صحته وبرئه، وقال النبي ﷺ في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال»، فجعل الجهل مرضا وشفاءه سؤال أهل العلم"[١].

وفي ما بُعث به النبي ﷺ من الكتاب والسنة لهذه الأمراض أنجع دواء وأنفع شفاء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢.

و رفع الجهل عن الأمة يكون بالتعليم بشتى الوسائل، كما ينبغي تفعيل دور المؤسسات التعليمية لمحاربه الجهل الواقع، فالعِلم النافع هُو النُور الذي يُزيل ظَلام الجَهل، وهو الدَواء الوَحيد للدَاء الذي أصَاب ومَازَالَ يُصيب الكَثير من أفرَاد المجتمَع.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٩/١.

ثانياً: وقاية القلب من الإعراض:

المؤمنين أهل طاعة وانقياد، وأصحاب استجابة وتسليم لأمر الله ﷻ، أما الإعراض عن دين الله تعالى فهو من صفات الكافرين، وخصال المنافقين، كما جاء ذلك مفصلاً في آيات كثيرة من القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمـــران: ٢٣، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣.

والمعرض عن دين الله تعالى لا يحب هذا الدين ولا يبغضه، ولا يصدق بالنبي ولا يكذبه، ولذا فهو معرض عن الطاعة والإتباع، بسبب خلو قلبه من حب الله ورسوله، و إرادة طاعة الله ﷻ؛ ولو كان الحب والإرادة الصادقة موجودة؛ لظهر لازمها من الطاعة والانقياد.

١- تعريف الإعراض:

الإعراض في اللغة: يأتي بمعنى التولي والصد عن الشيء ويقال: أعرض عنه، أي صد عنه وتولى عنه، " وإذا قيل: أعرض عني، فمعناه ولى مبدياً عرضه"[(١)].

والمقصود بالإعراض هنا: هو التولي عن طاعة الله والامتناع عن إتباع رسوله، والصدود عن أحكام الشريعة.

٢- حكم الإعراض عن دين الله تعالى:

الإعراض التام الكلي عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، ينافي الإيمان ويضاده، ويعد ناقضاً من نواقض الإيمان العملية، ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة، ومن تلبس بهذا الإعراض فهو كافر.

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ٢ / ٨٤.

وهناك إعراض لا يخرج من الملة، وهو الإعراض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية، و الإعراض الجزئي عن بعض العمل، و يكون مع صاحبه أصل الإيمان، فهذا على ضلال ومعصية.[١]

٣- خطر الإعراض:

إن الإعراض عن دين الله ﷻ، وعن ما جاء به الرسول ﷺ ذنب عظيم، وإثم كبير، و له عواقب وخيمة، وآثار سيئة، فالإعراض عن دين الله سبب في وقوع البلايا والمصائب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه: ١٢٤، " قوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ أي خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه، وتناساه، وأخذ من غير هداه، ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ في الدنيا فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين، والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد "[٢].

" من أعرض عنه [أي الوحي] وإن لم يكذب به؛ فإنه يكون يوم القيامة في العذاب المهين، وأن معيشته تكون ضنكا في هذه الحياة، وفي البرزخ، والآخرة، وهي المضنوكة؛ النكدة؛ المحشوة بأنواع الهموم، والغموم، والأحزان، كما أن الحياة الطيبة هي لمن آمن وعمل صالحاً"[٣].

وللإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه، عواقب وخيمة الناشئة و نتائج سيئة، فمن ذلك:

١. "الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم" لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ الكهف: ٥٧.

---

(١) أنظر ، الفوزان، صالح بن فوزان، شرح نواقض الإسلام، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ، ط٤، ص١٩٥.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣/١٦٩.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٠ / ١٠٧.

٢. ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف: ٥٧.

٣. ومنها: انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢.

٤. ومنها: كون المعرض كالحمار، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ المدثر: ٤٩ - ٥٠.

٥. ومنها: الإنذار بصاعقة؛ مثل صاعقة عاد وثمود ،كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلت: ١٣.

٦. منها: تقييض القرناء من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ "[١].

٧. " والإعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس، بل وإلى فساد العالم "[٢]

٨. "الضُلال .. منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ، ولو ظن أنه مهتد، فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنما أتى من تفريطه وإعراضه،"[٣].

---

[١] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٥هـ ، ٣/٣٠٩-٣١٠.

[٢] البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ٢/٤٨.

[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، ١/ ٤٤.

المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب:

تمهيد: مفهوم علاج أمراض القلوب:

العلاج في اللغة: يأتي لعدة معاني ومن ذلك "(عالج) الشيء معالجة وعلاجا زاوله ومارسه والمريض داواه وفلانا غالبه وعنه دافع...و (العلاج) اسم لما يعالج به"[١].

"وعالَجَ المريضَ مُعالجة، وعِلاجاً عاناه، والمعالِجُ المداوي، سواء عالَجَ جَريحاً، أَو عَليلاً، أَو دابَّة "[٢].

وعلاج أمراض القلوب:

هو تشخيص حالة القلب والتعرف على الأمراض التي تصيبه والقيام بإزالة تلك الأمراض أو تخفيف آثارها، للوصول إلى صحة القلب وسلامته، من خلال الوسائل المؤدية إلى ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله: " ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، ..، كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده، أولى ما اعتمد عليه السالكون "[٣].

المطلب الأول: تعريف أمراض القلوب وخطرها:

أولاً: تعريف أمراض القلوب:

(مرض القلب: هو نوع فسادٍ يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته، فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته: بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارةً بالشك والريب، كما في قوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ البقرة: ١٠ ، أي شك . وتارة يُفسر بشهوة الزنا كما فُسِّر به قوله تعالى:﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢)[٤].

---

[١] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "علج"، ٢ / ٦٢٠.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "علج"، ٢ / ٣٢٦.

[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٥/١.

[٤] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٩٣/١٠-٩٥.

"والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه، أو أفسد عمله وحركته، وذلك كما فسروه هو من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإما بضعف عمله وحركته، فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفزع، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة، والحسد، والجبن، والبخل، وغير ذلك، كلها أمراض، وكذلك الجهل والشكوك، والشبهات التي فيه..."(١).

" والمرض دون الموت ، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض، وحياة وشفاء، وحياته، وموته، ومرضه، وشفاؤه أعظم من حياة البدن، وموته ومرضه، وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه ..."(٢).

ثانياً : خطورة أمراض القلوب :

كثير من المشكلات في حياة الناس، سببها أمراض تعتري القلوب، فهذه المشكلات تترجم عن أحوال قلوب أصحابها، وما فيها من أمراض مثل: الحسد، والغل، والكبر، والاحتقار، وغير ذلك، وسبيل حلها الأمثل هو علاج هذه القلوب، وإلا فالمرض سيظهر بين حين وآخر كلما ظهرت دواعيه، ومن نظر إلى واقع المجتمع، وما يحدث بين الناس فيه من مشكلات اجتماعية، وخصومات في الحقوق، والأموال فإنه سيتبين له صحة ذلك.

وتظهر خطورة أمراض القلوب، وآثارها السلبية على حياة الإنسان من خلال الآتي:

أولاً : أمراض القلوب تفسد التصور والإدراك للأمور: فعند ما يفسد قلب الإنسان، وتحل فيه الأمراض، فإنه يتشرب لكل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس، فيشتبه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، عَنْ

---

(١) المرجع السابق، ٢٨/٤٤٨.

(٢) المرجع السابق، ١٠/٩٣-٩٥ .

حُذَيفَةَ رضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنكرها نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أَسْوَدُ مُرْبَادًّا قَلبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً؛ إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، »[١].

ثانياً: أمراض القلوب تهدم العبادات: فأمراض القلوب قد تهدم العبادات التي تتعلق بالجوارح، فالعمل الذي خالطه الرياء يكون باطلاً؛ فالله طيب لا يقبل إلا طيباً؛ كما في الحديث « إن اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »[٢].

ثالثاً: أمراض القلوب تفسد العلاقات مع الآخرين: عندما تتفشى أمراض القلوب بين الناس، تحل عند ذلك الشحناء والبغضاء فيما بينهم، وينقطع التواصل ويحصل التهاجر، والتقاطع، فعلى سبيل المثال الحسد: داء قلبي، ومرض من أمراض القلوب، يُذْهِبُ ما يجب على المؤمن من صفاء قلبه لإخوانه المسلمين، فالإنسان الحسود يتمنى أن تزول النعمة عن غيره من الناس الآخرين، فالحسود لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، وكذلك الكبر فإنه مرض من أمراض القلوب، ويظهر أثره على الجوارح، فالكبر هو تعاظم وتعلي على الخلق يظهر على الإنسان، من خلال تصرفاته وأقواله وفعاله، ويجعل الآخرين ينفرون من صاحبه .

قال ابن رجب رحمه الله: "فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين – يعني بذلك فتنة الشهوات وفتنة الشبهات– أو إحداهما، أصبحوا متقاطعين، متباغضين، بعد أن كانوا إخواناً متحابين متواصلين"[٣].

---

[١] صحيح مسلم، ح ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ٤/ ١٢٨.

[٢] صحيح مسلم، ح ٢٩٨٥، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء، ٤/ ٢٢٨٩.

[٣] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، مجموعة رسائل ابن رجب،١/٣١٨.

رابعاً: أمراض القلوب تصرف الإنسان عن العبودية له ﷻ: فأمراض القلوب تضعف القلب عن إرادة التوبة، والإقبال على العمل الصالح، وتقوى فيه إرادة المعصية، وكذلك أمراض القلوب هي من الذنوب التي "تضعف سير القلب إلى اللّه والدار الآخرة، وتعوقه، وتوقفه، وتعطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى اللّه خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى اللّه بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإن زالت بالكلية انقطع عن اللّه انقطاعاً يبعد تداركه"[(١)].

" ومرض القلب: أن يتعذر عليه ما خلق له من معرفة اللّه، ومحبته، والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئاً، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها، وشهواتها، ولم يظفر بمحبة اللّه، والشوق إليه، والأنس به؛ فكأنه لم يظفر بلذة، ولا نعيم، ولا قرة عين، بل إذا كان القلب خالياً عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذاباً له ولابد"[(٢)].

خامساً: أمراض القلوب تكدر صفو حياة الإنسان وتجعله في شقاء: أمراض القلوب تسبب للإنسان وحشةً يجدها في قلبه بينه وبين اللّه ﷻ، وكذلك تسبب له ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها؛ كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا أدلهم، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ طه: ١٢٤، " في الدنيا فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين، والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد "[(٣)].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٨/١.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٦٨/١.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ١٦٩/٣.

سادساً: أمراض القلوب " تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب، وأداؤها، ولا دواء إلاَّ تركها، وقد أجمع السائرون إلى اللَّه على أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها، فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلاَّ بمخالفة هواها، وهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أو كاد"[١].

المطلب الثاني: أنواع أمراض القلوب وعلاجها:

أولاً: أنواع أمراض القلوب:

تتعدد أمراض القلوب وتتنوع، ويمكن في الجملة إرجاعها إلى مرضين خطرين هما: مرض الشبهات والشك، ومرض الشهوات والغي.

قال ابن القيم رحمه اللَّه: (ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي وكلاهما في القرآن ...)[٢]، (وجماع أمراض القلب هي: أمراض الشبهات والشهوات)[٣].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللَّه: (وقوله ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ البقرة: ١٠، المراد بالمرض هنا: مرض الشك، والشبهات، والنفاق، وذلك أن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر، والنفاق، والشكوك، والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات كما قال تعالى:﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢، وهو شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين)[٤].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي، ٥١/١.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ط٣،٦٣/١٤.

[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،٤٤/١.

[٤] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، ٤٢/١.

يمكن تقسيم أمراض القلوب إلى نوعين:

الأول: مرض لا يتألم به صاحبه في الحال.

الثاني: مرض مؤلم له في الحال.

قال ابن القيم رحمه اللَّه: (مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال؛ كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم ، فهم أطباء هذا المرض).

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهمّ، والغمّ، والحَزَنِ، والغيظ، .. وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه)[1].

ويمكن تقسيم أنواع أمراض القلوب إلى ثلاثة أقسام [2]:

الأول: أمراض القلوب التي تكون مع الله ﷻ: وهي كثيرة جداً: كالكفر، والإعراض، والنفاق، والرياء، وسوء الظن بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، اليأس من روح الله، والغفلة عن ذكر الله، والشك في أمر الله، والتسخط على أقدار الله وغير ذلك.

الثاني: أمراض القلوب التي تكون مع النفس: وهي عبارة عن أمراض متعلقة بالنفس ويكون محلها في القلب، وإن كانت آثارها تظهر على الشخصية، وتصرفات الإنسان في الحياة العملية، ومنها: الكبر، والعجب، والذلة، والجبن، والجزع، والحزن، والطمع، والغرور، والقلق، والكرب، والوسوسة، واليأس.

الثالث: أمراض القلوب التي تكون مع الغير (الآخرين): وهذه الأمراض تكون نابعة من القلب وآثارها تحصل عند التعامل مع الآخرين، كالحسد، والحقد، والبغض، والقسوة، والغل، وسوء الظن، وغير ذلك.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،١/١٧-١٨.

(٢) موسوعة نظرة النعيم، دار الوسيلة، جدة، ط٣، ١٤٢٥هـ، مخطط بعد ص(س و).

ثانياً: علاج أمراض القلوب:

اللَّه عز وجل ما أنزل من داءٍ إلاَّ له دواء، فعن أبي هريرة ﷺ، أن النَّبِيّ ﷺ قال: « ما أنزل اللَّه داءً إلاَّ أنزل له شِفاءٍ »[١]، و جميع أمراض القلوب لها دواءها؛ فهذا الحديث "يعم أدواء القلب، والروح، والبدن، وأدويتها"[٢].

وأمراض القلوب كمرض الجهل، ومرض الشهوات، ومرض الشبهات، وأمراض الهمّ، والغمّ والغيظ، والجهل، والشك، كل هذه الأمراض وغيرها من أمراض القلوب لها أدوية طبيعية وشرعية، فمِن (أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول إلاَّ بالأدوية الشرعية الإيمانية، والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن)[١].

(فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه، وعذابه بعد الموت، وأما أمراضه التي لا تزول إلاَّ بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي توجب له الشقاء، والعذاب الدائم، إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء، ولهذا يقال " شفى غيظه " فإذا استولى عليه عدوه آلمه ذلك، فإذا انتصف منه اشتفى قلبه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ **التوبة: ١٤ - ١٥**، فأمر بقتال عدوهم، وأعلمهم أن فيه ست فوائد، فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم، وباطل زاده مرضاً من حيث ظن أنه يشفيه، وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالمعشوق، فإن ذلك يزيد مرضه، ويوجب له أمراضاً أُخر أصعب من مرض العشق، .. وكذلك الغمّ، والهم، والحزن، أمراض للقلب،

---

[١] صحيح البخاري، ح٥٣٥٤، كتاب الطب، باب ما أنزل اللَّه داء إلاَّ انزل له شفاء، ٢١٥١/٥.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي، ٢/١.

وشفاؤها بأضدادها: من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب، وصح، وبرىء من مرضه، وإن كان بباطل توارَى ذلك واستتر، ولم يزل، وأعقب أمراضاً هي أصعب وأخطر، وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضاً إلى مرضه؛ لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبُرْئه..، وكذلك الشاك في الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين، ولما كان ذلك يوجب له حرارة قيل لمن حصل له اليقين: ثلج صدره، وحصل له بَرْد اليقين ..)[1].

أما أمراض القلب التي لا تزول إلاَّ بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي إذا لم يتداركها بالعلاج فإنها توجب له الشقاء، والعذاب الدائم، وهي أمراض الشبهات والشهوات التي تعرض للقلب، فيكون علاجها ويحصل زوالها بالأدوية الشرعية الإيمانية، ومن ذلك:

١. القرآن الكريم: (والقرآن شفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم، والتصور، والإدراك؛ بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة، الحسنة؛ بالترغيب والترهيب، والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، .. فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتى يصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطر عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ، ويغتذي القلب من الإيمان، والقرآن بما يزكيه ويؤيده؛ كما يغتذي البدن بما يُنَمّيه ويقومه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن)[2].

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١٩/١.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٩٥/١٠-٩٦.

٢. ومن أدوية أمراض القلوب :الإيمان وأوراد الطاعات، واجتناب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات، " فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع، والعمل الصالح، فتلك أغذية له ..."[1]، " فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذى الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات؛ وإلى استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح، واستغفار غافر الخطيئات "[2].

٣. وكذلك يحصل العلاج لأمراض القلب بالاستمرار في علاجه من خلال استصحاب الصبر واليقين في ذلك، " فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر اللّه، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فبالصبر يَدفعُ الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات"[3].

---

[1] المرجع السابق، ١٠/١٣٦-١٣٧.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/١٧.

[3] ا ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ١/١٢٠.

الفصل الثاني

عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : الإيمان .
- المبحث الثاني : العلم النافع.
- المبحث الثالث : العمل الصالح.

الفصل الثاني

عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

إن صلاح القلب واستقامته، وسروره، وزوال همومه، وغمومه، وهدوء البال، وراحة الضمير، وصفاء النفس، وطمأنينتها، كلها مطالب، وأهداف يسعى إليها كل واحد في هذه الحياة، فالناس كلهم ينشدون السعادة، ويطلبون الخير والفلاح، ويرجون التوفيق والنجاح في جميع أمورهم، ومجالات حياتهم.

وهنالك عوامل أساسية تحقق ذلك، تتمثل في الإيمان الصادق، والعلم النافع، والعمل الصالح، فهذه الثلاث العوامل مقومات للحياة الطيبة، وأسباب للأمن والطمأنينة، ووسائل للكرامة والفلاح، وبتحقيقها ؛ تصلح قلوب الناس، فتسعد البشرية، وتنعم في حياتها، فلا قلق ولا اضطراب، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **النحل:** ٩٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله: "فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع، والعمل الصالح، فتلك أغذية له"[2].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والاصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، ومات معتقلا بقلعة دمشق ٧٢٨ هـ ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. الأعلام للزركلي (١ / ١٤٤).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٠ / ١٣٦.

وقال عند ذكره لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور: ٣٥ قال أُبَي بن كعب وغيره: هو مثل نور المؤمن، وهو نوره الذي في قلب عبده المؤمن الناشئ عن العلم النافع، والعمل الصالح، وذلك بينة من ربه، وقال : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٢٢، فهذا النور الذي هو عليه، وشرح الصدر للإسلام، هو البينة من ربه، وهو الهدي المذكور في قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٥، واستعمل في هذا حرف الاستعلاء؛ لأن القلب لا يستقر، ولا يثبت إلا إذا كان عالماً، موقناً بالحق، فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها"[١].

وتعتبر هذه العوامل الثلاثة أساسيات في منهج التربية الإسلامية، ولها دور فعال في تحقق صياغة النفس المسلمة على المنهج الرشيد، فـ"كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع، والعمل الصالح، وهما: الهدى ودين الحق، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ العصر: ١ – ٣، أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل؛ ولا يتمان إلا بالصبر عليهما، والتواصي بهما، كان حقيقاً بالإنسان أن ينفق ساعات عمره، بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين"[٢] .

فبهذه العوامل الثلاثة: الإيمان، العلم، والعمل يتحقق صلاح القلب، ويستقيم على الحق، مما يؤدي إلى شعور الفرد بالطمأنينة، والسكينة، واتصاف المجتمع كله بالأمن والسلام.

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥ / ٦٣.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ١/ ٦.

المبحث الأول: الإيمان:

الإيمان بالله تعالى هو حياة القلب، وبلسم شفاءه وروحه، ويجعل الإنسان يجد في داخله ما يدفعه ويحثه إلى العمل، فالإيمان إذا تعمق ورسخ في القلب؛ يجعل الإنسان يدرك غايته من الحياة، ويسعد أيما سعادة، فتشرق روحة، ويقوى جسده، وتقل همومه، وتتحسن نظرته إلى الدنيا، ويحسن في تعامله مع الناس، ويرقى في سلوكه، وخلقه، ومستواه، لأنه يرى السمو في حياته، ويلمس التوفيق في إعماله وأقواله.

والإيمان يحقق السعادة والفلاح، والاستقرار الداخلي، والأمن النفسي، وبالإيمان تحقق المشاعر الطيبة للإنسان ويكون التوجيه الصحيح لها.

فالإيمان شيء يسيطر على الحياة، من كل أجزائها، ويملكها من كل جوانبها، فالقيم والمبادئ التي يتربى عليها الناس هي في الحقيقة أشياء يعقد عليها الإنسان حياته وتفكيره.

ويعتبر الاهتمام بالتربية الإيمانية أحد العوامل الفعالة في مواجهة الانحرافات السلوكية، حيث أن التركز على التربية الإيمانية، والعمل على غرسها في النفوس؛ يؤدي إلى تنمية جوانب الشخصية، فتثمر شخصية إيمانية؛ تعمل على تحقيق الغاية التي خلقت من أجلها وتسلم من المشكلات، والضغوط المختلفة؛ التي يتعرض لها الإنسان في حياته خاصة في هذا العصر.

فالواجب على أولياء الأمور والمعلمين بذل كل الجهود؛ لتحقيق متطلبات التربية الإيمانية في نفوس الناشئة، لأن النشء المتربي على الإيمان بالله تعالى هو الذي يحقق الخير والفلاح لنفسه ولأمته.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان:

الإيمان بمفهومه الشرعي يشمل الدين كله بكافة جوانبه، فمفهوم الإيمان، أعمق، وأوسع وأكثر شمولاً لكل شيء في حياة الإنسان، فهو: الحقيقة المستقرة في القلب، المنطوق بها على اللسان، الظاهرة على الأعمال والجوارح.

أولاً: الإيمان في اللغة: يأتي بمعنى التصديق والإقرار، والأمن، " (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق.. "[١]، والإيمان فيه معنى زائد عن مجرد التصديق فحسب، " الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"[٢].

و"أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر! لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له، فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر، بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)، ولهذا؛ لو فسر (الإيمان) بـ (الإقرار) لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فتقول أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له كما تقول: آمن له "[٣].

والإقرار القلبي يكون: باعتقاد القلب؛ أي تصديقه بالأخبار، وعمل القلب؛ أي إذعانه وانقياده للأوامر.

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: " أمن " ، ١ / ١٣٣.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧ / ٦٣٨.

[٣] العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١٤٢٤هـ، ٢/٢٢٩.

ثانياً: الإيمان في الاصطلاح الشرعي:

ذكر الإيمان في القرآن والسنة في مواضع كثيرة، وقد بينت النصوص المراد بلفظ الإيمان بياناً واضحاً، وتنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، فعرفوه أنه (قول، وعمل)، أو (قول، وعمل، ونية)، أو (قول، وعمل، ونية، وإتباع السنة). وهي تؤدي إلى معنى وحد حيث يتضمن تعريف السلف للإيمان: القول والعمل، الباطن والظاهر.

" وخلاصة القول أن الإيمان:هو ما وقر في القلب، وصدقه اللسان والعمل، وبدت ثمراته واضحة في الجوارح؛ بامتثال أوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه"[١].

فالإيمان قول وعمل، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وهذه الأربعة يتكون منها الإيمان، فهو يتكون من: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، وهذه الأربعة تمثل حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

وقول القلب وعمله، يعتبر من أعظم الأمور قدراً وشأناً ؛ حيث أن ذلك يمثل أصل الإيمان، فقول القلب: وهو الإقرار والاعتقاد الجازم بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، هذا النوع واجب على كل من دخل دائرة الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وعمل القلب يشمل كل ما جاء في الكتاب والسنة؛ من الأعمال الإيمانية القلبية، التي يظهر أثرها على الجوارح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، .. ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها جزءاً من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف

---

[١] الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ١٩/١.

البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ « ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»"[١].

المطلب الثاني: أصول الإيمان وآثارها في القلب:

إن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، له آثار عظيمة على صلاح قلب، وهو بالتالي من العوامل الرئيسية في نضوج الشخصية، وتكاملها واتزانها لبلوغ الكمال الإنساني.

فالإيمان بالله يثمر تحقيق توحيد الله تعالى في قلب الإنسان؛ بحيث لا يتعلق بغير الله ﷻ رجاءً، ولا خوفاً، ولا يعبد غيره، كما أنه يورث كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويكون الإيمان دافع للإنسان إلى تحقيق عبادة الله ﷻ؛ بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والمؤمن بالله يشعر بأن الله يراقبه في أفعاله، ويحاسبه على الصغيرة والكبيرة منها، وإذا استشعر العبد هذه المعية سابق إلى الخيرات، وخضع مستجيباً لرب الأرض والسماوات فبادر إلى الفضائل.

والإيمان بالملائكة يثمر في القلب العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق، ويثمر الإيمان بالملائكة شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم، كما يثمر محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

والإيمان بالملائكة يجعل المؤمن يستحي من معصية الله؛ لعلمه أن الملائكة معه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨، فالملائكة ترافق الإنسان، وتراه ولا يراها، وتحصي عليه أعماله بسجلات محكمة؛ لا تغادر صغيرة، ولا كبيرة.

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧ / ١٨٦.

والإيمان بالكتب يجعل المؤمن يعتز بكلام الله، ويتقرب إليه بتلاوة كلامه والعمل به، ويشعره ذلك أن الطريق الوحيد إلى الله؛ هو إتباع ما جاء في كتبه، وعلى ألسنة رسله، والذي جاء القرآن مهيمناً عليها، مصدقاً لها.

والإيمان بالرسل يجعل المؤمن يحب الرسل عليهم الصلاة والسلام ويعظمهم، ويثني عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، كما يجعل المؤمن يأنس بأخبارهم، وسيرهم، لاسيما سيرة المصطفى ﷺ ، فيتخذهم أسوة، وقدوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة؛ حيث تجعل في القلب الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم، والرهبة من فعل المعصية، والابتعاد عنها خوفاً من عقاب ذلك اليوم، وفي الإيمان باليوم الآخر تسلية للمؤمن على ما يفوته من الدنيا؛ بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

والإيمان بالقدر يجعل نفس المؤمن لا تخاف ما أصابها، ولا ترجو ما سوى ربها، ولا تقنع إلا بالله، ولا تلجأ إلا إلى الله، ولا تركع للطغيان بل تخضع للرحمن، وفي الإيمان بالقضاء والقدر يرتفع الإنسان فوق مخاوفه، وهمومه أكثر فأكثر، فما كان لك آتيك على ضعفك، وما لم يكن لك فلن تناله بقوتك، وكما قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ »[1].

---

(١) سنن الترمذي، ح٢٥١٦، كتاب صفة القيامة، والرقائق، والورع ، باب ٥٩ ، ٤/٦٦٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: إسناده صحيح، مشكاة المصابيح، ح٥٢٣٢.

المطلب الثالث: أثر الإيمان في صلاح القلب:

للإيمان أثر كبير في تحرير القلب والعقل من التخبط والفوضوي الناشئ عن خلوه من العقيدة الصحيحة، لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات، كما أن الأيمان له الدور الكبير في راحة القلب فلا قلق ولا اضطراب فيطمئن القلب للإيمان، وينشرح الصدر للإسلام، وغير ذلك من الآثار العظيمة، والجليلة التي منها:

أولاً: الحياة الطيبة للقلب:

فالإيمان يحقق الصحة للقلب، والطمأنينة، والسكينة، والقناعة، والرضا، والحياة الطيبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، وقال تعالى في أثر الإيمان في صنع الحياة الطيبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧.

فالإيمان هو السعادة الحقيقية للقلب في هذه الحياة، وهذه السعادة يتلذذ بها أهل الإيمان، فهي حقيقة ثابتة، ومتعة باقية، ونعمة من الله تعالى جليلة مباركة، قال ﷺ «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّا، وَبِالإِسْلامَ دِينا، وَبِمُحَمّدٍ رَسُولاً»[(١)].

قال بعض من ذاق تلك اللذة وهو إبراهيم بن أدهم[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو علم الملوك، وأبناء الملوك، بعضَ ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا عليه بالسيوف[(٣)].

[(١)] صحيح مسلم، ح ٣٤، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن، ٤/ ١٢٨.

[(٢)] إبراهيم بن أدهم ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الامام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي، الخراساني البلخي، نزيل الشام، الواعظ أحد الأعلام، توفي سنة ١٦١هـ، سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٣٤)، فوات الوفيات - (١ / ١٣).

[(٣)] ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ٣٠٣/٦.

فالمؤمن منشرح الصدر، مطمئن القلب، قد آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فذاق حلاوة الإيمان.

وإن القلق والاكتئاب، والتخبط والاضطراب، والنكد والضنك، كل هذا أثر من آثار غياب الإيمان من القلب، ومن نقص إيمانه كانت حياته ضنكاً، وكان صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤.

ثانياً: ثبات القلب عند الشدائد والمحن:

من آثار الإيمان على القلب الثبات بكل صوره ومعانيه عند الشدائد والمحن والمصائب، والثبات أمام الشهوات، وأمام الشبهات، والثبات على الطاعات، وكذلك، الثبات عند السؤال في القبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ »[1].

فالثبات حاصل لأهل الإيمان في الحياة الدنيا على الحق، وهو حاصل لهم في الآخرة بعد الموت؛ وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة، وفي مواقف القيامة.

---

[1] صحيح البخاري، ح٤٤٢٢، كتاب التفسير، باب تفسير سورة إبراهيم، ١٧٣٥/٤.

ثالثاً: استنارة القلب بنور الإيمان:

الإيمان هو النور الذي يضيء طريق الحياة، والذي يبصر به الإنسان حقائق الدنيا، وحقائق الآخرة، نور يهدي به الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ الحديد: ١٢.

يقول الإمام ابن كثير[١] رحمه الله: يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعَى نورهم بين أيديهم في عَرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويطفأ مرة، ورواه بن أبي حاتم وبن جرير وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نُوره من المدينة إلى عَدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه"[٢].

فهذا النور دليل لهم في طريقهم إلى الجنة " فهؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم، ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً، ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم، فهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها . .."[٣].

---

[١] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، وتوفي بدمشق ٧٧٤هـ. الأعلام للزركلي (١ / ٣٢٠).

[٢] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣٠٩/٤.

[٣] قطب ،سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ، ٣٤٨٥.

رابعاً: إنكار القلب للمنكرات:

القلب إذا كان فيه إيمان تغير عند رؤية المنكرات، فيضيق ويتبرم لهذه المنكرات، وهو دليل على وجود الإيمان، وإذا تبعه الإنكار باللسان، أو باليد حسب الإمكان كان أعلى رتبه، وأقوى، وأعظم، والإنكار بالقلب يعتبر نوع من التغيير، ويكون مؤثراً، لأنه يحفظ الإيمان في القلب؛ فإذا لم يتغير القلب وينكر عند رؤية المنكرات، فهذا يدل على خلل في قلب الإنسان، وخلل في إيمانه، قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »[١].

والإنسان إذا أنكر المنكر ولو بقلبه فإن هذا يجعله ينقبض ويبتعد عن المنكر فلا يقع فيه، كما أن إنكار المنكر بالقلب يجعل الناس منقبضون ومجافون لصاحب المنكر، فيرى أن القلوب منه نافرة، وأن النفوس عنه منقبضة، وأن الوجوه في وجهه مكشرة، فيجعله ذلك محاصراً حصاراً نفسياً يدفعه إلى أن يترك المنكر، ويقلع عنه، ليكون عند الناس محبوباً مرضيا.

خامساً: تحرر القلب من العبودية لغير الله ﷻ:

إن الإيمان حين يتغلغل في النفوس، وتخالط بشاشته القلوب، هو أول سلاح يتسلح به الإنسان المسلم في مواجهة صراع الحياة، وفى مجابهة مغريات الدنيا، فعندما يعتقد المسلم من قرارة وجدانه أن الآجال بيد الله، وان ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، و« أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ »[٢]، يتحرر الإنسان عند ذلك من الخوف، والجبن، والجزع،

---

[١] صحيح مسلم، ح ٤٩، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٩٦/١.

[٢] سنن الترمذي، ح٢٥١٦، كتاب صفة القيامة، والرقائق، والورع، باب ٥٩، ٦٦٧/٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: إسناده صحيح، مشكاة المصابيح، ح٥٢٣٢.

ويتحلى بالصبر، والشجاعة، والإقدام، وعندما يعتقد المؤمن من سويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله، وأن ما بسطة الله على العبد لم يكن لأحد أن يمنعه ، وأن ما أمسكه عليه لم يكن لأحد أن يعطيه، وان نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها واجلها، فبهذا الاعتقاد وبهذا الإيمان يتحرر قلب المؤمن من الحرص الزائد على الدنيا، والإلحاح بالطلب، ويتحرر من الشح، والتقتير، و يجعله يتحلى بمعاني الكرم، والإيثار، والعطاء.

و كذلك عندما يعتقد المؤمن، أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فإنه قلبه يتحرر من الهوى، ونزعات النفس الأمارة بالسوء، وهمزات الشياطين، وفتنة المال والنساء، ويتحلى بالمراقبة لله، والإخلاص له، والاستعانة به، والتسليم لجنابه، ويندفع بكليته إلى العمل بكل أمانه وجديه، وإتقان.

سادساً : هداية القلب للحق :

فالهداية من الله عز وجل، وأحق الناس بها هم أهل الإيمان فهم المستحقين للهداية والتوفيق من رب العالمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤، وهذه الثمرة؛ ثمرة الهداية من أعظم وأجل الثمار التي يجنيها المؤمن في هذه الحياة.

سابعاً : تنقية القلوب من الأدران :

من آثار الإيمان تنقية القلوب من الحسد، وتصفيتها من الحقد والغل، واستلال الضغائن والسخائم منها؛ و حفظها من الشهوات والشبهات، وهذا يؤثر تلقائياً في حفظ الجوارح، وتذليلها لطاعة الله، وانقيادها لأوامر الله، فما من عمل عند الإنسان إلا وله دافع نفسي، وإذا استحكم الدافع الإيماني فإنه يضبط تصرفات الإنسان، ومشاعره، فيجعلها محكومة بحكم الإيمان، فالمؤمن بإيمانه يحفظ جوارحه، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

المبحث الثاني: العلم النافع:

العلمُ أشرف مرغوب ، وَأَفْضَلُ مطلوب، وله أثر جميل في نفس صَاحِبِهِ، إذا ما تحلى بالعمل به، وبقدرِ ما يملك الإنسان من العلم؛ بقدر ما يعظمُ شأنُه، ويكونُ سموُّه، وارتفاعهُ، وعلوّهُ .

والعلم قوة، وبصيرة في القلب؛ تنير للإنسان سيره في درب الحياة، فتكشف له عن منازلها وأعلامها، وعوارضها، ومعاثرها، " السائر إلى الله والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيره، ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية؛ فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك، فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك، ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل"[(١)].

المطلب الأول: تعريف العلم:

لغة: العِلْم مصدر علِم يعلَم، "وهو أصل واحد يدلّ على أَثَرٍ بالشيء يتميَّز به عن غيره،.. وهو نقيض الجهل"[(٢)].

تعريف العلم في الاصطلاح:

"العلم: معرفة المعلوم على ما هو به في الواقع"[(٣)]، وقيل: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[(٤)]، وقيل : "إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً حازماً"[(٥)]، وقيل: إن العلم أوضح من أن يعرف.

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين ، ١/ ٢٨٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: " علم " ، ١٠٩/٤.

(٣) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الورقات، ص٨.

(٤) الجرجاني، على بن محمد، التعريفات،١٩٩/١.

(٥) العثيمين، محمد بن صالح، الأصول من علم الأصول، دار ابن الجوزي، الرياض،١٤٢٦هـ، ١٥.

المطلب الثاني: أقسام العلم:

العلم يُقسم إلى أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة، ومن هذه الأقسام ما يلي:

ينقسم العلم من حيث موضوعه إجمالاً، إلى قسمين:

- العلم الشرعي: وهو علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهدى.
- العلم الدنيوي: هو العلم الذي قام عليه الدليل من تجربة أو برهان من البراهين الذي يكفي مثلها لصحة هذا العلم.

والعلم الذى يقبل المسلم عليه، ويستفتح أبوابه بقوة، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب، هو كل علم نافع يرشد إلى الخير، والحكمة، ويأتي في مقدمة ذلك العلم الشرعي، المستمد من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فهو أساس العلم النافع، الذي له جميل الأثر في نفس الفرد، و التأثير الإيجابي على المسيرة التربوية في حياة المجتمع.

قال ابن رجب رحمه الله: " فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به، والاهتمام، أن يبحث عما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق لذلك؛ إن كان من الأمور العلمية ..، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيع من الأوامر، واجتناب ما يُنهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك"[(١)].

فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله، ، وهو العلم الذي ورثه الأنبياء قال النبي ﷺ: « وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »[(٢)]، ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله، وهو العلم الذي له الأثر البالغ في صلاح القلب، وصحته.

---

(١) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس ، ٩٢/١.

(٢) صحيح البخاري، ح٤٤٢٢، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ١٧٣٥/٤.

المطلب الثالث: أثر العلم في صلاح القلب:

للعلم أثر كبير في صلاح القلب، وصحته، وسلامته من أمراض الشبهات، والشهوات وجميع الآفات، حيث أن العلم ينير بصيرة القلب؛ فيبصر الحق من الباطل، والصواب من الخطاء، مما يجعله يتحرى الحق والصواب، كما أن العلم يجعل القلب ينظر إلى عواقب الأفعال، وما يترتب على ذلك فيتحرى الخير، ويبتعد عن الشر، ومن آثار العلم على القلب:

أولاً: العلم حياة القلب:

العلم حياة القلب، فهو يورث الإيمان، ويثمر اليقين، وهو من دلائل إرادة الله الخير بصاحبه والعلم يحمي القلب من الغفلة ، وهو سبيل لكمال القلب وصلاحه ، عن أبي موسى الأشعري ﵁، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ مَثَل مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْم كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ »[١] .

"فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث، ومعناه: أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس: فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر؛ فيحيي بعد أن كان ميتاً، وينبت الكلأ؛ فتنتفع بها الناس، والدواب، والزرع، وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه؛ فيحيا قلبه، ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع"[٢].

" ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت"[٣].

---

[١] صحيح البخاري، ح ٧٩، كتاب العلم، بَاب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ٤٢/١.

[٢] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، ١٥ / ٤٧.

[٣] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ١ / ١٧٧.

فالعلم حياة القلب وغذائه، قال الإمام أحمد رحمه الله: الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأن العلم يحتاج إليه في كل ساعة، والخبز والماء في كل يوم مرة، أو مرتين"[(١)] .

ثانياً : العلم ينير القلب :

العلم نور تستنير به القلوب، فيرسم لها معالم الطريق، ويحدد طريق الحق من طرق الضلال، فيعرف العبد كيف يعبد ربه، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في الحياة على علم وبصيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ: ٦ ، وفي هذا إشارة إلى العلم وأثره في القلوب، التي صارت القلوب به تبصر وترى الحق، ولا يلتبس عليها بالباطل.

كما أن العلم نور يزيل ظلام القلوب، ويمحو الجهل الذي هو ظلمة في القلب تحجب عنه الحقائق، وبالعلم يميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر عند حلول الفتن ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنكرها نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً؛ إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، »[(٢)].

وكما أن العلم نور يشرق به القلب، فإن العلم يحتاج إلى صفاء، وسلامة في القلب من المعاصي والذنوب، حتى يستقر العلم في القلب فيضيء للقلب معالم الهداية والفلاح.

---

(١) ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٤٦ .

(٢) صحيح مسلم، ح ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ٤/ ١٢٨.

ثالثاً: العلم يورث الخشية في القلب:

أعظم ثمرة للعلم خشية القلب الله ﷻ، فالعلم يجعل القلوب تمتلئ خشيةً، وهيبةً، وخوفاً من الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩، وقال ﷺ: « فَوَ اللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً »[(١)] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف الله، وعرف حقه؛ اشتدت خشيته له ...، فالعلماء به، وبأمره؛ هم أهل خشيته "[(٢)].

وقال الشيخ السعدي[(٣)] رحمه الله: "فكلّ من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَنْ يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنّه داعٍ إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته"[(٤)].

وكفى بالوقوف عند حدوده علماً، فإنما العلم الخشية، وليس العلم بكثرة المسائل، قال ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية "[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٧٥٠، كتاب الآداب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ٥/٢٢٦٣.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١ / ١٣٦.

(٣) أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي من آل سعدي، قرأ القرآن وأتقنه وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى صار التدريس ببلده راجعا إليه، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه، توفي في عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة .

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٦٨٩.

(٥) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء ١ / ١٣١.

المبحث الثالث: العمل الصالح:

العمل الصالح هو قوة القلب العملية، التي تثمر له السعادة، والفلاح في الدنيا والآخرة، وتحقق له السفر إلى الله، والدار الآخرة، " فالسير هو حقيقة القوة العملية؛ فإن السير هو عمل المسافر، وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق، وأعلامها، وأبصر المعاثر، والوهاد والطرق الناكبة عنها؛ فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقي عليه الشطر الآخر؛ وهو أن يضع عصاه على عاتقه، ويشمر مسافرًا في الطريق، قاطعًا منازلها، منزلة بعد منزلة..."[١].

المطلب الأول: مفهوم العمل الصالح:

العمل الصالح ضد العمل الفاسد، والعمل الصالح في القرآن والسنة: وهو كل ما يحبه الله ويرضاه؛ من أعمال القلب، واللسان، والجوارح.

والذي يحدد العمل الصالح من العمل الفاسد، في كل زمان، ومكان هو الله سبحانه وتعالى، وقد حدد الأعمال الصالحة في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، في العقيدة، والعبادة، والسلوك، فالميزان إذاً للعمل، أهو صالح أم فاسدٌ، هو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

ومجال العمل الصالح واسع بشكل كبير، فلا يحصر في نوع، أو جهة، أو زمان، أو مكان، ولا يقتصر على صلاة، وصدقة، وصيام، بل يشمل غير ذلك من قضاء الحوائج، وستر العورات، وحسن الخلق، والبرّ، والعفّة، وأداء الأمانات، وترك المحرمات، فالعمل الصالح يشمل كل مجال من مجالات الحياة، على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع.

و من فضل الله ومّنته أن الأعمال الصالحة تتعدد وتتنوع، إذْ ما من إنسان إلا ويوافقه نوع من الأعمال الصالحة، حتى يكون في ذلك توسعة على الناس، ويُكثّر المقبلين على الأعمال الصالحة، فيتمسكوا بها ويؤدوها .

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين، ١/ ٢٨٥.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ :نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ »[١].

يقول الإمام النووي[٢] رحمه الله: " اعلم أنه لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة؛ ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً؛ بل يأتي بما تيسر منه لقول النبيﷺ: في الحديث المتفق على صحته «إذا أمرتكم بشيء فأتوا من ما استطعتم»"[٣].

وكان سلف الأمة رضي الله عنهم على ضوء هذا الفهم يجتهدون في العمل بمقتضاه، بحيث يتلون الآيات، ويتدبرون معانيها، ويفقهونها حق فقهها، ويعملون بما فيها، ولا يتجاوزونها بدون عمل، قال ابن مسعود، رضي الله عنه: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ"[٤].

وقال أبوعبد الرحمن السلمي[٥] رحمه الله: " حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا"[٦].

---

[١] صحيح البخاري، ح ١٧٩٨، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين ، ٦٧٢/٢.

[٢] يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا من قرى حوران، واليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، من كتبه: منهاج الطالبين، ورياض الصالحين وتوفي٦٧٦ هـ، الأعلام للزركلي (١٤٩/٨).

[٣] النووي، يحيى بن شرف، الأذكار ، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١ / ٦.

[٤] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ١ / ٨٠.

[٥] عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مقرئ الكوفة، الامام العلم، قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود، سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٩٨).

[٦] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ١ / ٨٠.

المطلب الثاني: العبادات و أثرها في القلب:

العبادات في الإسلام لها الدور والأثر العظيم في صلاح قلب الإنسان، وتزكية النفس وتطهيرها من الأخطاء والآثام، وتجعل القلب مرتبط بالله ﷻ، ما لا يدع مجالاً للهوى والغفلة، والشهوات أن تسيطر على القلب، وتغشاه، فالعبادات تعطي القلب إشراقه وانطلاقه تضيء له جوانب الحياة.

فالصلاة الكاملة التي تجمع أركانها، وشروطها، ويؤديها الإنسان بخشوع، وخضوع، ويحافظ عليها وعلى آدابها، تنهاه عن الفحشاء والمنكر، وتزكي نفسه وتطهر قلبه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥ ، فما دام الإنسان مخلصاً في أدائها، فإن الإخلاص يدعوه إلى فعل المعروف، ومادام يؤديها بخشية من ربه، فإن خشيته تنهاه عن المنكر.

والصلاة الكاملة التي جمعت سمات القبول، لها أثراً بالغاً في تكوين الشخصية، وتزكية النفس الإنسانية، إنها تتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، وبها ينتهي المسلم عن كل شر، وتخلصه من كل درن، قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا »[١].

وفي الزكاة تهذيب، وتزكية للنفس البشرية، وتطهير للقلب من آفة الشح، والبخل، فالزكاة تجعل الإنسان يتمرس على البذل، والتضحية بالمال العزيز على النفس، وتعوده كيف يغالب الشح والحرص، ويتسابق إلى العطاء، والإيثار، مستشعراً مسؤوليته عن غيره، وسط دائرة التكافل الاجتماعي، والزكاة عبادة مالية يتمثل فيها شكر الله تعالى عن نعمة المال، وهي برهان على صحة الإيمان في قلب صاحبها .

---

[١] صحيح البخاري، ح ٥٠٥، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ١٩٧/١.

كما أن في الزكاة تطهيراً لنفس الفقير من آفة الحقد والكراهية، و الزكاة رابطة بين الإنسان وأخيه الإنسان، تتم بها معاني التواد والتراحم، وفي ذلك كله يقول تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣ .

وللصيام دور في صلاح القلب وتهذيب النفس، حيث يغرس في نفس الصائم تقوى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣.

فالصيام يربي الإنسان على الكف عن الشهوات المباحة، من طعام وشراب وجماع، وسائر المفطرات المباحة، مما يجعله بعد ذلك يبتعد ويتجنب الشهوات المحرمة، ابتغاء رضوان الله ﷻ، وخوفاً من سخطه وعقابه، وفي الصوم تطويع للقلب على الطاعة، وامتثال لأوامر الله ﷻ، وكذلك يجعل في قلب المسلم إحساس برابطة قوية تربطه مع إخوانه المسلمين الصائمين، حيث إنهم يمسكون في وقت واحد، وفي وقت واحد يفطرون، فتسري روح الوحدة بين المسلمين في مختلف البلدان .

وفي الصيام تنمية لمبدأ المراقبة والإخلاص لله ﷻ في قلب الإنسان؛ حيث أنه يكف عن كل ما يخل بصومه، مع أنه يمكن له أن يتعاطاه من غير أن يطلع عليه أحد، عن أبي هُرَيْرَةَ ﵁ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[(١)].

قال ابن حجر[(٢)] ﵀: "إِنَّمَا خَصَّ الصِّيَام لِأَنَّهُ لَيْسَ يَظْهَر مِنْ اِبْنِ آدَم بِفِعْلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْء فِي الْقَلْب"[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ١٨٠٥، كتاب الصيام، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، ٦٧٣/٢.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، حافظ الاسلام في عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار

و الحج عبادة لها أثرها في تزكية النفس، وصلاح القلب بما تغرسه من التواضع في النفوس حيث يتساوى جميع الناس في أعمال الحج، غنيهم، وفقيرهم، ورئيسهم، ومرؤوسهم، فتزكي عبادة الحج نفس الإنسان من التعالي والغرور، وتجعله يتحلى بالتواضع، والشعور بالمساواة مع بقية الناس.

وللحج أثره في تنمية الألفة حيث يجتمع الحجاج في صعيد واحد، وبزي واحد، فتتحقق الألفة والمحبة بين الناس.

فالعمل الصالح قوام الحياة، وسر السعادة، وأساس الحضارة، وفي العمل الصالح الحفظ والرعاية، والأمن والوقاية، للقلب، فإن العمل الصالح يورث الهدوء، والسكينة، والطمأنينة للقلب؛ حتى ولو أصابه من أقدار الله تعالى في هذه الدنيا ما يحزنه؛ فبعمله الصالح يتخفف الحزن، بل قد يتحول إلى مكاسب أخرى، لم تكن تحصل له لولا العمل الصالح.

قال ابن القيم رحمه الله: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك، وانشراحا، فاتهمه فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح، وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول"[٢].

المتأخرين، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، وتصانيفه فكثيرة جليلة، منها: فتح الباري، لسان الميزان تقريب التهذيب، توفي في ٨٥٢ هـ، الأعلام للزركلي (١ / ١٧٨).

[١] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ١٠٧/٤.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ٢/ ٦٨.

المطلب الثالث: أثر العمل الصالح في صلاح القلب:

العمل الصالح يثمر صلاح القلوب، وسبب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وله آثار وثمار طيبة على القلب منها:

أولاً: العمل الصالح سبب أمن القلب:

من فوائد العمل الصالح أن الله جعله سبباً للحصول على الأمن في الدنيا قبل الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ النور: ٥٥ .

ويعد الخوف في صورته السلبية كربة نفسية وبلاء، ولهذا النوع من الخوف صور متعددة، كالخوف من الموت، أو الخوف من الناس، أو الخوف من المرض، أو الخوف من الفقر، أو الخوف من المستقبل، وغيرها من الأسباب والمؤثرات التي تولد الخوف لدى الإنسان.

والعمل الصالح يورث قوة التعلق بالله سبحانه، وهذه القوة تزيل الخوف من تلك الأمور المورثة للأمراض النفسية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾ فصلت: ٣٠.

ثانياً: العمل الصالح يشيع المحبة في القلوب:

العمل الصالح الذي يتعدى نفعه إلى الآخرين، يكون له جميل الأثر في نفوس الآخرين، ويكون مقدم على العمل الذي يقتصر نفعه على ذات الإنسان وحسب.

عن عطاء رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً، حزيناً، قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس رضي الله عنه: أفلا أكلمه فيك قال إن أحببت قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه، قال لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب، فدمعت عيناه، وهو يقول: من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين.. "[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "ومن الأسباب التي تزيل الهم، والغم، والقلق، الإحسان إلى الخلق بالقول، والفعل، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البر والفاجر، الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه"[2].

---

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ط١ تحقيق: محمد السعيد بسيوني ، ٣ / ٤٢٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، مطبوعات الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٩هـ، ١٦.

ثالثاً : العمل الصالح يثمر سعادة القلب :

إن الله سبحانه وتعالى اشترط للحياة الطيبة، والهنية، والسعيدة الإيمان، والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧ .

قال ابن كثير رحمه الله :" هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا؛ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، من ذكر، أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله،وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"(١).

رابعاً : العمل الصالح يدفع الهم والحزن عن القلب :

العمل الصالح له أثر كبير في تخفيف الهم، والحزن؛ الذي يصيب قلب الإنسان، من جراء زيادة التفكير المستمر بالأشياء، سواء كانت كبيرة وعظيمة، أو صغيرة وحقيرة، وكثرة التفكير في كيفية المستقبل، ومسئولياته، والحزن يكون نتيجة حدث معين في الحياة من: فقدان عزيز، أو خسارة مال، أو مرض، أو وضع اجتماعي غير مناسب، وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى تكوين الحزن لدى الإنسان، فيصاب الإنسان عند ذلك بشيء ثقيل جاثم على صدره، وفي سبيل التخلص من الهم، والحزن، فإن الإنسان بحاجة إلى أن يقدم بين يدي الله تعالى عملاً صالحًا خالصًا له عز وجل، وهنالك جملة من الأعمال الصالحة التي تكون سبب لإزالة الهم عن القلب، مثل: قراءة القرآن، وكثرة الاستغفار، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَكْثَرَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »(٢)..

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٥٨٦/٢.

(٢) مسند الأمام أحمد، ح ٢٢٣٤، ١ / ٢٤٨، وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة،١ / ٢٥.

وقال ﷺ « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا »[1].

و كان ﷺ يتعوذ من الهم كثيراً، ويحث على هذا الدعاء: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ »[2].

والأعمال الصالحة التي تقوي من عزيمة الإنسان وإيمانه، وترضى بقدر الله وقضائه.

خامساً: العمل الصالح يدفع القلق عن القلب:

القلق هو كربة نفسية تجعل الإنسان يشعر بالاضطراب، والتوتر معظم أوقاته، وهذه الكربة عادة ما تنشأ من الوساوس التي يمليها الشيطان في النفس، نتيجة تخوف من مستقبل مجهول، فينشأ لدى الإنسان نوعٌ من التناقض الداخلي ليتحول بعده إلى صراع في النفس بين ما كان عليه، وبين ما يوسوس له الشيطان الذي آل على نفسه غواية الناس، وإضلالهم، وعلاج ذلك بطاعة الله سبحانه وتعالى، والقيام بالأعمال التي ترضيه عز وجل، والاستكثار من ذكره سبحانه وتعالى في السر والعلن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨.

---

[1] مسند الإمام أحمد ، ح٤٣١٨، ٤٥٢/١، قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح، ٦/ ١٥٣.

(٢) صحيح البخاري، ح ٦٠٠٨، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل ، ٢٣٤٢/٥.

وفي الامتثال لما أمر الله تعالى به، وأوجبه على الناس؛ مخرج واسع من كربة القلق وآثاره، وفي التفكر العميق في مخلوقات الله وخلق السموات والأرض، والليل والنهار وفي كل آيات الله تعالى الموجودة في هذا الكون الواسع، أسباب لإزاحة القلق عن الإنسان.

سادساً : العمل الصالح يدفع اليأس عن القلب :

اليأس يعد مرضاً وكربة تؤثر في النفس بشكل سلبي، فيجعلها تتراجع إلى الوراء، وتسير خلف الركب، واليأس يقضي على الانطلاق، والتطور، والتقدم، والابتكار، وهو يحصل عندما يفقد الإنسان الأمل في التخلص مما يعانيه من ظروف وأحوال، وهو عكس التفاؤل، والوصول إلى اليأس والإحباط هو مبتغى الشيطان ، ويحقق أهداف أعداء الله الذين يحاولون بكل ما أوتوا من قوة وإعلام وغيرها أن يدخلوا إلى نفوس أبناء الأمة هذه الروح؛ التي تجعل الأمة تابعًا لهم في كل أمورها، فتتهول قوة هذا العدو في نفوسهم، وتعظم عقله، وصناعته وتقدمه، إلى أن يقولوا: لا نستطيع أن نبلغ ما بلغو إليه، فلتكن هذه حالنا وتلك حالهم، وهذه كربة عظيمة ومرض خطير يرزح تحت وطأتها جمع كبير من المسلمين، والسبيل الوحيد الذي يخرج المصاب بداء اليأس أن يلجأ إلى الله تعالى بخالص الدعوات، وأحسن الأعمال.

الفصل الثالث

وسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول : الدروس العلمية.
- المبحث الثاني : المحاضرات الوعظية.
- المبحث الثالث : الخطب المنبرية.
- المبحث الرابع :الكتب العلمية .
- المبحث الخامس : البرامج الحاسوبية ، والإنترنت.
- المبحث السادس : الإذاعات، والفضائيات.
- المبحث السابع : الصحف، والمجلات.
- المبحث الثامن : الرحلات الإيمانية.

الفصل الثالث

وسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

الوسائل هي الأدوات التي تتحقق بها الأهداف، والغايات في الحياة، ومن سنَّةِ الله تعالى أنَّ المقاصد لا تحصل إلاَّ بالوسائل، إذْ لا يتصور الوصول إلى هدف دون استخدام الوسائل، أو الوسيلة الموصلة إليه، ولذلك أمَر تعالى عباده بمباشرة الوسائل، واتِّخاذ الأسباب التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾المائدة٣٥.

وقد استخدم رسول الله ﷺ الوسائل المتاحة في وقته لتبليغ رسالة الإسلام، فصدع بالحق على الصفا، وصرخ بقريش واصباحاه، وكان يعرض دعوته في ملتقيات الناس، وأسواقهم، كما كان يطوف بمشاعر الحج، ويلقى القبائل ويبلغ الرسالة، ويستنصر للدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " إن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود والمراد، والثاني: الوسيلة، والطريق الموصل إلى المقصود "[1].

ولقد تميّزت التربية الإسلامية بوسائل فذّة، تنسجم مع خصائص النفس البشرية، وتتعدّد وتتنوّع؛ لتستوعب جميع أنواع المتربين، والمربي يستطيع بإخلاصه، وإدراكه للوسائل المتعددة التي يمكنه استخدامها، وممارسته لهما؛ أن يساعد على بناء جيل؛ ذي صلاح في قلبه، وتكامل في شخصيته .

وتقتضي عملية إصلاح القلوب نوعا من الوعي، والمعرفة بالوسائل التربوية التي يمكن أن تستخدم في إصلاحه؛ من خلال اتخاذ الوسائل الممكنة، والمتاحة في الارتقاء، والتنمية لأعمال القلب، وعلاج أمراضه، فيتحرر القلب من الخضوع للشهوات، والرغبات، ويرتقي إلى مقام العبودية لله ﷻ.

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥ / ١٦٢.

تعريف الوسائل :

الوسائل: جمع وسيلة "والوسيلةُ: ما يُتقرّبُ به إلى الغير، والجمعُ الوَسِيْلُ، والوَسَائِلُ، والتوسِيلُ والتَوَسُّلُ واحد، يقال: وسَّلَ فلانٌ إلى ربِّه وسيلَةً، وتوسَّلَ إليه بوسيلة، أي تقرّب إليه بعمل"(١)، و"هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به"(٢).

يقول ابن كثير رحمه الله: الوسيلة: "هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود"(٣).

ومن تعاريف الوسيلة يمكن القول؛ أن وسائل إصلاح القلب: هي كل ما من شانه أن يوصل إلى إصلاح القلب.

وإصلاح القلب، يتطلب معرفة الوسائل التي لها دور في إصلاحه، ومن ثم تطبيق تلك الوسائل على أرض الواقع، حتى تحصل الثمار المطلوبة، فـ" المخرجات التربوية تتأثر بشكل كبير جداً في كثير من الحالات بل في أغلبها، بمدى قدرة المربي على ممارسة التربية، وإحاطته بخبراتها ومهاراتها، وتمكنه من الأساليب والوسائل التربوية، وقدرته على تطبيقها واستغلالها في ظروفها المناسبة لها"(٤).

ومن الوسائل التي لها دور كبير في إصلاح القلب:

١. الدروس العلمية.
٢. المحاضرات الوعظية.
٣. الخطب المنبرية:
٤. الكتب العلمية .
٥. البرامج الحاسوبية والإنترنت.
٦. الإذاعات والفضائيات.
٧. الصحف والمجلات.
٨. الرحلات الإيمانية.

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، مادة "وسل"، ١/٣٠٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وسل" ١١/٧٢٥.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٤.

(٤) الشريف، محمد بن شاكر، نحو تربية إسلامية راشدة، البيان، ١٤٢٧هـ، ط١، ص٥.

المبحث الأول: الدروس العلمية:

الدروس العلمية لها دور كبير في نشر العلم بين أفراد المجتمع، وهي من وسائل التربية والتأثير، حيث أن سلوكيات وتصرفات الفرد المتعلم تكون بصوره أفضل، مقارنة بالإنسان الجاهل، وهكذا الحال بالنسبة للمجتمعات المتعلمة فهي أكثر رقي وتحضر، من الجاهلة.

وطلب العلم من أجلّ العبادات، وأفضل القربات، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، والدروس العلمية لها من الفوائد الشيء الكثير، فهي من أعظم الوسائل الجالبة للعلم؛ الذي بدوره له الأثر الكبير في صلاح القلب، واستقامة أحواله، وهي مما يعين على أخذ العلم، وسماعه، والعناية به، ودراسته، لما يُلقى فيها من العلم وتُشرح فيها من الكتب، وتفصل فيها من المسائل، ففيها خيراً كثيرا، على اختلاف ميادينها، وتنوع وسائلها.

المطلب الأول: تعريف الدروس العلمية:

الدرس في اللغة: من " دَرَسَ الشيءُ والرَّسْمُ، يَدْرُسُ دُرُوساً؛ عفا..، ودَرَسْتُ الكتاب، أَدْرُسُه دَرْساً، أَي ذللته بكثرة القراءة؛ حتى خَفَّ حفظه عليَّ ...، ودارَسْت الكتبَ وتَدارَسْتُها، وادَّارَسْتُها؛ أَي دَرَسْتُها، وفي الحديث تَدارَسُوا القرآن؛ أَي: اقرأُوه، وتعهدوه لئلا تَنْسَوْهُ، وأَصل الدِّراسَةِ الرياضة، والتَّعَهُّدُ للشيء "[١].

والدرس : "المقدار من العلم يدرس في وقت ما "[٢].

والدروس العلمية: مقدار من العلم، يتسم بالتأصيل، وبيان الأحكام، وذكر الأدلة، يدرس في وقت معين، وتشمل الدروس المقامة في المساجد، وبيوت العلماء، والدروس العلمية في فصول الدراسة في المدارس، وقاعات المحاضرات في الجامعات، وغير ذلك من الأماكن الخاصة والعامة؛ التي يمكن أن تقام فيها تلك الدروس العلمية، وإن كانت الدروس العلمية في المسجد أولى وأفضل للعالم والمتعلم، وأعظم بركة.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "درس" ٦/٧٩.

[٢] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "درس"، ١/ ٢٨٠.

المطلب الثاني: الأثر التربوي للدروس العلمية، ودورها في إصلاح القلوب:

وردت أحاديث في فضل إقامة الدروس العلمية، والاجتماع عليها، لاسيما في المساجد، فعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[١].

وفي إتيان المساجد لتعلم القرآن، قال ﷺ: « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ »، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ « أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاث خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَع »[٢].

وفي فضل حلق الذكر والمذاكرة ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ...، قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[٣].

" وتكمن أهمية هذه الوسيلة في اهتمامها بالتعليم، بل لعلها الوسيلة الأساس في تدارس العلم وتناقله... من أهم ميزات الدروس: أنها تمنح طالب العلم الملتزم بها حصيلة علمية

---

[١] صحيح مسلم، ح٢٦٩٩،كتاب الذكر، باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٤/٤.

[٢] صحيح مسلم،ح٨٠٢،كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ٥٥٢/١.

[٣] صحيح البخاري، ح٦٠٤٥، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ٢٣٥٣/٥.

متينة، ومادة فقهية وفيرة، وسيرا على خطى صحيحة في مضمار طلب العلم.إذ تهبه الدروس أدبا وهيبة، واتزانا في التفكير.."[١].

والدروس العلمية من الوسائل الرئيسة في عملية إصلاح القلوب، وشفائها من أمراضها، وذلك لما لتناول الموضوعات التي لها تعلق بالقلب، بالدراسة من أهمية؛ حيث أن أعمال القلوب، وما يصيبه من أمراض، تكون ملازمه لصاحبها في كثير من أحواله، ولها دور كبير في صلاحه، واستقامته، أو انحرافه، وضلاله، وعليه فإنه الإنسان يحتاج إلى معرفة تلك المسائل والأحكام، ورحم الله احد العلماء إذ يقول: "وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلّا، فانه ما أُتيَ على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك".

ويمكن تفعيل الدروس العلمية لتكون وسيلة لإصلاح القلوب من خلال الآتي:

- أن يكون هناك من أهل العلم من يتخصص في ذلك، ويعقد الدروس العلمية المتخصصة في موضوعات إصلاح القلوب، وعظم الفائدة من هذه الدروس يكون في التنظيم الجيِّدِ، والإعدادِ المسبق، وبذلك تحصل الفائدةُ من هذه الدروسِ .
- التذكير بما يوقظ القلوب، ويصلحها من خلال الدروسٍ في العلوم المتعددة، والفنون المختلفة، بأن يقيم القائم بتدريسها علاقة بين الموضوع الأساسي وبين ماله صله، وعلاقة وثيقة بصلاح القلب، ويحسنُ عند إيرادُ المسائل، لفت الأنظار إلى مقاصد الأحكام التي لها صله بصلاح القلوب، ولها الأثر الحسن في التربية والتوجيه الحسن، وأكثرُ أثرًا في الإقبالِ على الله جل جلاله .
- أن يكون هنالك دروس وجيزة يلقيها أحد الوالدين، في الجلسات العائلية، يكون فيها التذكير بالاهتمام بجملة من أعمال القلوب الفاضلة، كالتواضع، ومراقبة الله ﷻ، وغيرها، والتذكير بالبعد عن أمراض القلوب، مثل: الحسد، والكبر، والتعالي، والغرور، وغير ذلك من تدارس الموضوعات التي يكون فيها صلاح القلب.

[١] العرعور، عدنان بن محمد، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ١٤٢٦هـ،ط١،ص٣٨١.

المبحث الثاني: المحاضرات الوعظية:

للمحاضرات الوعظية أثرها البالغ في النفوس، ولها دور كبير في إصلاح الأفراد والمجتمعات، حيث أنها تلامس شغاف القلوب فتأثر فيها، لذا فقد كان المربي الأول ﷺ، في تربيته لأصحابه يعظهم بين الفترة والأخرى، قال ابن مسعود رضي الله عنه: « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا »[(١)].

المطلب الأول: تعريف المحاضرات الوعظية:

المحاضرات: جمع محاضرة وهي في اللغة: من "حاضر القوم: جالسهم، وحادثهم بما يحضره، ومنه فلان حسن المحاضرة "، "(حضر) الحاء، والضاد، والراء، إيراد الشيء، وروده ومشاهدته"[(٢)].

والمحاضرات الوعظية: وسيلة كلامية، يسعى الواعظ من خلالها إلى التأثير في المدعوين بالأسلوب المناسب للحال، والمقام.

وقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠، "الوعظ: الكلام الذي تلين له القلوب...، ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه؛ فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً"[٣].

" والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعا معيناً، باستقصاء، وإحاطة، وذكر الأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال، والمحاضرة الناجحة ما

---

(١) صحيح البخاري، ح٦٨، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، ١/ ٣٨.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "حضر" ، ٢ / ٧٥.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، ٢ / ٤٣٧.

كانت تهدف إلى هدف معين ومحدد، وتجلي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع، ويجب على المحاضر أن يكون دقيقا في كلامه؛ لا يلقي القول جزافاً، ولا يكثر من العبارات العاطفية، لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة، وأن يشرك السامعين معه في الوصول إلى ما يريده؛ بأن يبين مقدمات النتيجة التي وصل إليها في بحثه، فإذا ما استطاع إقناعهم بها كان وصولهم إلى النتيجة ميسورا...، وهذا وعلى الداعي في محاضرته أن لا يكون جافاً بل عليه أن يضفي على محاضرته شيئا من التحريك العاطفي الوجداني؛ بما يذكره من حقائق الإسلام ومعاني العقيدة الإسلامية، وهذا التحريك الوجداني يقوم على أساس إثارة ما في النفوس من معاني الإيمان"[١].

المطلب الثاني: الأثر التربوي للمحاضرات الوعظية، ودورها في إصلاح القلوب:

وردت أحاديث في قيام الرسولﷺ بتربية أصحابه رضي الله عنهم من خلال الوعظ، فيحكي أحد أصحابه وهو العرباض بن سارية ﷺ عن موعظة وعظها إياهم النبي ﷺ، فيقول: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٢].

وحتى تترك الموعظة أثرها ينبغي أن تكون تخولاً، وألا تكون بصفة دائمة، "عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ

---

[١] زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥٩.

[٢] سنن الترمذي، ح٢٦٧٦، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٥/٤٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح٢٦٧٦.

ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا" (١)

فالمحاضرات الوعظية لها أثر كبير في النفوس، ويحتاج إليها في العملية التربوية، بين الفترة الأخرى، ويكون الإعداد الجيد لها، حيث " تكمن أهمية المحاضرة في التركيز على جانب علمي، أو دعوي معين، مما يكون له أثر علمي، ودعوي عظيم..، تتميز المحاضرة.. عرض موضوع واحد، وبأسلوب علمي مقنع، يتدرج فيها المحاضر، فيلقي فيها أفكاره ويؤيدها، ويتعرض للأفكار المخالفة ويفندها، وغالبا ما تكون موجهة لمستوى معلوم من الناس، ويعقبها أسئلة ومناقشة.. كل ذلك يدفع المستمع (المدعو) إلى استجماع أفكاره، وخروجه بنتيجة مثمرة"(٢).

وللمحاضرات الوعظية تأثير بالغ في القلوب، حيث "إن في القلوب شفافية عجيبة، تظهر وتتأثر بالكلمات الرقيقة، وبالمواقف المؤلمة التي تستعطف العواطف، فتعدو بها نحو الخير، وفي الجانب الآخر تجد في القلوب قسوة عجيبة؛ حتى أن بعضها كالصخور، أو أشد من ذلك...، فبعض القلوب القاسية لا يلينها إلا المواعظ بما في كتاب الله تعالى، وبما في سنة نبيه ﷺ...، فهذه الشفافية التي في القلوب داعية إلى استخدام المواعظ المؤثرة؛ التي تبين لها الطريق وتردها للحق، كما أن القسوة القلبية التي توجد في بعض القلوب في أمس الحاجة إلى المواعظ القرآنية والنبوية؛ التي تقتلعانها من حمأة الرذيلة، وانحراف العقيدة، إلى سبل السلام، والهداية"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، ح٧٠، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، ٣٩/١.

(٢) العرعور، عدنان بن محمد، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ص٣٨١.

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص ٣٩٧.

ويمكن تفعيل المحاضرات الوعظية لتكون وسيلة لإصلاح القلوب من خلال الآتي:

- إقامة محاضرات وعظية في المساجد بشكل دوري، تهتم بمجال إصلاح القلوب بطريقة مباشرة من خلال الحديث عن مكانة القلب، وأهمية إصلاحه، وما يتعلق بأعمال القلوب، وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها.
- تفعيل المحاضرات الوعظية لإصلاح القلوب، في المدارس والجامعات، من خلال برامج النشاط، والإعلان عنها، والحث على حضورها.
- إصدار جملة من الأشرطة الصوتية، التي تحتوي على محاضرات وعظية عن مواضيع إصلاح القلوب، كما يمكن أرشفة الإصدارات السابقة، وإعادة إصدار ما نفد منها؛ لتكون مواد متوفرة في التسجيلات الإسلامية لمن يرغب أن يستفيد منها.

المبحث الثالث: الخطب المنبرية:

فإن الخطابة إحدى وسائل الدعوة إلى الله جل وعلا، وهي من أهم وسائل التربية والتأثير، التي يلجأ إليها المصلحون، والعلماء، والدعاة، والقادة في كل العصور؛ لإصلاح الأفراد، والمجتمعات، والنهوض بالأمة.

وقد جعل الإسلام أهمية بالغة، ومكانة عظيمة للخطابة، ولاسيما خطبة الجمعة، فهي شعيرة من شعائر الإسلام، لها دور فعال في صياغة سلوك الناس، والتأثير عليهم في شتى المجالات، ولها دورها البارز في خدمة الدعوة إلى الله، لما تختص به من خصائص، وتتميز به من مزايا، تحتم على الخطيب أن يكون على مستوى هذه المكانة، وتلك الأهمية.

المطلب الأول: تعريف الخطب المنبرية:

الخطبة: في اللغة من " خَطَبَ الخاطب على المِنْبَر خَطابة بالفتح، وخُطبة بالضم، وذلك الكلام خُطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسَجَّع ونحوه، ورجل خَطِيبٌ حسن الخُطبة بالضم "(١)، " وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم ، " (٢).

" وقال قوم : إنما سمِّيتْ الخُطبة لأنهم كانوا لا يجعلونها إلا في الخَطْب والأمر العظيم، فلهذا سميت خُطْبة " (٣).

والخطبة: " فنّ من فنون الكلام ، يقصد به التأثير في الجمهور، عن طريق السمع والبصر معا" (٤).

وخطبة الجمعة عرفها بعض الفقهاء " والخطبة في المتعارف اسم لما يشتمل على تحميد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ، والدعاء للمسلمين، والوعظ والتذكير لهم" (٥).

---

(١) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة " خطب "، ١ / ٦٥ .

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير ، مادة " خطب " ١ / ١٧٣ .

(٣) الرازي، أحمد بن فارس، حلية الفقهاء، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٨٧ .

(٤) بيومي، مصلح سيد، الخطابة في الإسلام، مكتبة المجد العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص١١.

(٥) الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ط٢ ،١ / ٢٦٢ .

المطلب الثاني: الأثر التربوي للخطب المنبرية، ودورها في إصلاح القلوب:

إن للخطب المنبرية أثر كبير في حياة البشر جميعاً، سواء الدينية منها، أو السياسية، أو غير ذلك من أنواع الخطابة، فكم حركت من جيوش، وألهبت من حماس جماهير، وغيرت قناعات وأفكار، وخطبة الجمعة في الإسلام تحتل مكانة عظيمة، في نفس ووجدان كل مسلم، فلها أهمية بالغة على سلوك الناس وتعاملهم، ولها دور عظيم في تربية الأمة، وعلاج أدوائها، فهي موعظة أسبوعية عامة، توقظ القلوب الغافلة، وتشحذ الهمم العالية، وتصل النفوس بخالقها جل وعلا، لتعبد ربها على علم وبصيرة، متى نجح الخطيب في قراءة واقع أمته قراءة جيدة، فعمل على علاج مشاكلها.

إن خطبة الجمعة تتميز بمزايا، وتختص بخصائص لا تتوفر في أي نوع من أنواع الخطب الأخرى، حيث إنها تمثل شعيرة من شعائر الإسلام، وتتم في جو مهيب خاشع، تتهيأ فيه النفوس للتلقي والاستماع، كما أنها تتميز بوجوب الإنصات إلى الخطيب، وعدم التشاغل عنه، مما يجعل رسالة الخطيب تصل إلى السامعين من غير معوقات، أو تشويش.

وتتميز خطبة الجمعة أيضا بالاستمرارية، والتكرار في كل أسبوع، ففي العام الواحد يستمع المصلي لما يقارب اثنتين وخمسين خطبة، مما يمثل منهجاً متكاملاً، ذا استمرارية متواصلة؛ لتعليم وتربية الناس.

كما تتميز خطبة الجمعة بتنوع الحاضرين إليها، باختلاف مستوياتهم، وطبقاتهم العلمية، والاجتماعية، فإن الخطيب في خطبة الجمعة يخاطب جميع فئات المجتمع.

فإذا اهتم بخطب الجمعة، وأحسن إعدادها؛ كان لها آثار جليلة، وثمرات عظيمة، في توجيه الناس وإرشادهم، وتربية نفوسهم، وبناء شخصياتهم كما يصوغوها الكتاب والسنة .

وليعلم الخطيب أن من مقدمات أولويات خطبه الجمعة هي علاج هذه النفوس، وشفاء القلوب من أمراضها، وشحذ الهمم ، والارتقاء بها عن الإخلاد إلى الأرض، وإتباع الهوى والشهوات، ولذا عليه أن يتخير من الموضوعات ما يكون علاجاً ناجعا لنفوس المخاطبين، وبلسماً شافياً لأدوائهم .

ولقد كانت خطب النبي ﷺ ومواعظه، ودعواته، ووصاياه، تشتمل على علاج القلوب وشفائها من أمراضها، لأن هذا هو منطلق الصلاح والإصلاح، وكذلك كان كثير من خطب، ومواعظ الخلفاء الراشدين، ومن سلك مسلكهم من خطباء التابعين ووعاظهم، ومن جاء من بعدهم من علماء هذه الأمة ، وكانت حياة النبي ﷺ مثالاً في خشية الله ﷻ، وتقواه، والرحمة، والحلم، والرفق، والتواضع.

فعلى الخطيب أن لا يغفل علاج القلوب، والتذكير الدائم به إما بالعودة إليه بين الحين والحين، أو بالتذكير به في خطبه مهما كان موضوعها، فإنه لا يصعب عليه أن يقيم علاقة بين موضوعه الأساسي وبين التذكير بما يوقظ القلوب وينبه المشاعر، ويجدد الإيمان، فإن هذا هدف في حد ذاته، فإن القلوب هي التي تتلقى عنه، فإذا تهيأت، وتأثرت، وعمرت بالإيمان سهل عليه الإصلاح والتغيير، وإذا صلحت الأعمال، صلحت الأحوال، كما قال رسول الله ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ »[1].

كما يمكن إعداد خطب جمعة تتناول جملة من موضوعات إصلاح القلوب، وأعمالها، وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها، لتكون مرجعاً للخطباء، يرجعون إليه.

---

[1] صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٨/١.

المبحث الرابع :الكتب العلمية :

فإن الكتب من أهم وسائل الثقافة والمعرفة، وهو من أهم وسائل التربية، والتأثير، التي تشكل اتجاهات الناس، وتأثر في سلوكهم، وتتنافس الأمم في نوع، وكمية ما تصدره من كتب العلم والمعرفة؛ وذلك لما للكتب من أثر في حياة الأفراد، والمجتمعات، والنهوض بالأمم، فـ " عظم الأمم ونهضتها معتبرة بأفكارها التي يبدعها أبناؤها، وبعلمها الذي يتسلسل عبر أجيالها، ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً، وما الكتب التي خلفها لنا علماؤنا المتقدمون إلا مظهر حي وترجمان عملي لهذه العظمة التي بلغتها الأمة الإسلامية، وهذه الكتب والأسفار التي كانت أعظم مورد، وأصدق شاهد على سابق الأمة، وماضيها"(١).

المطلب الأول: تعريف الكتب العلمية :

الكتب: جمع كتاب " الكِتابُ معروف، والجمع كُتُبٌ، وكُتْبٌ، كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً، وكِتابةً، وكَتَّبه خَطَّه"(٢) ، و"كتب: الكاف، والتاء، والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، من ذلك الكِتَابُ والكتابة، يقال: كتبت الكتابَ أَكْتبه كَتْباً "(٣).

"والكتاب: هو معلومات مطبوعة عن أي موضوع ممكن تصوره، مصاغة ومرتبة بتسلسل في فصول ومجلدة في غلاف"(٤).

والكتب العلمية تشمل: الكتب العامة، أو ما يخص كتب المناهج والمقررات الدراسية، وكذلك يدخل فيها كتب الأطفال التي تشتمل على القصة الهادفة، والموضوعات المفيدة.

(١) السنو، خالد بن عبدالرحمن، مكانة الكتب وأحكامها في الفقه الإسلامي، دار البيان الإسلامية، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ، ص٤٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "كتب" ١ / ٦٩٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "كتب" ، ٥ / ١٢٨.

(٤) جوركان، ديفيد، كتابك، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤، الرياض ، ترجمة، فؤاد عبدالعال، ص١٩.

المطلب الثاني: الأثر التربوي للكتب العلمية، ودورها في إصلاح القلوب:

الكتاب وسيلة تربوية فعالة تعمل عملها في عقل وقلب وفكر القارئ، ومن ثم تظهر على سلوكه، وتصرفاته، ونظرته للحياة، ولذلك فللكتب تأثير بالغ في نمو الحضارة الإنسانية وتطورها، حتى ظهرت بصورتها الحديثة، وقد اهتمت الأمم بتكوين المكتبات الخاصة والعامة، لما لها من أثر كبير في رقيها وتقدمها، ولقد أهتم علماء المسلمين وحكامهم بجمع الكتب وتكوين المكتبات العلمية، لما لذلك من أهمية، ومن أشهر تلك المكتبات مكتبة بيت الحكمة ببغداد، أحد الكنوز العلمية التي أنتجها الفكر الإسلامي قديماً، كما أنتج غيرها من المكتبات العلمية في سائر الأقطار الإسلامية، وقد أنشئت هذه المكتبة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حيث أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد، و لم تكن الوحيدة في العالم الإسلامي، وإنما كان ثمة الكثير من المكتبات التي لم تقل شأناً عنها؛ لأن الأمراء المسلمين كانوا يتنافسون في جمع الكتاب، وقد لعبت هذه المكتبة مع كثير من المكتبات الإسلامية الأخرى دوراً كبيراً في حدوث نهضة علمية في سائر المجالات عند المسلمين الأوائل.

وفي العقد الأخير ازداد الإقبال الكبير على الكتاب، وكثرت المعارض الدولية في الدول العربية، وأصبحت مطمح ومرمى المثقفين وغير المثقفين، ولا شك أن هناك ازدياداً في الإقبال على الكتاب، وما زال الكتاب الإسلامي يحتل الصدارة في ذلك.

وللكتب بشكل عام، وكتب الأطفال بشكل خاص آثار تربوية، وسلوكية، وقبلها عقدية وإيمانية في النفوس، فلها دور كبير في تنمية قدرات الطفل العقلية، وفي تنمية إدراكه، خاصة إذا كانت مزودة بصور توضيحية جميلة، تسهل على الطفل الفهم والاستيعاب، ولهذه القصص والحكايات أهمية عظيمة في توجيه الطفل ثقافياً وتربوياً وعلمياً، وغرس المبادئ والقيم في نفسه، وهذه القصص الصغيرة، تنطبع في ذهن الطفل، وتنمو بداخله، وتزهر، و تصير المحرك الأساسي له في حياته في مستقبل الأيام.

وللكتب أهمية في صلاح القلوب، حيث أنها تحتوي على العلم والمعرفة بأحكام أعمال القلوب، وأمراضها وآفاتها، وسبل علاجها، وطرق تزكيتها، والمواعظ والرقائق، التي تطهر

القلب من أمراضه، وتنمي أعماله الفاضلة، وهذا العلم محفوظ في الكتب التي اهتمت بذلك، وقامت ببحث تلك المسائل ودراساتها، فالكتب تعتبر آلة العلم الرئيسة، التي تكتسب منها تلك العلوم، ومن ثم تطبيق تلك المسائل على أرض الواقع.

ومن المعلوم كيف " تؤثر المواد المقروءة- والكتب من بينها- في نفس المتلقي من ناحية حفزه على تأكيد ذاته، وشحذ قوه العقلية في فهم ما يقرءا، وفك رموزه وقيامه بمهمة المعلم لنفسه، ومن المعلوم سيكولوجياً أن قيام المتلقي بمهمة التلقين والتعليم لنفسه يزيد ما يتلقاه عمقاً، وثباتاً، وقوة"[1].

وتكون الكتب وسيلة لإصلاح القلوب من خلال الآتي:

- تأليف الكتب النافعة، التي تتناول القلب وأعماله وأمراضه وطرق إصلاحه بالدراسة بطريقة مباشرة، أو الكتب التي يكون فيها أثر في علاج القلب وتنمية أعماله، مثل الكتب التي تتناول مسائل العقيدة، والأخلاق، والرقائق، والتفكر في آيات الله ﷻ ومخلوقاته، وكذلك الكتب التي تتطرق لمسائل الإعجاز العلمي المؤصل، مع إبراز ماله أثر في صلاح القلب.
- دور المدرسين في التشجيع على القراءة، واقتناء الكتب و توجيههم للقراءة التي تحتوي على موضوعات هادفة، وقيم تربوية لها أثر في إصلاح قلوبهم، وتطهيرها.
- تكوين مكتبة في المنزل تحتوي على جملة من الكتب المناسبة لأفراد الأسرة، وتحتوي على كتب للأطفال فيها من القصص الهادفة، التي تتناول مواضيع لها أثر في صلاح القلب، مثل: الإخلاص، والتواضع، ومحبة الله ﷻ، كما تحذر من الحسد، والعجب، والكبر وغير ذلك من المواضيع التي لها صلة بالقلب.

---

[1] عزت، محمد فريد، وسائل الإعلام السعودية والعالمية، دار الشروق، جده، ط١، ١٤١٠هـ، ص.

المبحث الخامس: البرامج الحاسوبية وشبكة الإنترنت:

مع التقدم الملحوظ في هذه العصور المتأخرة، أصبح لكل من برامج الحاسوب، وشبكة الإنترنت، مكانة مرموقة، وأهمية كبيرة في حياة كثير من الناس، ودور فعال في كثير من أعمالهم، ومختلف جوانب حياتهم، وأصبح" علم الحاسوب، ونظام الإنترنت علمان حديثان في عالم التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة، وقد أخذا يفرضان أنفسهما على التطورات العلمية والتكنولوجيا، بعد أن أصبحا وسيلتي تخاطب في مختلف وسائل الاتصال، والمعلوماتية والسياسية، والاجتماعية، وعلى جميع الأصعدة العلمية، والثقافية، والأكاديمية "[١].

ويعتبر كل من الكمبيوتر، والإنترنت وسيلة فعالة من وسائل التربية، والتأثير الجماهيري، وذلك لاختراقها جميع الموانع، والحواجز، ودخولها إلى عدد كبير من البيوت، وتأثيرها على العقول، والأفكار.

المطلب الأول: تعريف البرامج الحاسوبية وشبكة الإنترنت:

الحاسب الآلي: وهو "جهاز يستقبل إدخالاً، ويعالج البيانات، ويحفظها وينتج إخراج "[٢].

الإنترنت: " هو الشبكة التي تربط بين عدد لا حصر له من الشبكات التي تستخدم بروتوكول TCP/IP في الاتصال فيما بينها، ويعود تاريخ الانترنت إلى عام ١٩٦٩م، وكانت تسمى في بداياتها ARPANET "[٣].

والإنترنت يمكن استخدامه في المنزل عبر الاشتراك مع شركات مزودي الخدمة، أومن خلال مقهى الإنترنت: التي هي عبارة عن مكان به أجهزة حاسب آلي، يمكن الدخول عبرها للإنترنت برسوم رمزية.

---

[١] التميمي، أسد الدين، معجم مصطلحات الانترنت والحاسوب، دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠٠٦، ص٣.

[٢] المرجع السابق، ص١٩٩.

[٣] المرجع السابق، ص٩١.

المطلب الثاني: الأثر التربوي البرامج الحاسوبية وشبكة الإنترنت، ودورها في إصلاح القلوب:

لقد أصبح للكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، أثر بالغ في حياة كثير من الناس، وتأثيراً على ثقافاتهم، وأفكارهم، ومجريات حياتهم، وهذا التأثر يسير في اتجاهين: تأثر إيجابي بناء، وتأثر سلبي هدام، حيث أن الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت تعتبران سلاح ذو حدين يمكن الاستفادة منه في الخير والصلاح، ويمكن تسخيره للشر والفساد.

والكمبيوتر إذا أحسن استخدامه، يكون له دور تربوي فعال، لما فيه من استغلال الأوقات، ولما يتضمن من برامج تفاعلية تساعد في عملية التعليم ، فـ" ظهور الكمبيوتر أتاح الفرصة للمربين لاستخدام وسيلة أخرى للتعليم والتعلم، ومن ثم أصبح الكمبيوتر أحد الوسائل الأساسية لعرض المعلومات، والتي يمكن استخدامها في المواقف التعليمية المختلفة "(١).

وشبكة الإنترنت لها تأثير كبير في حياة كثير من الناس، وأصبح عليها إقبال كبير لما تتميز به من طبيعة الخصوصية التي تصاحب الإنترنت مقارنة باستخدام الوسائل الأخرى، وكذلك ما يوجد في الإنترنت من تنوع المعلومات وغزارتها نظراً لتعدد مصادرها، وتنوعها، وتوفر المقاطع الصوتية، والمرئية، والصور، وهذا يعطي نوع تفاعل معها، واهتمام بها، يجعل الإنسان يقضي وقت كبير فيها، ويتأثر بما يعرض من خلالها.

وقد استغل تلك الميزات أعداء الإسلام واستطاعوا أن يبثوا من خلال هذه الشبكة، ما يفسد القلوب، ويدمر العقول، من مختلف الشبهات والشهوات، "فأهل الإسلام أولى وأحرى بأن يقتحموا غمار هذه الشبكة، ويلقون بثقلهم فيها، حتى ينقذوا هذه الفئات الحائرة، وتلك الأمم التائهة، ويهدوا إلى الصراط المستقيم، صراط الله العزيز الحميد، ولاسيما أن دين الإسلام يحمل كل المقومات التي تجعله منصوراً دوماً في ميادين الحوار"(٢).

---

(١) أبو عظمة، محمد نجيب، الوسائل التعليمية وتقنياتها، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٧٧.

(٢) العصيمي، تركي بن أحمد، كيف نخدم الإسلام من خلال الإنترنت، دار المعراج، ١٤١٢هـ، ص١٧.

وللكمبيوتر، وشبكة الإنترنت دور كبير في عملية إصلاح القلب، وتنميته وعلاج أمراضه، وذلك إذا أحسن استخدام هذه الوسيلة من خلال التالي:

- إنشاء مؤسسات لإنتاج برامج الكمبيوتر تحتوي على مواد صوتية، ومرئية، وغير ذلك من المواد التي يكون لها دور في صلاح القلب ونمائه.
- نشر الكتب الإلكترونية التي تتحدث عن صلاح القلب، وكذلك التي تحتوي على جملة من المواعظ والرقائق التي لها دور صلاح القلب.
- إنشاء مواقع ومدونات متخصصة علي الإنترنت تحتوي علي موضوعات صلاح القلب، واستقامته، وتنشر مبادئ وتعاليم الإسلام الصحيحة.
- الإكثار من المنتديات التي تهتم بمناقشة موضوعات صلاح القلب، وعلاج أمراضه، وتسهم في البناء التربوي الإيماني للشخصية .
- استثمار مواقع المحادثة (CHAT) التي تمكن الداخل للإنترنت من التعارف مع الآخرين، والحديث معهم في موضوعات، القيم والمبادئ الإيمانية التي تصلح القلوب وتزكيها، إما كتابة أو بالصوت أو بالصوت مع الصورة.
- المراسلة عبر البريد الإلكتروني، وهذا يمثل نافذة يمكن أن يدخل من خلالها لنشر الموضوعات النافعة، التي يكون لها أثر طيب في صلاح القلب.
- حجب المواقع السيئة، التي تثير الشبهات، والشهوات، التي تميت القلب وتمرضه، وذلك للقضاء على سلبية الإنترنت.
- توعية المستخدمين بأضرار الإنترنت إذا أستخدم استخداماً سيئاً، حيث يؤثر على الدين والأخلاق، ويؤدي إلى انتشار الفساد، والرذيلة، والجريمة في المجتمع، وأن ذلك يخالف الوازع الديني الذي أكسبه الله في قلوب المؤمنين، بل ويقضي عليه.
- ضبط أجهزة الكمبيوتر في المنزل وترشيد استخدامها، بأن تكون الأجهزة في مكان بارز من البيت ، حتى ترى من الجميع بسهولة، وأن تقفل في حال غياب المسئول بحيث لا يتمكن الشيطان من استدراج المستخدم.

المبحث السادس: الإذاعات والفضائيات:

لقد تميز العصر الحديث بالتطور الهائل، والتقدم السريع، وشهدت السنوات الأخيرة تطورات تكنولوجية، وطفرات علمية متلاحقة في مجال استخدام الأقمار الصناعية، والبث المباشر، حتى أصبح العالم قرية إلكترونية واحدة تسبح في فضاء الإعلام، وسرعة الاتصالات والمواصلات، وأرتبط الناس في جميع العالم؛ يسمع بعضهم البعض، ويرى بعضهم البعض الآخر على مدار الساعة، وأصبح هنالك كم هائل من القنوات الفضائية المرئية، والإذاعة الصوتية بمختلف اللغات، تبث مختلف البرامج العلمية والعملية، التربوية والتعليمية، السياسية والاقتصادية، المؤثرة في الأخلاقيات والسلوكيات، وأصبحت هذه القنوات الفضائية هي المعلمة، والغارسة لكثير من القيم سواء السلبية منه أو الإيجابية.

المطلب الأول: تعريف الإذاعات والفضائيات:

الإذاعة في اللغة: من أذاع الخبر نشره وأفشاه.

والإذاعة عرفا: هي: "محطات لبث الكلام عبر أجهزة لا سلكية إلى أجهزة استقبال لاسلكية في أي مكان كانت في حدود موجات الإرسال"(١).

والفضائيات: المقصود بها " المحطات المرئية: أو (الرائي) هي: إذاعات تبث الصوت والصورة معا"(٢).

ووسيلة التقاط القنوات الفضائية هو التلفزيون " وتتكون كلمة تلفزيون Televisionمن مقطعين: الأول (Tele) وتعني عن بعد، والثاني (Vision) وتعني الرؤية، أي أن كلمة تلفزيون تعني الرؤية عن بعد"(٣).

والنظام التليفزيوني: هو" إرسال واستقبال الصورة المرئية المتحركة، والصوت المصاحب لها عن طريق موجات كهرومغناطيسية"

---

(١) العرعور، عدنان بن محمد، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ص٣٧٤.

(٢) المرجع السابق، ٣٧٧.

(٣) الحلواني، ماجي، الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ص٦٧.

المطلب الثاني: الأثر التربوي للإذاعات والفضائيات، ودورها في إصلاح القلوب:

للفضائيات، والإذاعات، وبقية وسائل الإعلام أثر كبير في التربية، وتشكيل شخصيات الناس، بسبب الانتشار الكبير لهذه الوسائل، وقوة الإقبال عليها؛ حتى أصبح غالبية الناس يقضون بشكل يومي الساعات الطوال أمام شاشات التلفاز، ويتلقون ما يعرض عليهم من أفكار، تلعب دورا مهماً في صياغة العقول، والتوجهات، والمعتقدات.

وأصبح للفضائيات، والإذاعات دور كبير في مجال تثبيت القيم، وخاصة الإعلام المرئي حيث أن فيه من الجاذبية ما يلفت الانتباه، ويجعل المشاهد له أكثر تركيزاً، وهذا يعطي نوع اهتمام يساعد على فهم الرسالة وتذكرها ومن ثم تأثيرها في المتلقي، وهو كذلك يخاطب القادر على القراءة، وغير القادر، ويؤثر في جميع فئات المجتمع على اختلاف مستوياتهم الثقافية، و بخاصة الأطفال الذين يتأثرون بما يرون بنسبة تفوق الكبار؛ بسبب مستوى قدراتهم المحدودة؛ وقلة تجربتهم، مما يؤثر في صياغة شخصياتهم إيجاباً، أو سلباً.

وكذلك الإذاعات لها تأثير في حياة الناس، فلها قوتها الإيجابية، فهي تصل إلى المستمع، في كل مكان، وفي أي زمان.

وقد" لجأت كثير من الدول إلى إمكانية استخدام الإذاعة المسموعة في خدمة العملية التعليمية؛ لأن أعداد المستقبلين الذين ممكن أن تصلهم المادة التعليمية من خلال الإذاعة الصوتية يفوق أعداد المستقبلين الذين من الممكن أن تصلهم المادة تعليمية من خلال عشرات إن لم يكن مئات المدارس"[(١)].

ومع هذا التأثير البالغ لكل من الفضائيات، والإذاعات، فالواقع يشهد أن تأثيرها السلبي أصبح هو الغالب، لما تحتويه من مواد تخالف الشريعة والمبادئ الإسلامية، مما يدفع إلى الإسهام في هذا الميدان بكل ما هو مفيد ونافع، ويعود بالخير على الفرد والمجتمع.

وللفضائيات، والإذاعات أثر كبير في صلاح القلوب، أو فسادها، وذلك يعتمد على المحتوى الذي يعرض في تلك الوسائل، وللأسف فإن كثيراً مما يعرض في كثير من القنوات

---

(١) الحلواني، ماجي، الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي، ص١٨.

الفضائية، ومما يلقى على الإذاعات، هو من قبيل ما يؤجج الشهوات، ويثير الشبهات، التي تفسد القلب وتمرضه.

وقد وجدت في الآونة الأخيرة مجموعة من القنوات الفضائية، والإذاعات، التي تلتزم بالمنهج الإسلامي، مثل: قناة المجد، والحكمة، وطيبة، ومكة، وإذاعة القرآن الكريم، وغيرها وأصبح لها أثر إيجابي، ومازال الميدان الإعلامي يحتاج إلى عدد أكبر من الفضائيات، والإذاعات، التي تلتزم بالمنهج الشرعي، ولها تأثير تربوي هادف.

وتكون الإذاعات والفضائيات وسيلة لإصلاح القلوب، من خلال التالي:

- إيجاد المادة الإعلامية الناجحة من خلال عروض ومشاهد تربوية تبني القلوب وتصلحها، وتعالج أمراضها.
- إنشاء محطات البث الإسلامية التي لها دور إيجابي في إصلاح القلوب، وتقوية الإيمان، وغرس القيم والمبادئ الإيمانية.
- إنشاء شركات إعلامية، تتبنى المنهج التربوي الإسلامي في الإعلام، وعلى رأسها التلفزيوني الفضائي، وتقدم البرامج، والمواد التي لها دور في إصلاح القلوب وتهذيبها.
- إنشاء مكتبة (سمعية – بصرية) سواء في البيت، أو المدارس والجامعات، تحتوي على المواد والبرامج النافعة التي تبني القلوب، وتزكي النفوس.
- إيجاد التلفزيون التربوي الذي يقوم ببث المواد التربوية الهادفة، من خلال البرامج المتنوعة التي سيكون له أثر كبير في صلاح القلوب.
- استغلال المشاهد الإيجابية لغرس وتعزيز القيم الإيجابية، مثل: التواضع، والصدق، والأمانة، وحب الله ﷻ.

المبحث السابع: الصحف والمجلات:

للصحف والمجلات من أثر كبير في الواقع المعاصر لما لهما من تأثير على خلق الرأي العام، والتأثير في قناعات الناس وتوجهاتهم، وذلك بدوره يؤثر على سلوكهم.

وظلت الصحافة تحافظ على مكانتها مع ظهور الوسائل الإعلامية الأخرى من إذاعة وتلفاز ،من خلال التعمق في الأحداث اليومية وسرعة الوصول إلى القارئ وغيرها، مما أبقى قدرتها على التأثير في الجمهور.

المطلب الأول: تعريف الصحف والمجلات:

الصحف: جمع صحيفة وهي " التي يكتب فيها والجمع صَحائفُ وصُحُفٌ وصُحْفٌ وفي التنزيل إن هذا لفي الصُّحُفِ الأُولى صُحُفِ إبراهيم وموسى "[١].

و الصحيفة : "إضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك "[٢].

والمجلات: جمع مجله وهي" مطبوع دوري يصدر تحت عنوان واحد بشكل منتظم مره أسبوعيا على الأكثر ولها غلاف وتهتم أكثر بالتعمق، في معالجة الأحداث، وتقديم خلفيات وتفسير لها، وتتنوع في المضمون من العمومية إلى التخصص الشديد في مجال معين"[٣].

وجرى العرف أن يطلق اسم "صحيفة" على "الجريدة"، وتتفق الصحيفة والمجلة في كونهما يصدران دورياً، إلا أن بينهما اختلافات من حيث الشكل والحجم، وكذلك في الفترة الزمنية للصدور حيث أن الصحف تصدر كل يوم أو أسبوع على الأكثر، إلا أن المجلة تتميز بدورية أطول فقد تصدر كل أسبوع، أوفي كل شهر، وكذلك يختلفان في طبيعة تناولهما للموضوع، حيث أن المجلة تكون أكثر تركيزاً، وعمقاً في تناول الموضوع ومعالجة القضايا.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "صحف"٩ / ١٨٦.

[٢] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "صحف"، ١ / ٥٠٨.

[٣] حبيب، راكان عبد الكريم، وآخرون، وسائل الاتصال، دار زهران، جدة، ١٤١٥هـ، ط٢، ص١٦٨.

المطلب الثاني: الأثر التربوي للصحف والمجلات، ودورها في إصلاح القلوب:

للصحف والمجلات دورا مؤثرا في حياة المجتمع، ولها دور كبير في تشكيل شخصية الفرد، من خلال ما تقدمه من أخبار وحقائق ومعلومات، تشكل اتجاهات الناس، وتكون ثقافتهم، وذلك بدور يؤثر في مواقفهم وسلوكيتهم، و" لقد أدركت الأمم والمجتمعات والشعوب أهمية الصحافة، وتأثيرها الفاعل في الرأي العام، فعمدت إلى إصدار صحف عدة تعبر عن أرائها وتنقل أخبارها إلى ما يحيط بها، وأخبار العالم إلى أفرادها، وتنشر المعرفة والعلم والثقافة، وتوجه الجماهير نحو متطلباتها"[(١)].

ولذلك فإن الصحف والمجلات من الوسائل المؤثرة في تربية الفرد والمجتمع، إذا ما حسن استخدامها، وتوجيهها التوجيه الصحيح، وذلك لما "تحتل الصحافة من مكانة الصدارة بين وسائل الإعلام المختلفة، كإذاعة والتلفزيون والسينما باعتبار الصحيفة الوسيلة الإعلامية الأولى التي عرفها الناس وتداولوها بشكل واسع، والتي أدت دوراً كبيراً في حياة الأمم والشعوب، وأثرت تأثيراً مهماً في التواصل بين الحضارات وربط المجتمعات بعضها ببعض"[(٢)].

فلها دور تربوي مؤثر في مجالات عدة:

١. حيث أنها تشكل وتوجه الرأي العام في أوساط المجتمع، فإذا اتجهت نحو تشكيل الاتجاهات، وتنمية القيم الإيجابية، فإن ذلك له دور كبير في رقي المجتمع وفق الهوية الإسلامية.
٢. تحقيق الوحدة الثقافية للمجتمع، حيث يسير المجتمع بشكل عام في توجهاته وثقافته في القضايا الكلية والمصيرية في مسار واحد، بعيد عن التناقضات، والازدواجية المتعارضة.

[(١)] بدران، عبد الله، الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٣هـ، ط١، ص.

[(٢)] المرجع السابق.

٣. محو الأمية، ونشر العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع، وذلك يسهم في تقدمه وازدهاره.

٤. معالجة المظاهر السلبية، والتصرفات الخاطئة؛ التي قد تحصل في المجتمع، وتنتشر بين أفراده، من خلال تشخيص تلك المشاكل، ورصد مظاهرها وأسبابها، ووضع الخطوات العملية في علاجها، ووقاية المجتمع من آثارها.

وتتميز الصحافة بجملة من الميزات تعطيها ذلك التأثير فمن ذلك:

١. سعة الانتشار حيث يطبع منها أعداد كبير، ويتم توزيعها وبيعها في أماكن مختلفة وهذا بدورة يغطي فئة كبيره من المجتمع، ويطلع عليها كثير من الأفراد، مما يجعلهم يتأثرون بما يطرح خلالها.

٢. مناسبتها لحال القارئ حيث يستطيع أن يقرأ الصحيفة، أو المجلة في الوقت الذي يختاره، والمكان الذي يناسبه، فيقرأها وهو متهيئ لذلك.

٣. بقاء أخبارها ومعلوماتها في متناول قارئها ليرجع لذلك عندما يحتاج إليه.

٤. تنوع مادتها في مجالات مختلفة، وتنوع أساليبها من أخبار، إلى مقالات، وتحقيقات صحفية، وقصص أدبية، وغير ذلك مما هو متوفر في الصحف، وكذلك الحال بالنسبة للمجلات ذات الطابع المتنوع، أو المجلات المتخصصة في مجالات معينة حيث تكون مركزه مادتها ومتعمقة في دراسة القضايا، وهذا كله بدوره يعطي الصحف والمجلات جاذبية تجذب قرائها، وتؤثر فيهم.

٥. السعر الزهيد للصحف غالباً، عامل من عوامل انتشارها، حيث أنه يتمكن من الحصول عليها وقراءتها كافة أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم.

المبحث الثامن : الرحلات الإيمانيـة :

الرحلات تعتبر وسيلة فعالة من وسائل التربية والتأثير، فهي شيء محبب للنفوس، وفي الرحلات أُنسٌ بالصديق، وتفريج للضيق، وكسب للمهارات والخبرات، وفوز بالسبق إلى الخيرات فجدير بالمربين أن لا يفوّتوا مثل هذه الفرص السانحة.

والرحلات الإيمانية طريق لصلاح القلوب لما في تلك الرحلات من أداء عبادات عظمية مثل: الحج، والعمرة، وكذلك الرحلات الأخرى التي فيها التأمل، بمشاهده ما في الكون الفسيح وفضاءه الواسع مما يزيد الإيمان بالله عز وجل في القلوب عبر التأمل في ملكوت الله، والشعور بعظمة الخالق ﷻ .

المطلب الأول: تعريف الرحلات الإيمانية :

الرحلات: جمع رحله وهي في اللغة: من " رحل عن المكان رحلاً، ورحيلاً، وترحالاً، ورحلة سار ومضى ..، و الرحلة الارتحال وفي التنزيل العزيز (رحلة الشتاء والصيف)"[١].

و (رحل) "الراء، والحاء، واللام؛ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضيٍّ في سفَر، يقال: رَحَل يَرْحَل رِحْلَة"[٢].

والرحلات الإيمانية تشمل الرحلات الطويلة: مثل رحلات الحج، والعمرة، والرحلات البرية، أو الذهاب إلى مكان فيه نهر، أو بحر، أو الرحلات القصيرة: مثل الرحلات للاستراحات، والمزارع، الحدائق العامة، وكذلك زيارات المساجد، والمقابر، والمدارس المجاورة، وتشمل كذلك الرحلات العائلية، أو الرحلات المدرسية، والرحلات التي تقوم بها المراكز الصيفية، أو حلقات التحفيظ في المساجد ، أو الرحلات التي يقوم بها الأصدقاء بأنفسهم، وغير ذلك، فكلها رحلات إيمانية إذا كانت رحلات هادفة، ومع رفقة صالحة.

---

[١] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "رحل"، ١ / ٣٣٤.

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "رحل" ،٢ / ٤٩٧.

المطلب الثاني: الأثر التربوي للرحلات الإيمانية ، ودورها في إصلاح القلوب:

والرحلات لها دور تربوي كبير لما فيها من استغلال وقت الفراغ في أنشطة ترويحية ذات قيم تربوية، وصحية، واجتماعية هادفة، ولما يتضمن برنامجها من ممارسة ألوان من النشاط الرياضي، وتنمية الصحة النفسية، والعقلية بقضاء فترة زمنية في الهواء الطلق النقي في جو من الهدوء و الراحة و البعد عن التوترات النفسية الناتجة من الروتين في والدراسة.

كما لها دور في تنمية القدرات والعلاقات الاجتماعية نتيجة اشتراك الفرد مع زملائه في النشاطات المتعددة، و تعاونه معهم على إنجاز مختلف الأعمال، وتحقيق معاني قد لا تتحقق إلا بالأسفار مثل : (معاني الأخوة، والإيثار، والانضباط، والترتيب، والسمع والطاعة ..) وتنمية قدرة الاعتماد على النفس و تحمل المسؤولية و خدمة الآخرين، و تكسب الفرد مهارات و خبرات جديدة ، تجعله يقدر قيمة الأعمال التي يقوم بها الأفراد في حياتهم العادية مهما كانت بسيطة.

كما أن للرحلات دور في تفعيل العملية التعليمية، من خلال إتاحة الفرصة للفرد أن يتعلم عن طريق الممارسة و العمل، وتوسيع المدارك عند الطلاب فالفرد في الرحلة يتعلم عن طريق تفاعله مع المواقف التعليمية، والتربية والتوجيه من خلال المواقف من أشد ما يساعد على رسوخ المبادئ والمفاهيم.

"ومن فوائد الرحلات العلمية على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ – تنمية فرص المشاهدة والتأمل التي لا يسهل تواجدها في المدرسة.

٢ – يتم تعلّم كثير من الأشياء في بيئتها الطبيعية.

٣ – تعويد الطالب التعاون وتحمل المسئولية والنظام.

٤ – التعلم في جو من الحرية والانطلاق بخلاف جو الفصل."[١].

---

[١] حجّار، طارق بن عبد الله، الفكر التربوي في رسائل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وخطاباته، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٠، ص ٢٩٤.

و الرحلات الإيمانية لها دور في إصلاح القلب لما فيها من عبادات عظيمة: مثل الحج، والعمرة، والصلاة في الحرمين الشريفين، والتعرف على الأماكن الشريفة (مكة – المدينة) التي كانت مهبط للوحي، ومنطلق لرسالة الإسلام، وعاش فيها خير من وطء الثرى ﷺ، وصحبة الأخيار الذين هم أفضل جيل في هذه الأمة، فهذا كله له أثر كبير في القلوب والنفوس، وكذلك الرحلات الأخرى حيث تسهم في تعزيز الإيمان لدى الفرد عن طريق التأمل و التفكير في الطبيعة و خالقها، فهذه الرحلات لها دورها المؤثر في تقوية الإيمان في القلوب.

كما للرحلات العائلية التي أصبحت جزءًا من الحياة الاجتماعية لكثير من الأسر، دور في ترابط القلوب، والصلة الوثيقة بين أفراد الأسرة، إذا أحسن توظيف تلك الرحلات فيما يتجاوز الترفيه إلى الأهداف التربوية النافعة.

وتكون الرحلة وسيلة لإصلاح القلوب من خلال الآتي:

- أن تكون النية والمقصد من إقامة الرحلة وهو رضا الله ﷻ لكي يحصل الأجر عليها، والتذكير للمشاركين بتحقيق النية.
- الحرص على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة أثناء الرحلة لكي يتعلم الأبناء، أو الطلاب أهميتها، ولما يكون في الصلاة من أثر على قلوبهم.
- تحضير بعض الخواطر الإيمانية المتنوعة والمختصرة التي يمكن أن تقرأ بين الحين والآخر وخاصة بعد الصلوات.
- أن يُظهر المربون الآداب والقيم التي يكون عليها المسلم أثناء سفره، فإن لذلك أثره البالغ على القلوب.
- اصطحاب أشرطة القرآن ودروس ومحاضرات أهل العلم.
- الحرص على استثمار المواقف الإيمانية وربط القلوب بها.
- الحرص على أذكار الصباح والمساء والتفكير في مخلوقات الله ﷻ.

فهذه الوسائل المؤثرة التي تتمثل في:

١. الدروس العلمية.
٢. المحاضرات الوعظية.
٣. الخطب المنبرية:
٤. الكتب العلمية .
٥. البرامج الحاسوبية والإنترنت.
٦. الإذاعات والفضائيات.
٧. الصحف والمجلات.
٨. الرحلات الإيمانية.

إذا تم التعرف عليها، و إحسان استخدامها وتفعيلتها فإنه سوف يكون لها الدور الفعال في الارتقاء، والتنمية لأعمال القلب، وعلاج أمراضه، وذلك يقتضي إصلاح القلوب فيتحرر القلب من الخضوع للشهوات، والرغبات، ويرتقي إلى مقام العبودية لله ﷻ.

الفصل الرابع

أساليب إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

وفيه اثنا عشر مبحث:

- المبحث الأول: تلاوة القران الكريم وتدبر آياته.
- المبحث الثاني: . التفكر في مخلوقات الله عز وجل.
- المبحث الثالث: الذكر، والدعاء.
- المبحث الرابع: التوبة، والاستغفار.
- المبحث الخامس: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم.
- المبحث السادس: الإقتداء بالسلف الصالح.
- المبحث السابع: مجالسة الصالحين.
- المبحث الثامن: تذكر الموت، والدار الآخرة.
- المبحث التاسع: المجاهدة، والممارسة العملية.
- المبحث العاشر: العبرة من الأحداث.
- المبحث الحادي عشر: زيارة المرضى، والقبور.
- المبحث الثاني عشر: تفقد الأيتام، والمساكين، والأرامل.

الفصل الرابع

أساليب إصلاح القلوب في التربية الإسلامية

الأساليب هي الطريق الموصل للهدف المقصود، والمنهج التربوي الإسلامي يحتوي العديد من أساليب التربية، التي تسهم بفعالية في بناء شخصية الفرد المسلم بناءً سليماً، ولها الأثر الفعال في تربية وبناء المجتمع الإسلامي.

الأساليب في اللغة: جمع أسلوب، و"الأُسْلُوبُ: بضم الهمزة الطريق والفن"[(١)]، "وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ قال والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمِذْهَبُ يقال أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجْمَعُ أَسالِيبَ والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه"[(٢)].

والأساليب التربوية: "هي الطرق التربوية التي يستخدمها المربي لتنشئة المتربين التربية الصالحة"[(٣)].

والفرق بين الأساليب والوسائل:

الوسائل والأساليب يتوصل بهما إلى الغاية والهدف التربوي، لكن الوسائل أعم من الأساليب، حيث أن الوسائل تكون حاملة للأساليب، " الوسائل في الغالب تكون حسية أكثر منها معنوية، وأن الأساليب في الغالب تكون معنوية، فاتضح من ذلك أن الوسائل تنقل الأساليب وتحملها إلى المدعوين"[(٤)].

والمقصود بأساليب إصلاح القلوب هي الطرق المؤثرة التي يتم بها إقامة القلب وتصحيحه وتسديده وعلاج أمراضه وحمايته من الفساد، ومن أساليب إصلاح القلوب في التربية الإسلامية ما يلي:

---

(١) الفيومي، المصباح المنير، مادة" سلب" ١ / ١٤٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "سلب"، ١ / ٤٧١.

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص ٣٧٥.

(٤) القحطاني ،سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض،ط١، ١٤٢١هـ ، ٤/ ٢٠٣.

المبحث الأول: تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته:

إن تلاوة القرآن الكريم بالتفكر والتدبر أصل صلاح القلب، فالقرآن الكريم من أساليب الهداية والإرشاد، وفيه بيان المعاني الرائعة التي تؤثر في القلوب تأثيراً بليغاً، فمواعظ القرآن وحججه تحيي القلوب الغافلة، فهو معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها، وفتح مغاليقها، والتأثير فيها، وعلاج أمراضها ومشكلاتها في بساطة ويسر، وتربيتها وفق منهجه العظيم بأيسر الأساليب، فالقرآن منهج تربية، ورسالة مفتوحة إلى الأمم كلّها، وللأجيال كلها، في كل زمان ومكان.

المطلب الأول: تعريف تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته:

التلاوة في اللغة: من تَلَوْته تُلُوّاً أي تبعته، و"التاء، واللام، والواو، أصلٌ واحد، وهو الإتباع، يقال: تَلَوْتُه إذا تَبِعْتَه، ومنه تلاوةُ القُرآن، لأنّه يُتْبِع آيةً بعد آية، وهى القراءة"[(١)]، فالتلاوة هي قراءة القرآن، وأصل الكلمة من الإتباع، فكأن التلاوة هي إتباع اللفظ اللفظ، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣.

والتدبر في اللغة: يأتي بمعنى النظر في آواخر الأمور، وعواقبها، وأدبارها، فـ" الدال، والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء "[(٢)]، فـ" التدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودُبر كل شيء آخره"[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ **النساء: ٨٢**، "يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء"[(٤)].

والقرآن الكريم: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته" [(٥)].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: " تلو "، ١ / ٣٥١.

(٢) المرجع السابق، مادة: " دبر "، ٢ / ٣٢٤.

(٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت، ٤٥٦/١.

(٤) البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ٢٢٥/١.

(٥) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط١٦، ص٢١.

المطلب الثاني : أهمية تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته :

إن فضل القرآن كبيرٌ وعظيم، فهو كلام الله المعجز المنزل، وصراطه المستقيم، ونهجه القويم، هو رسالة الله، ومعجزته الباهرة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، نهل من معينه العلماء، وخشعت لهيبته الأبصار، ورقَّت له القلوب الصادقة، وقام بتلاوته العابدون، القانتون.

وتلاوة كتاب الله من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[١].

والقرآن فيه أجر كبير، وفضل عظيم لمن يقرأه ويتلو آياته، عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ »[٢]، و حثَّ النبي ﷺ على قراءة القرآن ورغب فيها، فقال:« اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ » "[٣].

لكن لا بد عند تلاوة القرآن من الحضور الفاعل الحي المؤثر أثناء وذلك بتدبره والعمل بموجبه حيث أن ذلك هو الغاية والمقصود الأساس منه، فهو امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى وفيه خير عظيم، وسبب رئيس لتزكية النفوس، وإصلاح القلوب.

---

[١] صحيح مسلم، ح٢٩١٠،كتاب الذكر، باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٤/٤.

[٢] سنن الترمذي، ح٢٦٧٦، فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، ١٧٥/٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال الألباني: إسناده جيد رجاله ثقات، السلسلة الصحيحة، ح٣٣٢٧.

[٣] صحيح مسلم، ح٨٠٤، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ٥٥٣/١.

المطلب الثالث : أثر تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته على القلب:

إن للقرآن كبير الأثر في إصلاح القلوب، وصقل الضمائر، وتهذيب الأخلاق، وتقويم المسالك، وتصحيح العقائد، وتنوير البصائر، والهداية إلى ما فيه خير الفرد، وصلاح الجماعة، فالقرآن هو الذي دفع المسلمين الأوائل إلى فتح العالم، ومكّنهم من إنشاء دولة عظمى؛ ذات قوة وعمرانًا، وحضارة مادية ومعنوية.

فالقرآن "كتاب الله؛ الذي هو أشرف الكتب وأجلها، وفيه صلاح القلوب"[(١)]، ويظهر أثر تلاوة القرآن، وتدبره على القلب من خلال الآتي:

١- القرآن حياة القلب :

القرآن الكريم حياة القلوب وروحها، التي به تستقيم وتحي، فتثمر الفضل الكبير، والخير العميم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢، وقوله " ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾ وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير"[(٢)]، و" جعل القرآن روحا لمحمد ﷺ لأنه سبب لحياة القلوب "[(٣)].

وأعظم ما ينتفع به المرء كتاب الله تبارك وتعالى ، قراءة وتدبرا وتفكرا، ففيه حياة القلوب والأبدان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحديد: ١٧، و"فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٤٤٩.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٧٦٢.

(٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ١ / ٩٢.

النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال"(١).

عن ابن مسعودﷺ قال : " لا تهذوا القرآن كهذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب"(٢).

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ البقرة: ١٩، "فالمطر مثل للقرآن لما فيه من حياة القلوب، والظلمات مثل لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال، والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن، وما فيه من البيان، وجعل الأصابع في الآذان حذر الموت مثل لجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك عندهم كفر، والكفر موت"(٣).

٢- القرآن ينير القلب :

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ الشورى: ٥٢، فالقران تستنير به القلوب وتنشرح له .

وقال الإمام النووي رحمه الله :" فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع، والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب"(٤).

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣١٢/٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ح٨٧٣٣ ، ٢٥٦/٢.

(٣) الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز، دار القلم، بيروت، ١٤١٥هـ، ط١، ٩٤/١.

(٤)النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، التبيان في آداب حملة القرآن، ، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، /.

٣- القرآن ينمي أعمال القلوب :

إن تلاوة القران الكريم، وتدبر آياته تنمي أعمال القلب، لما تحتويه من المواعظ والعبر والأمثال، التي عند ترددها وتكرارها وتدبر معانيها، تؤثر فيه، " فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة، والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله " [١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد: ١٦،" أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ ؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، .. فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين"[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ ﴾ الرعد: ١٧، "فشبه القرآن عند ما يدخل القلوب فيثمر فيها الخير، بالمطر لعموم خيره، وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية، يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية بحسب سعتها وضيقها، قال ابن عباس: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ قال: قرآنا، ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ قال: الأودية قلوب العباد"[٣].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ١ / ١٨٧.

[٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٨٤٠.

[٣] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٩/٣٠٥.

٤- القرآن يعالج أمراض القلوب :

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، إذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق، وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن سبيل الدلالة على سببه ودوائه، والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ يونس: ٥٧، " أي: دواء للجهل، ﴿ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾، أي: شفاء لعمى القلوب، والصدر: موضع القلب، وهو أعز موضع في الإنسان لجوار القلب"[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢، " وننزل من القرآن ما كله شفاء أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف، ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدي به من الحيرة، فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين"[٢].

"فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، .. فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة، فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها"[٣].

قال إبراهيم الخواص[٤] رحمه الله:" دواءُ القلوب في خمسةٍ، وذكر: قراءة القرآن بالتدبُّر "[٥].

---

[١] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ٢ / ٣٥٨.

[٢] المرجع السابق، ٣/١٣٣.

[٣] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٤٦٥.

[٤] إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص البغدادي كان أوحد أهل زمانه في التوكل صحب أبا عبد الله المغربي، وكان من أقران الجنيد، توفي سنة ٢٩١ هـ، النجوم الزاهرة ٣١٢/١.

[٥] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/ ٣٢٧.

٥- القرآن يورث الطمأنينة في القلب:

الإنسان الذي يحيا مع القرآن الكريم، والذكر الحكيم، يحيا حياة هانئة، ويعيش عيشة السعداء، فالقرآن هو مصدر سعادة في الدارين الأولى والأخرى، و-" القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب "[١]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨، "ومعنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام"[٢].

" فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل وجمع منه الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما، وأسبابهما، وغاياتهما، وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه...، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحاً وبهجةً وسروراً، فيصير في شأن، والناس في شأن آخر"[٣].

---

[١] أبي السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٥ / ٢٠.

[٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٤١٧.

[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١/ ٤٥١.

المبحث الثاني : التفكر في مخلوقات الله ﷻ :

التفكر في مخلوقات الله تعالى من أعظم العبادات القلبية؛ التي أمر بها الشارع، وحث عليها، وأمر العبد أن ينميها في قلبه، من خلال النظر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر في آيات الله ﷻ الكونية، التي تدل على عظيم خلق الله، ويستدل بها على ما لله من صفات الكمال، والجلال، " إن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية، إلا للقلوب الذاكرة العابدة، وأن هؤلاء الذين يذكرون الله قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبهم – وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار – هم الذين تتفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى؛ المنطوية في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وهم الذين يتصلون من ورائها بالمنهج الإلهي؛ الموصل إلى النجاة، والخير والصلاح"(١) .

المطلب الأول : تعريف التفكر :

التفكر لغة : "التأمل، والفكر: إعمال الخاطر في شيء "(٢)، و" الفاء، والكاف، والراء : تردد القلب في الشيء ، يقال : تفكر إذا ردد قلبه معتبرا "(٣).

فالتفكر : "جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح "(٤)، وكذلك" هو أن يعمل الإنسان فكره في الأمر حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به وحض عليه في كتابه لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين"(٥).

والتفكر في مخلوقات الله ﷻ: مجال واسع النطاق، يمتد إلى ملكوت السماوات والأرض، وما سخر الله فيها من كل شيء، والتفكر في خلق الإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى وشرفه على بقية المخلوقات، والتفكر في عالم الحيوان والنبات وغير ذلك.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن .٢ / ٢٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "فكر" ٦٥/٥.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "فكر" ، ٤ / ٤٤٦.

(٤) الطاهر، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٢٤٤/٤.

(٥) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين ، ٢٤٤/٢.

المطلب الثاني : أهمية التفكر:

لقد أرشد القرآن الكريم في مواطن عدة إلى التفكر في مخلوقات الله تعالى، والاستدلال بعظمتها على عظمة خالقها عز وجل، فلقد جاءت آيات عديدة في القرآن العظيم تدعو إلى التفكر في السماوات والأرض وما بينهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الجاثية: ١٣، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١، "حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها..، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين "[(١)].

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أعظم عباد الله تفكرا في آيات الله ومخلوقاته، ونبينا ﷺ أكملهم في ذلك حيث كان يتفكر في آيات الله ومخلوقاته، ويدعو إلى ذلك ، فعن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ نبي اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ ..، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ثُمَّ اضْطَجَعَ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ثُمَّ رَجعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى» [(٢)].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ١٦١.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٥٦،كتاب الطهارة، باب السواك، ١/٢٢١.

وكان السلف الصالح يهتمون بالتفكر، ويحثون عليه، فقد كان الصحابة ﷺ ومن بعدهم من التابعين، ومن تبعهم بإحسان، يمتثلون ذلك، وينظرون في ملكوت الله نظر تفكر واعتبار، وقد وردت الآثار الكثيرة عن السلف في فضل التفكر، وماله من أثر جميل.

المطلب الثالث : أثر التفكر في إصلاح القلب:

التفكر من العبادات القلبية الجليلة، " وهو من أفضل أعمال القلب وأنفعها له "[(١)]، كما أن التفكر أصل الطاعات وسبيل المرء إلى العمل، وإدراك حقائق الأشياء، بل إن حياة المرء وسعادته تبع لأفكاره، " اعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكاراً فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا، فحياتك طيبة سعيدة، وإلا فالأمر بالعكس"(٢)، ولذلك فإن إعمال الفكر فيما ينفع ويقرب إلى الله من أهم المطالب الدينية، وله أثر بالغ في صلاح القلب واستقامته، ومن ذلك:

١- التفكر يزيد الإيمان في القلب:

فالإيمان يزداد في قلب الإنسان عندما يتفكر في مخلوقات الله ﷻ، فيستدل بها على ما لله من صفات الكمال والجلال، ويعلم أنه لا يخلق أحد كخلق الله، ولا يدبر كتدبيره سبحانه، وعند ذلك يحصل له زيادة الإيمان وامتلأ قلبه من معرفة ربه وحبه بحسب العلم بكمال الله وعظمته، فإن القلوب مجبولة على محبة الكمال فكيف بمن له الكمال المطلق.

فـ " التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه عليه العمل المجرد "[(٣)]، و"التفكر من الأسباب الرئيسة في زيادة الإيمان، وأما التفكر في المخلوقات فإن العبد يستدل به على ما لله منصفات الكمال والعظمة والحكم البالغة، وما له من النعم الواسعة والأيادي المتكاثرة "[(٤)].

[(١)] ابن القيم : مفتاح دار السعادة جـ ١ ، ص ١٨٣ .

[(٢)] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص ٣١.

[(٣)] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ١ / ١٨٠.

[(٤)] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسان، ص٨٤.

٢- التفكر ينمي اليقين في القلب :

قال ابن العربي[١] رحمه الله: " أمر الله تعالى بالنظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين، وقوة في الإيمان، وتثبيتا للقلوب على التوحيد...، قيل: لأم الدرداء ما كان أكثر شأن أبي الدرداء، قالت: كان أكثر شأنه التفكر، قيل له أفترى الفكر عملاً من الأعمال ؟ قال : نعم هو اليقين "[٢].

فالتفكر طريق العبد إلى اليقين، قال بعض السلف: مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بربهم "[٣].

٣- التفكر من عبادات القلوب :

فالتفكر في مخلوقات الله عبادة من العبادات، وأمر مندوب إليه، يلازمها أولياء الله العارفين، وعباده الصالحين، فقد سئلت أم الدرداء رضي الله عنها عن عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه قالت" كان نهاره اجمعه في بادية التفكر"، " وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة "[٤].

قال عمر بن عبد العزيز[٥] رحمه الله: " الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة"[٦].

---

[١] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الادب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، من كتبه: العواصم من القواصم ،أحكام القرآن وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، عام ٤٥٣ هـ، ودفن بها. الأعلام للزركلي (٦ / ٢٣٠) سير أعلام النبلاء (٣٩ / ١٩١).

[٢] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الفكر، لبنان، ٣٥١/٢.

[٣] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء ٦ / ٣٠٣.

[٤] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ١ / ١٨٠.

[٥] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، وولي الخلافة سنة ٩٩ هـ، ومدة خلافته سنتان ونصف، توفي بدير سمعان من أرض المعرة، عام ١٠١ هـ. الأعلام للزركلي (٥/٥٠).

[٦] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء ٥ / ٣١٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " النظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر والاعتبار مأمور به مندوب إليه "(١).

٤- التفكر طريق التذكر للقلوب :

فالتفكر طريق إلى التذكر، وبينهما ارتباط وثيق " والتفكر والتذكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره، وتذكره على تفكره حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم.

قال الحسن البصري رحمه الله: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت"(٢).

٥- التفكر يذهب الغفلة عن القلب :

التفكر في مخلوقات الله عز وجل يجعل القلب دائم الصلة بالله، حيث يشهد عظمته، وبديع صنعه في الآفاق.

قال ابن عون[٣] رحمه الله: " الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة" (٤).

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٤٣/١٥.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ١ / ١٨٣.

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء: مولاهم البصري الحافظ، الامام القدوة، عالم البصرة، من حفاظ الحديث، ما كان في العراق أعلم بالسنة منه، ثقة في كل شئ، يغزو ويركب الخيل، توفي عام ١٥١ هـ، سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٤٢)، الأعلام للزركلي (٤ / ١١١).

(٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ١ / ٣٨٥.

٦- التفكر نور يدخله المرء إلى قلبه :

التفكر في مخلوقات الله ﷻ، ينير بصيرة القلب، على أسرار هذا الكون الفسيح، الذي سخره الله للإنسان.

قال سفيان بن عيينة(١) رحمه الله: " الفكرة نور تدخله إلى قلبك"(٢).

وقال ابن أبي الدنيا(٣) رحمه الله: "قال بعض الحكماء: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالتفكر "(٤).

٧- التفكر يبعث على العمل :

العمل هو مقصود التفكر وغايته، وإنما يحمد التفكر إذا تبعه العمل، لا أن يكون تفكراً مجرداً، بل إن من العجب أن يتفكر المرء ثم لا يتبع ذلك بالعمل، فأثر التفكر يظهر على المرء في عمله، ولذلك قال بعض السلف: تعود الطاعات إلى التفكر والاعتبار، وقال الحسن البصري رحمه الله: التفكر يدعو إلى الخير والعمل به"(٥).

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: الامام الكبير حافظ العصر، شيخ الاسلام، محدث الحرم المكي، ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها، وطلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الاسناد، ورحل إليه من البلاد، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، توفي عام ١٩٨ هـ، سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤٧٨)، الأعلام للزركلي (٣ / ١٠٥).

(٢) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء ٧ / ٣٠٦.

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا القرشي الاموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر: حافظ للحديث، المؤدب، أدب الخليفة المعتضد العباسي، في حداثته، ثم أدب ابنه المكتفي، مكثر من التصنيف، صاحب التصانيف السائرة، من كتبه: مكارم الاخلاق، العقل وفضله، اليقين، توفي عام ٢٨١ هـ، سير أعلام النبلاء (٢٥ / ٤٠٢)، الأعلام للزركلي (٤ / ١١٨).

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣/٢٢٨.

(٥) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء ٢ / ١٣٤.

المبحث الثالث: الذكر والدعاء:

إن لذكر الله سبحانه وتعالى ودعاءه درجة سامية، ومنزلة رفيعة، وأهمية كبرى في الإسلام، فهما من أعظم الطاعات والقربات إلى رب العالمين، وسبب لسعادة العبد في الدارين، وهما من عبودية القلب واللسان، عبادة مستمرةً ولأزمة للمكلف، يحتاجها في كل وقت وحين، ليكون دائم الصلة بربه ومولاه، والذي دعاءه وذكره سببا لطمأنينة قلوب الذاكرين، المخبتين المنيبين.

المطلب الأول: تعريف الذكر والدعاء :

الذكر لغة: يأتي بمعنى " الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه، والذِّكْرُ أَيضاً الشيء يجري على اللسان، والذِّكْرُ جَرْيُ الشيء على لسانك.. والذِّكْرُ الصِّيتُ يكون في الخير والشر .. والذِّكْرُ الشرف ..والذِّكْرُ الصلاةُ لله، والدعاءُ إِليه، والثناء عليه ...، قال أَبو العباس: الذكر الصلاة، والذكر قراءة القرآن، والذكر التسبيح، والذكر الدعاء، والذكر الشكر، والذكر الطاعة"[(١)].

"الذِّكْر بالكسر له معنيان: أحدهما التلفظ بالشيء، والثاني إحضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه وهو ضد النسيان، والذُكر بالضم للمعنى الثاني لا غير، وإذا أريد بالذكر الحاصل بالمصدر يجمع على (أذكار) وهو الإتيان بألفاظ ورد الترغيب فيها، ويطلق ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه؛ كالتلاوة، وقراءة الأحاديث، ودرس العلم، والنفل بالصلاة"[(٢)].

والذكر يتنوع بعدة اعتبارات، حيث ينقسم إلى: ذكر بالقلب واللسان، وذكر بالقلب، وذكر باللسان، ومن حيث الإطلاق والتقييد ينقسم إلى: ذكر مطلق، وذكر قيد، وباعتبار ما ورد عن النبي ﷺ إلى: أذكار مأثورة عن النبي ﷺ، وأذكار غير مأثورة عنه .

[(١)] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "ذكر" ٣٠٨/٤.

[(٢)] الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩ هـ، ٤٥٦/١.

والدعاء لغة: يأتي على معان شتى تدور حول، الميل إلى الشيء بصوت، " الدال، والعين والحرف المعتل، أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، تقول: دعوت أدعُو دعاءً "(١)، ومن تلك المعاني التي يرد بها لفظ الدعاء الطلب والسؤال، فحقيقة الدعاء مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء، فهو سبب لذلك، واستجلاب لرحمة المولى.

والدعاء ينقسم إلى قسمين دعاء مسألة، ودعاء عبادة، و" كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين؛ يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة" (٢).

- فدعاء المسألة: هو أن يطلب الداعي ما ينفعه، وما يكشف ضره.
- ودعاء العبادة: فهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة، لأن المتعبد لله طالب وداع بلسان مقاله ولسان حاله؛ يرجو ربه قبول تلك العبادة، والإثابة عليها، فالعبادة دعاء بمعناها الشامل .

المطلب الثاني : أهمية الذكر والدعاء:

لقد اعتنى القرآن الكريم بالحث علي الذكر، والثناء على أهله في مواطن عدة من القرآن الكريم، فلقد ورد لفظ الذكر في القرآن الكريم في مائتين وستة وستين آية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهميته في حياة المسلم؛ لما يشمله من معان عظيمة، ومفاهيم عميقة، وذكر الله سبحانه وتعالى من أشرف العبادات، وأعظمها أجراً، وأيسرها عملاً، وهو طريق يصل به العبد إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤١، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "دعو" ، ٢ / ٢٧٩.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسان، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤٢٠، ص١٢٧.

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٣٥.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى »[1].

قال ابن حجر رحمه الله: " المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى، واستحضار عظمة الله تعالى "[2].

وكذلك فإن شأن الدعاء عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم بمثله؛ ذلك أنه يتضمن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الأعراف: ٢٩، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ». "[3].

فما أشد حاجة العباد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورتهم إليه؛ فالمسلم في هذه الدنيا لا يستغني عن الدعاء بحال من الأحوال.

---

[1] سنن الترمذي، ح ٣٣٧٧ ، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر ، ٤٥٩/٥، وقال الألباني: إسناده صحيح، تخريج مشكاة المصابيح، ح ٢٢٠٩.

[2] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، ٢١٠/١١.

[3] سنن الترمذي، ح ٣٣٧٢ ، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر ، ٤٥٦/٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ح ٣٤٠٧.

المطلب الثالث : أثر الذكر والدعاء في إصلاح القلب:

للذكر والدعاء آثار عظيمة، وثمرات جليلة، في صلاح القلب واستقامته، فهما من الأساليب الهامة في إصلاح القلوب وذلك يتبين من خلال الأتي:

١- دعاء الله ﷻ له أثر مباشر في صلاح قلب الإنسان:

حيث أن المؤمن يدعو الله ﷻ أن يهدي ويصلح قلبه ويثبته على الإيمان ولا يزيغه عن الهداية، والدعاء مستجاب إذا أتى الداعي بشرائط الإجابة، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهُ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ »(١).

ومم ورد من الأدعية المأثورة في الكتاب والسنة، بإصلاح القلب: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ آل عمران: ٨ قَالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠، وعن شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ، قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَ: « يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ »(٢).

---

(١) سنن الترمذي، ح ٣٣٨١، كتاب الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة، ٤٦٢/٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح ٥٦٧٨.

(٢) سنن الترمذي، ح ٣٥٢٢ ، كتاب الدعوات، باب ٩٠، ٥٣٨/٥، وقال: وهذا حديث حسن، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح ٣٥٢٢.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو « .. وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي »(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ بَرِّدْ قَلْبِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ »(٢).

عن أَبِي شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً قَالَ: « قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي »(٣).

٢- الذكر والدعاء حياة للقلب:

الذكر هو حياة القلوب حقيقة، فلا حياة لها بدونه، فالقلب الذاكر هو القلب الحي، والقلب الغافل ذكر الله هو القلب الميت، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت"(٤).

ففي هذا التمثيل "منقبة للذاكر جليلة، وفضيلة له نبيلة، وأنه بما يقع منه من ذكر الله عز وجل في حياة ذاتية وروحية؛ لما يغشاه من الأنوار، ولما يصل إليه من الأجور، كما أن التارك للذكر وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالأموات"(٥).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: عن الذكر " أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟ "(٦).

---

(١) مسند الأمام أحمد، ح ١٩٩٧، ٢٢٧/١، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ح٣٤٨٥.

(٢) سنن الترمذي، ح ٣٥٤٧ ، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ، ٥٥١/٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح ٣٥٤٧.

(٣) سنن أبي داود، ح ١٥٥١، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، ٩٢/٢، وصححه الألباني، صحيح أبي داود، ح ١٥٥١.

(٤) صحيح البخاري، ح ٦٠٤٤، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله لأ، ٢٣٥٣/٥.

(٥) الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٢٠.

(٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٦٣.

٣- الذكر يطردُ الشيطان عن القلب ويقمعُه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠١.

وعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ – ثم قال: – وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..»[١].

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: "الشَّيطان جاثِمٌ على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنَس"[٢].

٤- الذكر يجلُبُ للقلب الفرَحَ والسرورَ والرَّاحةَ :

فالذكر يورثُ القلبَ السكونَ والطُّمأنينةَ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨، ومعنى قوله تعالى: ﴿ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ أي: يزول ما فيها من قلقٍ أو اضطراب، ويكون فيها بدَلَ ذلك الأنسُ والفرحُ والرَّاحة، فالذكر "يزيل الهم والغم عن القلب .. و يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط"[٣].

والدعاء سبب لانشراح الصدر، وطمأنينة القلوب؛ حيث يفتح للعبد باب المناجاة ولذتها، فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه ؛ فيفتح على قلبه حال السؤال

---

[١] مسند الأمام أحمد، ح ١٧٨٣٣، ٢٠٢/٤، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ح١٧٢٤.
[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، ص٥٦.
[٣] المرجع السابق، ٦١.

والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحب إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال.

قال بعض العباد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال"(١).

٥- الذكر والدعاء نورٌ للقلب:

فما استنارَت القلوبُ بمثل ذكر الله تعالى، ودعاءه .، وكان النبي ﷺ يُكثِرُ من سُؤال الله تبارك وتعالى بأن يجعَلَ له نوراً في كلِّ ظّاهره وباطنه، وأن يجعلَ النور محيطًا به من جميع جهاته، عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما في ذكر دعاء النَّبيّ ﷺ باللّيل قال: "وكان في دعائه اللهم: اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخَلْفي نوراً، وعظِّم لي نوراً "(٢).

٦- الذكر غذاء للقلب:

قال ابن القيم رحمه الله: " فالذكر قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاما قريباً من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاما هذا معناه "(٣).

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ٢/ ٢٣٩.

(٢) صحيح مسلم، ح ٧٦٣، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ٥٢٥/١.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، ص٦٣.

و"في القلب خلة وفاقه لا يسدها شيء البته إلا ذكر الله ﷻ، فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة، ويفني الفاقة، فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا سلطان "[١].

٧- الذكر والدعاء ينميان أعمال القلب:

أن حقيقة ذكر الله تعالى هي مراقبته سبحانه في جميع شؤون الحياة والقيام بفرائضه والعمل بأوامره اجتناب نواهيه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه، على الوجه الذي يرضيه، فمن آثار ذكر الله ﷻ على القلب "أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت "[٢].

وكذلك من آثاره على القلب"أنه يورثه الإنابة: وهي الرجوع إلى الله عز و جل؛ فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره؛ أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز و جل مفزعه، وملجأه، وملاذه، ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا "[٣].

وكذلك " يورثه الهيبة لربه عز و جل، وإجلاله؛ لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه "[٤].

وكذلك الدعاء ينمي جانب الإيمان بالله، في القلب، حيث أن دعاء الإنسان لربه يعتبر طاعة لله وامتثال لأمره سبحانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره، وكما هو معلوم أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

[١] المرجع السابق، ص٩٣.
[٢] المرجع السابق، ص٦٢.
[٣] المرجع السابق، ص٦٢
[٤] المرجع السابق، ص٦٢

والدعاء كذلك ينمي جانب التوكل على الله ﷻ في القلب، حيث أن حقيقة التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده في تفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء؛ ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه، ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب.

٨- الذِّكر شفاءٌ للقلب:

فالذكر دواءٌ لأمراض القلوب، يُذهبُ قسوتها، وصدؤها، عن أبو الدرداء: "إن القلب يربد كما يربد الحديد، قيل: وما جلاؤه، قال: يذكر الله"[(١)].

ف"الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها دواؤها في ذكر الله تعالى، قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء "[(٢)]، كما " أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى، وذكر حماد بن زيد عن المعلى أبن زياد أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلب قال: أذبه بالذكر، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة، كما يذوب الرصاص في النار فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله ﷻ"[(٣)].

وفي دعاء الله ﷻ تخليص للقلب من الكبر، حيث أن الإنسان المؤمن عندما يدعو اللهﷻ، فإنه يخضع وينكسر ويذل بين يدي الله ﷻ، وهذه معاني إيمانية عظيمة تتحقق في القلب بدعاء الله ﷻ، ومن يبتعد عن دعاء الله ﷻ فإنه يقع قلبه في الاستكبار عن احتياجه إلى ربه ومولاه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠، "فأفاد ذلك أن

(١) مصنف ابن أبي شيبة،ح٣٥٥٤٧ ، ٢٢٧/٧.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، ص٩٩.

(٣) المرجع السابق، ص٩٩.

الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من العدم، وخالق العالم أجمع، ورازقه، ومحييه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه؟! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم".[(١)].

وكذلك فإن الدعاء له أثر بالغ في علاج أمراض القلوب حيث أنه سبب لحمايتها ووقايتها، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ الحشر: ١٠.

وكذلك الدعاء سبب لعلاج القلوب مما قد يقع فيها من الأمراض مما نزل ومما لم ينزل، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ، وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء»[(٢)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان[(٣)] إلى يوم القيامة»[(٤)].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن، ص٣٣.

(٢) سنن الترمذي، ح ٣٥٤٨ ، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ، ٥٥٢/٥، وقال الألباني: حسن، صحيح الجامع ح٣٤٠٩، والمشكاة ح٢٢٣٤.

(٣) يعتلجان: يتصارعان، ويتدافعان.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني، ح ٢٤٩٨، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، ٦٦/٣، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع ح٧٧٣٩.

٩- الذكر والدعاء يقويان العزيمة والإرادة في القلب:

"أن الذكر يجمع المتفرق، ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد، ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه، وإرادته، وهمومه، وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها، وتشتتها عليه، وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه، وهمه، وعزمه، وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه، وخطاياه، وأوزاره، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل، ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان؛ فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية، وكلما كان أقوى طلبا لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقا به وإرادة له، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر، وأما تقريبه البعيد؛ فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة ويبعد القريب إليه وهي الدنيا؛ التي هي أدنى إليه من الآخرة فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر "[١].

وبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى؛ ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من منتهم؛ فالمنة تصدع قناة العزة، وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مهيب الجناب، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأس النجاح.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه"[٢].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، ص٩٢.

[٢] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، المكتب الإسلامي، بيروت ط٧، ١٤٢٦هـ ، ص٨٦.

المبحث الرابع: التوبة والاستغفار:

إن من طبيعة النفس البشرية أن تميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها، والإنسان تقع منه المعاصي والذنوب، وتزل به قدمه في المنكرات، ويحصل منه الخطأ والزلل، فعن أنسؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »[١]، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه يغفر الذنوب، ويمحو الزلات، ويقيل العثرات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »[٢]، فالإنسان يحتاج إلى التوبة والاستغفار حاجة ماسة، و ضرورة ملحة؛ ليصقل قلبه من الأمراض والآفات، وينقيه من رين الذنوب والمعاصي.

المطلب الأول: تعريف التوبة والاستغفار:

التوبة في اللغة: هي الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، فـ "التاء، والواو، والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع"[٣]، "وتاب الله عليه أي: عاد عليه بالمغفرة، وقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ النور: ٣١، أي: عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه، والله التواب: يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه"[٤].

والتوبة : "هي الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب، والعزم على تركها دائما لله ﷻ، لا لأجل نفع الدنيا أو أذى"[٥]، وقال الحسن البصري ؒ: "ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح وإضمار ألا يعود"[٦].

---

[١] سنن الترمذي، ح ٢٤٩٩، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، ٦٥٩/٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، ح٣١٣٩، والمشكاة ، ح٢٢٨٠.

[٢] صحيح مسلم، ح ٢٧٤٩ ، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، ٢١٠٦/٤.

[٣] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "جمع"، ١ / ٣٥٧.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "توب" ٢٣٣/١.

[٥] ابن مفلح، محمد، الآداب الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ١١٤/١.

[٦] ابن مفلح، محمد، الآداب الشرعية، ١١٦/١.

وقيل أن حقيقة التوبة "هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل"[(١)].

والاستغفار في اللغة: "طلب ذلك – المغفرة – بالمقال والفعال"[(٢)]، والمغفرة في الأصل: الستر، ويراد بها التجاوز عن الذنب، وعدم المؤاخذة به، فالاستغفار هو طلب المغفرة والصفح، وهو دليل حساسية القلب، وانتفاض شعوره بالإثم ورغبته في التوبة، والإقالة من الذنب، وعدم المؤاخذة عليه، لنيل الرحمة الربانية في الدنيا والآخرة.

الفرق بين الاستغفار والتوبة:

"فالاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان ذنب قد مضى فالاستغفار منه طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه فالتوبة العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله، وأيضا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود فهو مأمور أن يوليها ظهره ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته والتي توصله إلى مقصوده وفيها فلاحه، فههنا أمران لا بد منهما مفارقة شيء والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين "[(٣)].

والذنوب التي يحتاج فيها إلى التوبة والاستغفار نوعان: ترك مأمور، وفعل محظور، وكلاهما ينقسم باعتبار محله إلى ظاهر على الجوارح، وباطن في القلوب، كما تنقسم إلى صغائر وكبائر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ النساء: ٣١.

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١/ ١٨٢.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٣٦٢.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١/ ٣٠٨.

المطلب الثاني : أهمية التوبة والاستغفار:

لقد ورد الحث على التوبة الاستغفار في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك لحاجة الإنسان إلي ذلك في كل وقت وحين، لتقصيره في الطاعات، ووقوعه في المعاصي، فجاءت التوبة والاستغفار لمعالجة ذلك النقص عند الإنسان.

وقد كثر ذكر التوبة والاستغفار في القرآن، فتارة يؤمر بهما، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ التحريم: ٨، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٩٩، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ ﴾ هود: ٣.

وتأتي كذلك الآيات بمدح المتصفون بذلك، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٧.

وورد في السنة أحاديث كثيرة تحث على التوبة والاستغفار، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »[(١)].

ومن ذلك فرح الله جل وعلا بتوبة عبده، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ »[(٢)].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَكْثَرَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ١٠٩٤، أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ١/٣٨٤.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٧٤٧، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٤/٢١٠٤.

(٣) مسند الأمام أحمد،ح ٢٢٣٤، ١ / ٢٤٨، وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة،١ / ٢٥.

المطلب الثالث : أثر التوبة والاستغفار في إصلاح القلب:

للتوبة والاستغفار أثر بالغ في صلاح القلب واستقامته، ومن ذلك:

١- التوبة و الاستغفار ينيران بصيرة القلب:

يقول ابن القيم رحمه الله: "وشهدت شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله إذا أعيته المسائل واستعصت عليه فر منها إلى التوبة والاستغفار والاستعانة بالله واللجوء إليه واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مداً، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه، بأيتهن يبدأ"[(١)].

٢- التوبة والاستغفار سبب لصفاء القلب ونقائه:

فالذنوب تترك أثرا سيئاً، وسواداً في القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[(٢)].

٣- التوبة والاستغفار توجد آثاراً طيبة في القلب:

فالتوبة والاستغفار من آثارها على القلب أنها توجب له المحبة، والرقة، واللطف، وشكر الله، وحمده، و عندما يقع العبد في الذنب ثم يتوب منه يكون في قلبه أنواعا من العبودية لله عز وجل، مثل: الخوف، والخشية، والإشفاق، والوجل وتوابعها من المحبة، والإنابة.

ومن ذلك حصول الذل والانكسار لله تعالى ففي التوبة من الذل، والانكسار، والخضوع، والتذلل لله ما هو أحب إلى الله من كثير من الأعمال الظاهرة، فـ "حصول مراتب الذل والانكسار للتائب أكمل منها لغيره، فإنه قد شارك من لم يذنب في ذل الفقر والعبودية، والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه بالمعصية، والله سبحانه أقرب ما يكون إلى عبده

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين، دار الجيل ، بيروت، ١٩٧٣م، ١٧٢/٤.

(٢) مسند الأمام أحمد، ح ٧٩٣٩ ، ٢/ ٢٩٧، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح.

عند ذله وانكسار قلبه، كما في الأثر الإسرائيلي يا رب أين أجدك قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، ولأجل هذا كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه...، وهذا والله أعلم هو السر في استجابة دعوة الثلاثة : المظلوم والمسافر، والصائم؛ للكسرة التي في قلب كل واحد منهم فإن غربة المسافر وكسرته مما يجده العبد في نفسه، وكذلك الصوم فإنه يكسر سورة النفس السبعية الحيوانية"[(١)].

٤- التوبة والاستغفار علاج لأمراض القلوب:

إن علاج كثير الذنوب، وأمراض القلوب؛ من الشرك بالله، الحسدُ، ، والغل، والكبرياء، والفخر، والجبروت، والعلو في الأرض، إنما يتحقق بالتوبة والاستغفار لأنهما يدفعان عن القلب الشعور بالكبر، والزهو بالنفس، والعجب بالأعمال، حيث أن ووقوع الإنسان في الذنب والتقصير ثم توبته واستغفاره من ذلك يورثها الإحساس بالتقصير، اللذان ينقيان القلب، ويطهرانه من تلك الآفات.

قال عون بن عبد الله ﷺ: « داووا الذنوب بالتوبة، ولرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها » ، وقال: « قلب المرء التائب بمنزلة الزجاجة؛ يؤثر فيها جميع ما أصابها فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب » [(٢)].

وعن سلام بن مسكين قال: سمعت قتادة، يقول: "إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار "[(٣)].

والتوبة والاستغفار سبب لإزالة سوء الخلق، عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ كَانَ فِي لِسَانِي ذَرَبٌ عَلَى أَهْلِي لَمْ أَعْدُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « أَيْنَ أَنْتَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ يَا حُذَيْفَةُ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ »[(٤)].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ١/ ٢٩٨.

(٢) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب التوبة، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.ت، ص١٣٦.

(٣) المرجع السابق، ٨٩.

(٤) مسند الأمام أحمد، ح٢٣٣٨٨، ٥/ ٣٩٤، وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة ص ٢٥٢.

٥- التوبة والاستغفار سبب لفلاح القلب وسعادته :

فبالتوبة والاستغفار السعادة في الدارين، وبهما تفرج الكروب، وتتطهر القلوب، وترتبط بعلام الغيوب، وتكشف الهموم، وتزول الغموم، وتحصل البركة في المال، وتحقق الآمال، وبهما تكثر الأرزاق، وتزداد النعم، فإن الذنوب إذا حصلت ولم يتبعها توبة ولا استغفار، تتراكم، فتسبب الهموم، والضيق، والعناء، والتعب، وإذا استغفر الإنسان جُعل له من الهموم فرجا، ومن الضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١

"أي افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهيا عنه"[(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ هود: ٣

والاستغفار سبب لانشراح الصدر عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ – وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قلبي وإني لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ »[(٢)].

"فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا يتلذذ، ولا يسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن؛ إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه، ..، وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والنعمة، والسكون، والطمأنينة "[(٣)].

[(١)] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٢٨٧/٣.

[(٢)] صحيح مسلم، ح ٢٧٠٢، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ٢٠٧٥/٤.

[(٣)] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٠ / ١٩٤.

المبحث الخامس: التأسي بالنبي ﷺ:

الرسول ﷺ، أكبر شخصية عرفها التاريخ، حيث كان أكمل الناس تربية ونشأة، أدبه ربه فأحسن تأديبه، فلم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل، ومكارم الأخلاق، لا يعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جرب عليه كذبة قط، ولا ظلم، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، فهو الشخصية الكاملة في إشراقة روحه، واتصاله بالله ﷻ، وكمال عبادته وزهده، وتضحيته، وخلقه، وذلك يوجب التأسي بالنبي ﷺ، فالتأسي به ﷺ قضيه هامة يحرص عليها كل مسلم، لكي يكون متابع له ﷺ، وسائر على نهجه، يتخلق بخلقه، ويهتدي بهديه.

المطلب الأول: تعريف التأسي بالنبي ﷺ:

التأسي في اللغة: من الأسوة "والأُسْوَةُ والإسْوَةُ القُدْوة، ويقال ائتَسِ به أي اقتدَ به، وكُنْ مثله، الليث فلان يَأْتَسِي بفلان؛ أَي يرضى لنفسه ما رضيه ويَقْتَدِي به، وكان في مثل حاله، والقوم أُسْوةٌ في هذا الأَمر أَي حالُهم فيه واحدة، والتَّأَسِّي في الأُمور الأُسْوة .. وقال الهروي تَأَسّى به اتبع فعله واقتدى به "[(١)].

والنبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ، أو من النَّبوَة ، وهي ما ارتفع من الأرض "والنَبِيءُ المخْبِر عن اللّه عز وجل ... وقيل: النَّبِيُّ مشتق من النَّبَاوةِ؛ وهي الشيءُ المرْتَفِعُ "[(٢)]. فسمي بذلك لأنه إنه أَشْرَف على سائر الخَلْق.

"والتأسي بالنبي ﷺ هو: أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين"[(٣)] .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "أسا" ٣٤/١٤.

(٢) المرجع السابق، مادة: "نبأ" ١٦٢/١.

(٣) عثمان، عبد الرؤف بن محمد، محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، مكتبة الضياء، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٦٦/١.

المطلب الثاني : أهمية التأسي بالنبي ﷺ :

لقد أرشد القرآن الكريم في مواطن عدة إلى التأسي بالنبي ﷺ، وطاعته وامتثال أمره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١ ، و" هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله "[١] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الدلالة على وجوب طاعته وإتباع سنته، « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ »[٢]، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ »[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى » [٤].

وكان السلف الصالح على قدر كبير من الاهتمام بالتأسي بالنبي ﷺ ومتابعة سنته، قال أَبو بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ "(٥) .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَقَالَ سَعِيدٌ: فَلَمَّا خَشِيتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ

---

[١] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٤٧٥ .

[٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١٧١٨٥، ١٢٦/٤، قال الألباني: إسناده صحيح ، تخريج مشكاة المصابيح، ح١٦٥.

[٣] صحيح البخاري، ح ٦٧١٨، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، ٢٦١١/٦ .

[٤] صحيح البخاري، ح ٦٨٥١، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ٢٦٥٥/٦.

[٥] صحيح البخاري، ح ٢٩٢٦، كتاب الخمس، باب فرض الخمس، ١١٢٦/٣.

فَقُلْتُ خَشِيتُ الصُّبْحَ فَنَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَقُلْتُ بَلَى وَاللَّهِ قَالَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ "(١) .

المطلب الثالث : التأسي بالنبي ﷺ في صلاح القلب:

التأسي بالنبي ﷺ وجعله المثل الأعلى للإنسان في جميع جوانب الحياة، يعتبر ذا أهمية بالغة تؤثر في قلبه ونفسه، كما يعتبر من أقوى الوسائل التربوية تأثيراً في سلوك الإنسان المسلم وحياته، وذلك للتأثر بشخصيته، وإتباع سنته ونهج حياته ﷺ، فسيرة الرسول ﷺ تصور لنا نموذجاً بشرياً متكاملاً في جميع المراحل، وفي جميع جوانب الحياة العملية، ونموذجاً عملياً في صياغة الإسلام إلى واقع مشاهد يعرف من خلال أقوالِه وأفعالِه.

"وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه مما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم "(٢).

وهذه نماذج من أحوال النبي ﷺ التي تبين كيف كان ﷺ من أتقى الناس، وأصلح الناس قلباً، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

١- خشيته وعبادته ﷺ:

كان ﷺ كثير المراقبة لله عز وجل، واسع الخشية منه، عظيم العبادة له، يجد في العبادة راحته، وميدان نعيمه، كانت قرة عينه في الصلاة ، وكان يقول لبلال حين يريد القيام للصلاة : « يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا » (٣)، حتى كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، كان يكثر من الصلاة في جوف الليل حتى تتورم قدماه، وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان كثير الذكر لله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٩٥٤ ، كتاب الوتر، باب الوتر على الدابة ، ١/ ٣٣٩.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد، ٦٩/١.

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٩٨٥، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، ٢٩٦/٤، وصحح الألباني، صحيح سنن أبي داود، ح ٤٩٨٥.

٢- تواضعه ﷺ :

كان النبي ﷺ الإنسان المتواضع في مختلف مراحل حياته ودعوته، حين كان مضطهداً، وحين كل منتصراً، وحين كان وحيداً، وحين كان سيداً مطاع ، حين كان في أشد المحن، وحين كان في أوج المجد والانتصار.

يوم فتح الله له مكة ، وانهزمت أمام جحافل جيوشه قريش الطاغية الباغية التي ناصبته العداء نحواً من عشرين عاما ، دخل مكة على جمل له ، مطأطئ الرأس خضوعا لله وشكراً

عن أبي مسعود: أن رجلا كلم النبي ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة، فقال النبي ﷺ: « هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد »[1].

وظل رسول الله يستمع إلى العبد والعجوز والأرملة والمسكين، يقف في الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه، فلا يترك يده حتى يكون الذي استوقفه هو الذي يترك يده، يتفقد أصحابه، ويزور مرضاهم ويشهد جنائزهم، ويستمع إلى مشاكلهم، ويشاركهم أحزانهم، وأفراحهم.

٣- رحمته وشفقته ﷺ :

كان ﷺ واسع الرحمة بالأطفال والنساء والضعفاء، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ « سَمِعَ بُكَاءَ صَبِيٍّ فِي الصَّلَاةِ فَخَفَّفَ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ خَفَّفَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ رَحْمَةً لِلصَّبِيِّ »[2]، وبلغت رحمته بالحيوان حداً عجيباً، عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً »[3].

وبلغت معاملته للأرقاء ، ووصاياه فيهم حداً لم يعرفه التاريخ وكل ذلك دليل على ما فاضت به نفسه الكبيرة من معاني الرحمة والشفقة .

---

[1] مستدرك الحاكم، ح ٤٣٦٦، كتاب المغازي والسرايا، ، ٣/ ٥٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح٧٠٥٢.

[2] مسند الأمام أحمد، ح ١٢٩٠٠، ٣/١٨٢، قال الألباني: إسناده حسن، صفة الصلاة، ص٣٩٣.

[3] سنن أبي داود، ح ٢٥٤٨، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٣/٢٣. وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، ح٣٣٧٠.

٤- زهده في الدنيا ﷺ:

وكان النبي ﷺ أزهد الناس في حياته، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أنه دخل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ - قَالَ - فَابْتَدَرَتْ عيناي قَالَ « مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ».

قُلْتُ يَا نبي اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِى وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ.

فَقَالَ « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ». قُلْتُ بَلَى[١] .

وعَنْ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ"[٢]، وعنها قَالَتْ: "كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ"[٣].

---

[١] صحيح مسلم، ح ١٤٧٩، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، ١١٠٥/٢.

[٢] صحيح البخاري، ح ٦٠٨٩، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ٢٣٧١/٥.

[٣] صحيح البخاري، ح ٦٠٩٣، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ٢٣٧٢/٥.

المبحث السادس: الاقتداء بالسلف الصالح:

سيرة السلف الصالح تمثل منهج تربوي فريد، فهم خير هذه الأمة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »(١)، حيث أن الصحابة الكرام قد كانت تربيتهم على يد المربي الأول ﷺ، ولذلك فـ" سيرة الصحابة رضي الله عنهم، مصدراً تربوياً مهماً، حيث يمثلون لنا التطبيق العملي لتوجيهات الرسول ﷺ، وفي مواقفهم دروس تربوية عظيمة"[٢].

وكذلك من أتى بعدهم من التابعين وتابعيهم، تأثروا بتلك التربية الرشيدة، ليمثلوا خير القرون والأجيال الفاضلة، التي بسير على نهجهم والتأسي بهم، يصلح بها أحوال الأمة.

المطلب الأول: تعريف الاقتداء بالسلف الصالح :

الاقتداء في اللغة: من " القُدوة، والقِدوة: الأُسْوة، يقال: فلان قدوة يقتدى به "[٣]، و"(قدو) القاف والدال والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على اقتباسٍ بالشَّيء واهتداء، ومُقادَرة في الشيء حتى يأتي به مساوياً لغيره، من ذلك قولهم: هذا قِدَى رُمْحٍ، أي قيسُه. وفلان قُدوةٌ: يُقتدَى به"[٤]، و" الاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله "[٥].

السَّلف في اللغة: ما مضى وتقدم،" السين، واللام، والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسبْق، من ذلك السَّلَف: الذين مضَوا"[٦].

والسَّلَفُ:" من تقدَّمك من آبائك ذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنِّ والفضل، ولهذا سُمي الصدر الأَول من الصحابة والتابعين: السلف الصَّالح"[٧].

---

(١) صحيح البخاري، ح٣٤٥١، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣/١٣٣٥.

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص ٢٣٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قدو" ١٥ / ١٧١.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "قدو" ٥ / ٦٦.

(٥) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير ، دار الفكر، بيروت، ٢/١٣٦.

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "سلف" ٣ / ٩٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "سلف" ٩ / ١٥٨.

و"إذا أُطْلِقَ السلفُ عندَ علماءِ الاعتقادِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أَو الصحابة والتابعين، أَو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإِمامةِ والفضلِ وإتباع السنة والإِمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمّةُ على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدِّين ، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسلَف الصالح"[1].

المطلب الثاني : أهمية الاقتداء بالسلف الصالح:

منهج السلف هو المنهج الحق الذي يجب إتباعه والتأسي به لما فيه من الخير والرشاد، قال الإمام مالك رحمه الله : "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[2]، ويتبين أهمية منهج السلف الصالح، ووجوب إتباعه من خلال الآتي:

- ثناء الله على من اتبعهم في منهجهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١٠٠.

- هم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ البقرة: ١٤٣.

- هم الذين اصطفاهم الله واجتباهم لصحبة نبيه ﷺ وجعلهم خاصته وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين.

---

[1] الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، دار الراية، الرياض، ط٣، ١٤٢٥هـ، ص١٥.

[2] القاضي، عياض بن موسى بن عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ، ٢/٨٨.

- من اتبع سبيل السلف الصالح اتبع سبيل الرشاد، ومن اتبع غير سبيلهم فهو على غير الهدى ومستحق للعقوبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥.

- وهم الذين تلقوا علمهم في الكتاب والسنة على يد رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم إنما تلقى العلم عن طريقهم، فهم أكمل الناس علماً، وأتمهم فهماً، فينبغي إتباعهم وتقديمهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢.

- وهم زينة هذه الأمة كما أن النجوم زينة للسماء ومنار لهداية الخلق في الظلمات، فمن اقتدى بهم نجى من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فهمهم تردى في مهاوي الضلال، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ »[1].

- والسير على نهج السلف الصالح هو سير على منهج أصحاب الفرقة الناجية، فاتباع سبيلهم هو طريق النجاة ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (٢).

---

(١) صحيح مسلم، ح ٢٥٣١، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ١٩٦١/٤.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٦٤١، كتاب الإيمان، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة، ٢٦/٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي، ح ٢٦٤١.

المطلب الثالث : أثر الاقتداء بالسلف الصالح في إصلاح القلب:

ولما كان سلفنا رحمهم الله أحرص ما يكونون على الخير كان اعتناؤهم بصلاحها قلوبهم أشد ما يكون، ولا يملك المرء منا عندما يقرأ في حال السلف مع قلوبهم، إلا أن يتأثر بتلك المواقف المشرقة التي لازالت مضرباً للأمثال، ومحطاً للآمال.

عن كُميل بن زياد النخعي[١] رحمه الله، قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني ناحية الجبّانة، فلما أصحرَ جَعَلَ يتنفس، ثم قال: " يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير"[٢].

قال الإمام مالك رحمه الله قوله: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله الله في القلوب"[٣].

وقال مالك بن دينار[٤] رحمه الله: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب"[٥].

"قال ابن أبي الحواري رحمه الله: سئل أبو سليمان الداراني[٦] رحمه الله وأنا حاضر ما أقرب ما يتقرب به إلى الله عز وجل ؟ فبكى ثم قال: مثلي يسأل عن هذا أقرب؛ ما يتقرب به إليه أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو"[٧].

---

[١] كميل بن زياد بن نهيك النخعي: تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب، كان شريفا مطاعا في قومه، شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث، قتله الحجاج عام ٨٢ هـ. الأعلام للزركلي (٥ / ٢٣٤).

[٢] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٧٩/١.

[٣] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣١٩/٦.

[٤] مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: علم العلماء الابرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، من رواة الحديث، كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي في البصرة عام ١٣١ هـ، سير أعلام النبلاء (٩ / ٤٤٢)، الأعلام للزركلي (٥ / ٢٦٠).

[٥] ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، مؤسسة الريان – دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢ / ٢٠.

[٦] عبدالرحمن بن أحمد، وقيل: عبدالرحمن بن عطية. المذحجي، أبو سليمان ، الامام الكبير، زاهد مشهور ، من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده، عام ٢١٥ هـ. سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٦٢)، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٣).

[٧] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٥٦/٩.

وقال: "لكل شيء عَلَمٌ، وَعَلَمُ الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ، وصدأ القلب الشبع"[(١)].

وقال الحارث المحاسبي[(٢)] رحمه الله: "الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه"[(٣)].

وقال يحيى بن معاذ[(٤)] رحمه الله: "النسك هو العناية بالسرائر وإخراج ما سوى الله من القلب"[(٥)].

وكان يقول: "مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب"[(٦)]، وقال: " ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي إنما هو للخلق ولا ثواب له بل عليه العقاب ويدع الباطن الذي هو لله وله الثواب ولا عقاب عليه"[(٧)].

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ١٦٣/١٩.

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم من كتبه: آداب النفوس، شرح المعرفة، والمسائل في أعمال القلوب والجوارح ، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد عام ٢٤٣ هـ، قال الذهبي: المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شئ يسير من الكلام، فنقم عليه، وورد أن الامام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه، وحذر منه، سير أعلام النبلاء (٢٣ / ١٠٧)، الأعلام للزركلي (٢ / ١٥٣).

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ٢/ ٢٧٨.

(٤) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور عام ٢٥٨ هـ، سير أعلام النبلاء (٢٥ / ٩)، الأعلام للزركلي (٨ / ١٧٢).

(٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، ص٤٣٩.

(٦) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ / ٥٢.

(٧) المرجع السابق ، ١٠ / ٥٥.

وقال سهل بن عبد الله[(١)] رحمه الله: "ما من ساعة إلا والله سبحانه يطلع فيها على قلوب العباد فأي قلب رأى فيه غيره سلط عليه إبليس"[(٢)].

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: "من نظر إلى الله عز وجل قريبا منه بعد عن قلبه كل شيء سوى الله، ومن طلب مرضاته أرضاه الله سبحانه وتعالى ومن أحلم قلبه إلى الله تولى الله جوارحه. وقال سهل أيضا: حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله"[(٣)].

وقال يوسف بن الحسين[(٤)] رحمه الله: أعز شيء في الدنيا : الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر"[(٥)].

قال ابن الجوزي[(٦)] رحمه الله: " فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر"[(٧)] .

والاطلاع على هذه الموقف المشرقة والاقتداء بها تسهم إسهاماً كبيراً في إصلاح القلوب.

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الافعال، صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق، توفي عام ٢٨٣ هـ، سير أعلام النبلاء (٢٥ / ٣٣٢)، الأعلام للزركلي (٣ / ١٤٣).

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٤٣٩.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٤٣٩.

(٤) يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي: الامام العارف، شيخ الصوفية زاهد، من العلماء والادباء، أكثر الترحال، وأخذ عن ذي النون المصري، وأحمد ابن حنبل، توفي عام ٣٠٤ هـ، سير أعلام النبلاء (٢٧ / ٢٧٥)، الأعلام للزركلي (٨ / ٢٢٧).

(٥) المرجع السابق، ٩٢/٢.

(٦) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: نسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: المدهش، ذم الهوى، صيد الخاطر، مولده ووفاته ببغداد عام ٥٩٧ هـ ، الأعلام للزركلي – (٣ / ٣١٦).

(٧) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، دار اليقين، المنصورة، ط٣، ١٤١٩هـ، ص٢٩٢.

المبحث السابع: مجالسة الصالحين:

كل فرد في هذه الحياة لا بد له من جليس، يأنس به، ويطمئن إليه، يستضيء برأيه، ويستعين بمشورته، فالإنسان اجتماعياً بطبيعته البشرية، يصعب عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الغير، والابتعاد عن الآخرين.

والجليس له أثر كبير على شخصية الإنسان سلباً أو إيجاباً؛ حسب نوعية الجليس، ولذلك عندما يضبط الإنسان المسلم اختيار جليسه بالضوابط الشرعية يكون ذلك الجليس خير جليس، ويكون له أثر طيب في صلاح قلب الإنسان واستقامة أحواله ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ »[(١)].

المطلب الأول: تعريف مجالسة الصالحين:

المجالسة في اللغة: من " (جلس) الجُلُوسُ القُعود ..، والمجلِس موضع الجُلُوس ..، وقد جالَسَه مُجالَسَةً وجِلاساً ..، والجَلِيسُ، والجِلِّيسُ، المجالِسُ: وهم الجُلَساءُ والجُلاَّسُ "[(٢)].

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ المجادلة: ١١.

ولا يخلو الجليس من أن يكون جليساً صالحاً أو يكون جليساً فاسداً سيئاً، والجليس الصالح هو المستقيم على طاعة الله، المنفذ لأوامر الله، المحافظ على فرائض الله، الواقف عند حدود الله، المتخلّق بالأخلاق الكريمة، والأعمال الفاضلة.

---

(١) مسند الأمام أحمد، ح ٨٠١٥، ٢/٣٠٣، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة، ح٩٢٧.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة" جلس" ، ٦ / ٣٩.

المطلب الثاني : أهمية مجالسة الصالحين:

لقد أوضح كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، من هو الجليس الذي ينبغي أن يُتّخذ ويؤنس إليه، ذلكم أن الناس متفاوتون في أخلاقهم، وأعمالهم، وسلوكهم، وتفكيرهم.

فمجالسة الصالحين فضيلة أمر اللّه سبحانه نبيه بها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ الكهف: ٢٨

" أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء"[(١)].

كما بين سبحانه أن من الأدب التفسيح في المجالس إذا كان يحتاج إلى تفسح فيه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾ **المجادلة: ١١**، فعندما توجد الفسحة والمحبة في القلب فانه سوف يحصل التفسح في المكان تلقائياً عن طيب نفس وخاطر .

وقد خرج ﷺ، عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ « مَا أَجْلَسَكُمْ ». قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ « آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ ». قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ « أَمَا إِني لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أتاني جِبْرِيلُ فأخبرني أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ »[(٢)].

قال أبو الدرداء ﷺ: " لَوْلاَ ثَلاَثٌ مَا أَحْبَبْتُ البَقَاءَ سَاعَةً: ظَمَأُ الهَوَاجِرِ، وَالسُّجُوْدُ فِي اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُوْنَ جَيِّدَ الكَلاَمِ، كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ "[(٣)].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٨١.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٧٠١، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٥/٤.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ٣٤٩/٢.

المطلب الثالث : أثر مجالسة الصالحين على القلب :

إن من طبيعة الإنسان أن يتأثر بمن حوله وبمن يعاشرهم فالجليس يستأنس بجليسه، ويرتاح برؤيته، ويتطبع بطبعه، مما يؤثر في قلبه وعقله وأخلاقه وسلوكه، فلذلك ما جلس إنسان مع رجل صالح إلا ووجد منه خيرا، لا يدعوه إلا لصلاح دينه ودنياه وأخرته، ويظهر أثر تلاوة القرآن وتدبره على القلب من خلال الآتي:

١- مجالسة الصالحين حياة القلب :

مجالسة الصالحين حياة للقلب، به تستقيم وتحي، فتثمر خيراً كبيراً، قال لقمان رحمه الله لابنه: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل القطر"[١].

فمجالسة الصالحين تشرح القلوب، وتجعلها تطمئن بذكر الله عز وجل، وتجد راحة وسعادة وسكينة في النفس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما جلس قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[٢].

فصحبة الصالحين ومجلستهم زين وانس في الرخاء، وعدة في البلاء، وخير معين لتخفيف الهموم والأحزان، خرج ابن مسعود رضي الله عنه مرة على أصحابه فقال " انتم جلاء حزني "[٣].

" وكان بعضهم يقول: لقاء الإخوان مسلاة للهمّ ومذهبة للأحزان" [٤] .

ولذلك تجد الإنسان إذا جلس مع الصالحين يقوم ونفسه معلقة بطاعة الله، يريد أن يفعل أي خير يقربه إلى الله.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ، ٣/ ٢٦٣.

[٢] صحيح ابن حبان،ح ٧٦٨، كتاب الرقاق، باب قراءة القرآن، ٤٥/٣، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

[٣] مسند ابن الجعد، ح ١٧٦٣ مؤسسة نادر، بيروت، ط١٤١٠،١هـ، ٢٦٧/١.

[٤] أبي طالب المكي، محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط٣، ١٤٢٦ هـ، ٣٧٦/٢.

٢- مجالسة الصالحين ينمي أعمال القلوب :

مجالسة الصالحين تنمي جوانب الخير في القلب، فالجليس الصالح إما أن ينتقل إليك أخلاقه وسيرته وأعماله الصالحة، وإما أن يبعدك عن الشر ويحذرك من أعمال السوء، فهو يسعى في إصلاحك، عن أبي موسى الأشعري ﵁ أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « مثلُ الجليس الصالح والسَّوءِ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبَةً، ونافخُ الكِيرِ إمَّا أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثةً »[(١)].

والجليس الصالح مثل النخلة ينتفع به على كل وجه، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ » [(٢)].

فما جلس الإنسان مع إنسان صالح إلا دله على الله، ويجعل قلبه معلق بالله، وقلبه وروحه تريد رضوان الله، وحاله أصلح من ذي قبل، فإن كان الصاحب من أهل الزهد والورع فإن مجالسته تعين على الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.

فالجلوس مع الصالحين من أهل الخير والصلاح يعتبر من أهم الأسباب التي تدل الإنسان على ربه، وتدله على أمور كثيرة من أعمال القلوب، وعند مجالسة الأخيار والصالحين ورؤية أعمالهم الصالحة يكون حافزاً على الرقي بعمل الإنسان ومستوى إيمانه وصلاح قلبه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ» [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، ح٥٢١٤، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٢١٠٤/٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ح١٣٥١٤، ٤١١/١٢، قال الألباني: إسناده صحيح رجاله ثقات، السلسلة الصحيحة ح٢٢٨٥.

(٣) مسند الأمام أحمد،ح ١٨٠٢٧، ٢٢٧/٤، وقال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب ح٢٨٢٤.

٣- مجالسة الصالحين تعالج أمراض القلوب :

مجالسة الصالحين شفاء للأدواء القلبية، فالجليس الصالح يبصر جليسه بعيوبه ويرشده إلى ما خفي منها، ويرشده إلى الطريق الذي يخلصه من هذه العيوب وإصلاحها، فبمجالسة الصالحين يحصل التصحيح والتقويم المستمر للقلب، وعلاج أمراضه وذلك عن طريق التواصي والنصيحة وإرادة الخير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه" [(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: "وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص، احتراماً لهم، واستحياءً منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه في سره وعلانيته"[(٢)].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين"[(٣)].

ومجالسة أهل الصلاح والخير تبعد الإنسان عن ارتكاب المعاصي وأمراض القلب في تلك المجالس مم يقود إلى التركي الكلي لها بعد ذلك بإذن الله تعالى، وكذلك من خلال المجالسة للصالحين يتعرف الإنسان على أخطائه وأمراض قلبه من خلال مقارنة ما يحصل منه بما عليه جليسه الصالح .

يقول جعفر بن سليمان[(٤)] رحمه الله:"كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى

---

(١) الأدب المفرد، ح ٢٣٨، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، ص٩٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٣٩/١٧٨).

(٢) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، ١٥٨/١.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ،٩٢/٤.

(٤) جعفر بن سليمان أبو سليمان الضبعي، البصري، الشيخ العالم الزاهد، محدث الشيعة، كان ينزل في بني ضبيعة، فنسب إليهم، وكان من عباد الشيعة وعلمائهم، وقد حج، وتوجه إلى اليمن، فصحبه عبد الرزاق، وأكثر عنه، وبه تشيع، و احتج به مسلم، توفي عام ١٧٨هـ. سير أعلام النبلاء (١٩٧/١٥).

وجه محمد بن واسع[١] كان وجهه كأنه ثكلى"[٢].

عن محمد بن عبادة المعافري قال: كنّا عند أبي شريح[٣] رحمه الله فكثرت المسائل فقال: قد درنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق؛ فإنها تجدد العبادة وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلّوا المسائل فإنها في غير ما نزل تقسّي القلب وتورث العداوة "[٤].

وكذلك مجالسة الفاسدين تمرض القلوب، لذلك لزم البعد عنها، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « ولا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة القلوب »[٥].

---

[١] محمد بن واسع بن جابر الازدي، أبو بكر: الامام الرباني، القدوة، أحد الاعلام، فقيه ورع، من الزهاد، من أهل البصرة، عرض عليه قضاؤها، فأبى، وهو من ثقات أهل الحديث، توفي عام ١٢٣ هـ، سير أعلام النبلاء (١١ / ١٤٧)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٣٣).

[٢] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ١٢٠/٦.

[٣] عبدالرحمن بن شريح ، أبو شريح المعافري الاسكندراني، الامام، القدوة، الرباني، العابد، وكان متألها، زاهدا، مقبلا على شأنه، وثقه يحيى بن معين، سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٠٨).

[٤] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ١٨٣/٧.

[٥] الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن، كتاب القدر، دار ابن حزم ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ص٢٦٤.

المبحث الثامن: تذكر الموت والدار الآخرة:

الإيمان باليوم الآخر له أثر كبير في حياة المسلمِ، وله أثر في صلاحِ القلوبِ، وصلاحِ الناس وسعادتِهِم في الدنيا والآخرة.

وتذكر الموت والدار الآخرة من العوامل التي تتحكم في سلوك الإنسان، فأن الإيمان باليوم الآخر يخلق في الإنسان حافزاً إلى عمل الفضائل والخيرات، وتجنب الشرور والموبقات، وطاعته لأوامر الله عزَّ وجلَّ، واجتنابِ نواهيه، حيث يستشعر الإنسان أنه بعد الموت وفي الدار الآخرة، يسأل عن أفعاله وأقواله، وما أبداه وأخفاه من خير أو شر، ثم يلقى الجزاء، على ما كان ما كسب من عمل، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ المدثر: ٣٨.

المطلب الأول: تعريف تذكر الموت والدار الآخرة:

التذكر لغة: من " الذِّكْرُ، والذِّكْرى بالكسر نقيض النسيان ..، قال الفراء: الذِّكْرُ ما ذكرته بلسانك وأَظهرته، والذُّكْرُ بالقلب يقال ما زال مني على ذُكْرٍ أَي لم أَنْسَه ..، والتَّذَكُّر تذكر ما أُنسيته، وذَكَرْتُ الشيء بعد النسيان وذَكَرْتُه بلساني وبقلبي وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غيري "[١].

"ذَكَرْتُ الشيء، خلافُ نسِيتُه، ثم حمل عليه الذِّكْر باللِّسان، ويقولون: اجعلْه منك على ذُكْرٍ، بضم الذال، أي لا تَنْسَه"[٢].

فالتذكر: " وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات "[٣].

و"المَوْتُ: خلاف الحياة"[٤].

وتذكر الموت والدار الآخرة، يتحقق باستحضار الإنسان أن ذلك نهاية كل مخلوق وكل إنسان صائر إليه.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "ذكر"، ٣٠٨/٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "ذكر" ، ٢ / ٣٥٨.

(٣) الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ١ / ٨٢.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "مات" ، ٥ / ٢٨٣.

المطلب الثاني : أهمية تذكر الموت والدار الآخرة:

والإيمان باليوم الآخر، وأول منازله الموت، يعتبر رُكن مِن أركان العقيدةِ، يجب الإقرار والتصديق به، وله أهميّةٌ ومنزلةٌ كبيرة في العقيدة الإسلامية، فإنه جعله قرينَ الإيمان بالله ﷻ في آياتٍ كثيرة، في القرآن الكريم.

وقد اهتم الكتابُ والسنَّةُ غاية الاهتمامِ بتفاصيل ذلك اليوم المشهودِ، إنه يوم القيامة، يوم القارعة، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة، يوم الغاشية، يوم الواقعة، يوم الفصل، يوم البعث، يوم الآزفة، يوم الحساب، يوم الوعيد، يوم الحسرة والندامة، يا له من يوم جمع من الأسماء والمعاني ما تلين به القلوب، وتقشعر منه الجلود، وتشيب منه الرؤوس من شدة ما يشاهدون ويسمعون.

وكثرت النصوص من الكتاب والسنة في التذكير بالموت والدار الآخرة، وذلك لأهمية تذكر ذلك، إذ له أثر بالغ في التأثير على النفوس، وتوجيهها نحو الخير والصلاح، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ لقمان: ٣٣.

و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ »[١].

واهتم السلف الصالح بذلك لما في من أثر في إصلاح قلوبهم وتزكية نفوسهم، فـ "كان عمر بن عبد العزيز ﷺ يجمع العلماء فيتذاكرون الموت، و القيامة، والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة"[٢] .

---

[١] سنن الترمذي، ح ٢٣٠٧، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ٥٥٣/٤، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب والترهيب ح ٣٣٣٣.

[٢] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ص١١.

المطلب الثالث : أثر تذكر الموت والدار الآخرة في إصلاح القلب :

تذكر الموت والدار الآخرة له الأثر العظيم في حياة الإنسان، حيث يُثمر الصلاح، فالمؤمن باليوم الآخر يكثر من العمل الصالح، وكذلك ما يتحقق في القلب من الخوف والرجاء، فاليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لها آثار عظيمة وثمار طيبة، لابدَّ أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه، وفي حياته كلِّها، ومن تلك الآثار الآتي:

١- تذكر الموت والدار الآخرة ينمي أعمال القلب :

القلوب إذا تعلقت بالموت، والدار الآخرة، فإن ذلك يثمر أعمال في القلب جليلة، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ :« وَكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ بَدَا لِي فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبِ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ فَزُورُوا وَلاَ تَقولوا هجرا »[(١)].

وقال الدقاق[(٢)] رحمه الله: « من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة و قناعة القلب، و نشاط العبادة، و من نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، و ترك الرضى بالكفاف، و التكاسل في العبادة »[(٣)].

فالإيمان باليوم الآخر يجعل للحياة غاية سامية وهدفا أعلى، حيث يدفع المؤمن رغبا في طلب رضاء الله تعالى وثوابه، وهربا من سخط الله وعقابه، ويحثه على المثابرة على الأعمال الصالحة، والتحلي بالفضائل، والابتعاد عن الأعمال السيئة، وترك المنكرات، والتخلي عن الرذائل الضارة بالقلوب والأبدان.

تذكر الموت يورث صدق الإقبال على الله تعالى، ويمحو عن القلب آثار الدنيا، والحذر منها، والزهد فيها ، فإذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائما على بال، ومن ذلك ازدياد الخوف والخشية من الله تعالى، والرجاء في ثوابه الذي أعده لعباده المتقين وذلك

---

(١) سنن البيهقي الكبرى، ح ٦٩٩٠، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ٤/٧٧، قال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الجامع (٤٥٨٤).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الاصبهاني الدقاق، الحافظ الاوحد، المفيد الرحال، كان الدقاق محدثا مكثرا، أثريا متبعا، فقيرا متعففا دينا سير أعلام النبلاء (٣٧ / ٤٤٢).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١١.

بالعمل بمقتضى أوامره واجتناب نواهيه والالتزام بشرعه، عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ "[١].

٢- تذكر الموت والدار الآخرة يقي فساد القلب :

تذكر الموت والإيمان باليوم الآخرة صمام الأمان لهذا الإنسان في هذه الدار، فاليقين بالآخرة يؤدي للهداية والفلاح، وحصول الهداية وتحققها في القلب تجعل الإنسان المؤمن يبتعد عن السوء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة: ١ - ٥ .

واليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشري، وتطلعه إلى ما عند الله ، واستعلائه عن أمراض القلوب، وتجعله دائم المراقبة لله في السر والعلن وفي الدقيق والجليل؛ والوصول إلى درجة الإحسان التي سئل عنها رسول الله ﷺ فقال: « الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك »[٢].

كما أن تذكر الموت والدار الآخرة تعطي الإنسان سلامة التفكير وانضباط الموازين، مما يجعله يدرك عواقب الأمور فيبتعد عن كل سوء ومكروه.

"وكان الربيع بن خثيم[٣] رحمه الله قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد"[٤].

---

[١] مستدرك الحاكم، ح ٧٨٥، كتاب الرقاق، ٣٤٣/٤، وحسنه الألباني، السلسلة الصحيحة ح٩٥٤.

[٢] صحيح البخاري، ح ٤٤٩٩، كتاب التفسير، باب * إن الله عنده علم الساعة& ، ١٧٩٣/٤.

[٣] الربيع بن خثيم ابن عائذ، الامام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الاعلام، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن، وكان يعد من عقلاء الرجال، قال له ابن مسعود: يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٨٨).

[٤] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٤/ ٤٥١.

وقال إبراهيم التيمي[١] رحمه الله:"شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل"[٢].

و"ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، و التوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق و سعة، نعمة و محنة، فإن كان في حال ضيق و محنة، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم، و الموت أصعب منه، أو في حال نعمة و سعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، و السكون إليها ، لقطعه عنها، و لقد أحسن من قال :

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمصرع سوف يأتي

و قال غيره : واذكر الموت تجد راحة في إذكار الموت تقصير الآمل"[٣].

٣- تذكر الموت والدار الآخرة يعالج أمراض القلب :

الموت هادم اللذات، وقاطع الأمنيات، الواعظ الصامت، الذي يزيل أمراض القلوب وفسادها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ »[٤].

" عن صفية رضي الله عنها : أنَّ امرأة أتت عائشة رضي الله عنها تشكو إليها القسوة ؟ فقالت : أكثري ذكر الموت؛ يرقّ قلبك، وتقدرين على حاجتكِ . قالت : ففعلت ، فأنِستْ من قلبها رشداً فجاءت تشكر لعائشة رضي الله عنها "[٥].

فالموقنَ باليوم الآخر، يبتعد من كل ما يحبط أعماله، ويفسد قلبه، كالرياء، والعُجب، والمنِّ، وطلب الجاهِ والشرف وغير ذلك من أمراض القلب.

---

[١] إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي: تيم الرباب، الامام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء، حدث عن أبيه يزيد، وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضا، وحديثه في الدواوين الستة، وكان شابا صالحا قانتا لله عالما فقيها كبير القدر واعظا، توفي عام ٩٢هـ. سير أعلام النبلاء (٩ / ٦٥).

[٢] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١١.

[٣] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١١.

[٤] سنن الترمذي، ح ٢٣٠٧، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ٥٥٣/٤، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٣).

[٥] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٤/ ٤٥١.

المبحث التاسع: المجاهدة والممارسة العملية:

المجاهدة والممارسة العملية أسلوب وطريق لإصلاح القلب، فالجهاد الحقيقي أن تجاهد هواك وألا تسترسل مع نزعات نفسك وأهوائها فإن من اتبع هواه فقد ضل وغوى، لابد من مجاهدة النفس ولابد أن يسلك الإنسان طريقة إلى الله محطة محطة، ومرحلة مرحلة، حتى يصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

والقلب قابل للتغيير والإصلاح ولكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة وصدق وإصرار، قال عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما لمن سأله عن الجهاد: "ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزُها"[(١)]، وقال إبراهيم بن أبي عبلة[(٢)] رحمه الله، لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتُم من الجهاد الأصغر، فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهادُ القلب"[(٣)].

المطلب الأول: تعريف المجاهدة والممارسة العملية:

المجاهدة في اللغة: من بذل الجهد والطاقة في تحقيق شيء ما، " الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ الحج: ٧٨، وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ التوبة: ٤١، وقال ﷺ: (جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم)"[(٤)].

فمجاهدة النفس: بذل الطاقة واستفراغ الجهد في مقاومة شيء معين فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم، وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً.

---

(١) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، ١٩٦/١.

(٢) إبراهيم بن أبي عبلة الامام القدوة، شيخ فلسطين، أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي، من بقايا التابعين، له فضل وجلالة، وثقه يحيى بن معين، والنسائي، وكان الوليد بن عبدالملك يبعثه بعطاء أهل القدس فيفرقه فيهم، توفي ١٥٢هـ، سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٩٤).

(٣)ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، ١٩٦/١.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، ١٩٨/١.

المطلب الثاني : أهمية المجاهدة والممارسة العملية :

جهاد النفس لها أهمية كبيرة في إصلاح النفس الإنسانية، في مواجهة أهوائها وشهواتها، حتى تصل إلى الهداية الربانية، والمسلم يجاهد قلبه في ذات الله ليطيب، ويطهر، ويزكو، ويطمئن، ويصبح أهلاً لكرامة الله تعالى، والمجاهدة عملية هامة تتطلب من المؤمن قوة الإرادة والصبر، فيتماسك ويصمد ويثبت أمام الأهواء والإغراءات، فيوازن بين ما تتطلبه غرائزه ورغباته وبين ما يريده الله تعالى، فيقاوم الشهوات .

والمجاهدة عملية مستمرة، ترافق الإنسان طوال حياته، ليواجه مواطن الضعف في نفسه، فيراقبها ويحاسبها على خطيئة اقترفها، أو عمل صالح قصرت فيه، فيعود بها إلى الله بالتوبة والاستغفار، والقيام بما يجب عليها من أمر دينها ودنياها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩ ، والآية تشمل أنواع الجهاد، والمراد منها بدرجة أولى من جهاد النفس، " قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال"[(١)].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المجاهدُ مَنْ جاهد نفسَهُ "[(٢)]، وفي رواية: " وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ"[(٣)].

وتكمن أهمية المجاهدة للقلب في مقاومة الشبهات والشهوات التي تطرأ عليه، وكذلك المجاهدة مطلوبة في الارتقاء بكثير من أعمال القلوب وتنميتها، فالمجاهدة مقاومة الحال السيئ ومحاولة الانتقال منه إلى حال أفضل مهما كلف ذلك .

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٣٦٤/١٣.

(٢) سنن الترمذي، ح١٦٢١، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، ١٦٥/٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، ح١٦٢١.

(٣) مسند الأمام أحمد، ح ٢٤٠٠٤، ٢١/٦، قال الألباني: و هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، السلسلة الصحيحة، ح٥٤٩.

المطلب الثالث : أثر المجاهدة والممارسة العملية في إصلاح القلب:

المجاهدة والممارسة العملية لها أثر كبير في إصلاح القلوب، وصقل الضمائر، وتهذيب الأخلاق، وتقويم المسالك، ومجاهدة النفس وتكون بالنية وبالعمل وهي مجهود وعمل قلبي بدرجة كبيرة، والمجاهدة تكون للقلب حتى يطمئن، ويطهر، ويطيب، وتلك غاية المجاهدة، ويظهر أثر المجاهدة والممارسة العملية على القلب من خلال الآتي:

١- المجاهدة والممارسة العملية تنمي أعمال القلب:

إن صلاح قلب الإنسان يظهر بجلاء عند الممارسة العملية للقضايا والأحداث في أرض الواقع، فيظهر حقيقة ما يتحلى به الإنسان من الصدق والإخلاص، والصبر والثبات، والتواضع، والحب وغير ذلك ، وقد يظهر في الإنسان عند معايشة الأمور خلاف ذلك، فعلى المرء أن يجاهد نفسه في مختلف المواقف، على أن يكون متحلياً بأعمال القلوب الفاضلة، وإذا ظهر منه خلاف ذلك فعليه مجاهدتها للبعد عن ذلك، ومع دوام المجاهدة واستمرارها فإن الإنسان يتوصل إلى تنمية الأعمال الفاضلة في قلبه، ويصل إلى الهداية الربانيـــــــة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩.

قال ابن القيم تعليقا على هذه الآية : " علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوي، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلي جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد، قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا فمن نصر عليها نصر على عدوه ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه"[١].

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ٤٩٨/٢.

٢- المجاهدة والممارسة العملية تعالج أمراض القلب :

وقلب الإنسان قابل لتغيير أعماله المذمومة، فإن القلب معلوم بالتقلب في الأحوال دائماً فهو لا يبقى على حالة واحدة فهو سريع التقلب في كل حال، فيجاهد الإنسان نفسه على البعد من " الاعتقادات الباطلة، ولا يحسد، ولا يعجب، ولا يتكبر ولا يشوب عمله رياء، ولا نيته عدم خلوص، ولا يستخف بما أوجب الله عليه تعظيمه، ولا يبطن غير ما يظهره حتى يكون ذا وجهين، وغير ذلك من الأمور القلبية التي هي عند من يتفكر في الأمور ويتفهم الحقائق كثيرة جداً، والتكليف بها شديد، والوعيد عليها عتيد، والحريص على دينه إذا لم يجاهدها كلية المجاهدة هلك من حيث لا يشعر، وذهب عليه أجر أعماله الظاهرة وهو لا يدري، فترك هذه هو من أعظم ما افترضه الله على عباده"[١].

وقال أبو عبد الله المحاسبي: وأبناء الآخرة صنفان: ...، وأما الصنف الآخر فترك العيوب الظاهرة، وانتبه إلى العيوب الباطنة، وأقبل على النفس الأمّارة فراضها حتى تركت هذه الأخلاق، وجاهدها حتى أذعنت، وصدق في مجاهدتها حتى استقامت، فقدم على ربه طاهراً متطهراً تائباً نازعاً عن العيوب الظاهرة والباطنة"[٢].

---

[١] الشوكاني، محمد بن علي، ولاية الله والطريق إليها، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ٤٥٣.

[٢] الشوكاني، محمد بن علي، في السلوك الإسلامي القويم، دار الفكر، دمشق،ط١، ١٤٠٦هـ، ص٢٠.

المبحث العاشر: العبرة من الأحداث:

العبرة من الأحداث أسلوب تربوي لتنوير العقل، وإصلاح القلب، واستخلاص المفاهيم والقيم الكامنة وراء المواقف والأحداث، وبأخذ العبرة من ذلك يعي الإنسان حركة الحياة من حيث الشدة والرخاء، وأسباب التقدم والتأخر للمجتمعات والحضارات، وبالعبرة من الأحداث يقلع الإنسان عن كثير من أمراض القلوب، الممارسات المنحرفة، ثم يتوجه لإصلاح قلبه؛ ليسمو ويتكامل.

المطلب الأول: تعريف العبرة من الأحداث:

العبرة في اللغة: من الاعتبار، و" المِعْتَبِرُ المستدلّ بالشيء على الشيء ...، وفي التنزيل فاعْتَبِرُوا يا أُولي الأَبصار أَي تدبّروا وانظُروا فيما نزل بقُرَيْظةَ والنضير فقايِسوا فِعالَهم واتّعِظُوا بالعذاب الذي نزل بهم وفي حديث أَبي ذرّ فما كانت صُحُفُ موسى ؟ قال كانت عِبَراً كلُّها العِبَرُ جمعُ عِبْرة وهي كالمَوْعِظة مما يَتّعِظُ به الإِنسان ويَعمَلُ به ويَعتبِر ليستدل به على غيره والعِبْرة الاعتبارُ بما مضى وقيل العِبْرة الاسم من الاعتبار "[1].

و" العبرة: الاتعاظ والاعتبار بما مضى"[2]، و"الاعتبار هو مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة والمعبر معبرا واللفظ عبارة ويقال السعيد من اعتبر بغيره والشقي من اعتبر به غيره ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها وقيل الاعتبار هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر "[3].

الأحداث في اللغة: من الحدوث وهو الوقوع في ما مضى، " وحَدَثَ الشيءُ فإِذا قُرِن بقَدُم ضُمَّ للازْدواج والحُدُوثُ كونُ شيء لم يكن وأَحْدَثَه اللهُ فَحَدَثَ وحَدَثَ أَمرٌ أَي وَقَع"[4].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "عبر"، ٤ / ٥٢٩.
(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "عبر"، ٢ / ٥٨٠.
(٣) الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ١ / ٢٤٧.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "حدث"، ٢ / ١٣١.

المطلب الثاني : أهمية العبرة من الأحداث:

لقد حث الله ﷻ في كتابه الكريم على أخذ العبرة، والاعتبار من كثير من الأحداث والوقائع، من ذلك العبرة المأخوذة من قصص الأنبياء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يوسف: ١١١ ، عبرة يعتبر بها أولو الألباب حتى يصبروا كصبرهم، ويؤمنوا كإيمانهم، ويصدقوا كتصديقهم، ويسيروا كسيرهم، ويتخلقوا بأخلاقهم، وأولي الألباب هم أصحاب العقول النيرة الناضجة.

وكذلك أخذ العبرة من الأمم الغابرة، للحذر مما حل بهم من العذاب، وعدم الوقوع في ما وقعوا فيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٧.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها " [(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ الحشر: ٢ " أي: البصائر النافذة، والعقول الكاملة...، وهذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي"[(٢)].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إن رجلا من الأنصار توفي فدفن فأصبحوا وقد لفظته الأرض فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال رسول الله ﷺ" إن الأرض لتوارى من هو شر منه ولكنه جعل لكم عبرة ثم قال ارجعوا فواروه فلم تلتفظه الأرض"[(٣)].

[(١)] ابن قدامة المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الكاتب العربي، بيروت، ص١٣٧.

[(٢)] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٥٠.

[(٣)] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، العقوبات الإلهية، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ، ١ / ٩٠.

المطلب الثالث : أثر العبرة من الأحداث في إصلاح القلب:

العبرة من الأحداث له الأثر في إصلاح القلوب، وله دور في تحريك النفس الإنسانية، حيث تعتبر من أحداث في الماضي، لتستفيد من ذلك في المستقبل، ويظهر أثر العبرة من الأحداث على القلب من خلال الآتي:

١- العبرة من المواقف والأحداث تنمي القلب:

كان أبو السري الباهلي يقول: "العبرة تورث الحزم، والحزم يورث العزم، والعزم يورث اليقين، واليقين يورث الغنى، والغنى يورث الحب، والحب يورث اللقاء"[(١)].

كان ابن عمر إذا أراد أنْ يتعاهد قلبه؛ يأتي الخَربة فيقف على بابها ، فيُنادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه "[(٢)] .

كان الرَّبيع بن خُثَيم رحمه الله إذا وجد مِن قلبه قسوةً يأتي منزل صديق له قد مات في الليل فيُنادي: يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان ، ثم يقول: ليت شِعري !! ما فعلتَ وما فُعل بك ؟ ثم يبكي حتى تسيل دموعه، فُيعرف ذلك فيه إلى مثلها" [(٣)].

٢- أخذ العبرة أن أمراض القلوب لها دور في دمار الفرد والمجتمع:

فالعتو والكبر والغرور يسبب في فشل وتراجع الإنسان في الحياة، وكذلك الأمة العاتية المغرورة المستكبرة أمة تتعرض لعقوبة الله عز وجل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩ ﴾ الروم: ٩ .

---

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب اليقين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ،

(٢) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم قسوة القلب، دار ابن رجب، المنصورة، ط١، ١٤٢٦هـ، ص٩٧.

(٣) المرجع السابق، ٩٨.

وقد حكى النبي ﷺ قصة بني إسرائيل عندما أصابهم شيء من العزة بالكثرة والعدد، فجاءتهم العقوبة من الله، وأصابتهم سنن الله العادلة التي تحيق بمن أصابه شيء من الكبر أو الغرور ، عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا أَفْهَمُهُ وَلَا يُخْبِرُنَا بِهِ قَالَ أَفَطِنْتُمْ لِي قُلْنَا نَعَمْ قَالَ إِنِّي ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ الْكَلَامِ فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ اخْتَرْ لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ الْجُوعَ أَوْ الْمَوْتَ فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ فَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ خِرْ لَنَا فَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَيْ رَبِّ أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا أَوْ الْجُوعُ فَلَا وَلَكِنْ الْمَوْتُ فَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتُ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ اللَّهُمَّ بِكَ أُقَاتِلُ وَبِكَ أُصَاوِلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »[(١)].

وكذلك الظلم والكفر، وهي من أخطر أمراض القلوب له سبب كبير في هلاك كثير من الأمم، والظلم هو تجاوز الحد، وله صور أعظمها الشرك، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ **لقمان: ١٣** ، **وقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ **الكهف: ٥٩** .

قال ابن كثير رحمه الله: " الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم. .. وكذلك أنتم أيها المشركون: احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر"[(٢)].

---

(١) مسند الأمام أحمد، ح ٢٣٩٧٢، ٦/١٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح١٠٦١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٣/٩٣.

المبحث الحادي عشر: زيارة المرضى والقبور:

زيارة القبور عباد لله ﷻ تذكر الموت، الذي هو النّهاية الحتمية لكل مخلوق، وهذا من شأنه أن يجعل المرء متذكرًا للآخرة، عاملاً لما بعد الموت.

وزيارة القبور من أكبر أسباب تقوية القلب وإزالة الغشاوة، فكل قبر واعظ صامت، يذكر القلب بالدار الآخرة، لأن القلب إذا نسى الآخرة غفل واشتغل، بالدنيا.

المطلب الأول: تعريف زيارة المرضى والقبور:

الزيارة لغة: من زار "الزاء والواو والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المَيْل والعدول..، ومن الباب : الزائر، لأنّه إذا زارَك فقد عدَلَ عن غيرك"[١]، "والزِّيَارَةُ في العرف قصد المزور إكراما له واستئناسا به"[٢].

زيارة القبور أي الخروج إليها امتثالا وإتباعاً لرسول الله ﷻ والقبور هي دور الأموات، والزيارة الشرعية:" المقصود بها السلام على الميت والدعاء له ...، فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبياً أو غير نبي لأمره- ﷺ - إذا زاروا القبور أن يقولوا :(السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم) وهكذا إذا زار أهل البقيع أو زار شهداء أُحد أو غيرهم. ..، وتزار القبور بالزيارة الشرعية من كان قريباً ومن احتاز بها"[٣] .

وزيارة المريض: هي عيادته من "وعادَ العَلِيلَ يَعُودُه عَوْداً وعِيادة وعِياداً زاره"[٤]، و"عُدْتُ المريض عِيَادَةً زرته فالرجل عَائِدٌ وجمعه عُوَّادٌ"[٥].

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "زور" ، ٣ / ٢٦.

[٢] الفيومي، المصباح المنير، مادة" زور"، ١ / ٢٦٠.

[٣] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منسك شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤١٨هـ، ص٩٦.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "عود"، ٣ / ٣١٥.

[٥] الفيومي، المصباح المنير، مادة:" عود"، ٢ / ٤٣٦.

المطلب الثاني : أهمية زيارة المرضى والقبور:

القبر واعظ صامت، يجذب القلوب ويحركها، فالقبر واعظ بليغ الموعظة، وناصح واضح النصيحة، وبسبب ذلك حث الرسول في أكثر من موضع على زيارة القبور، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً »[(١)].

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِى زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً »[(٢)]، وفي رواية: « فَزُورُوهَا وَلْتَزِدْكُمْ زِيَارَتُهَا خَيْرًا »[(٣)].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ :« وَكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ بَدَا لِى فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ فَزُورُوا وَلاَ تَقُولُوا هُجْرًا »[(٤)].

وفي الأمر بعيادة المريض، وفضل زيارته ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ «بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ...»[(٥)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ» [(٦)].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ح ٦٩٨٨ ، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ٧٧/٤، قال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترغيب ، ح٣٥٤٣.

(٢) سنن أبي داود، ح ٣٢٣٥ ، كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور ، ٢١٨/٣، قال الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، ح ٣٢٣٥.

(٣) سنن النسائي، ح ٤٥١٨، كتاب الضحايا، باب الإذن في ذلك، ٦٩/٣، قال الألباني: صحيح، صحيح النسائي، ح٥٦٦٩.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، ح ٦٩٩٠ ، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور ، ٧٧/٤، قال الألباني: إسناده حسن، أحكام الجنائز، ٢٢٨.

(٥) صحيح البخاري، ح ٥٨٨١، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام ، ٢٣٠٢/٥.

(٦) صحيح البخاري، ح ١١٨٣، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ، ٤١٨/١.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِى فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» [١].

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ »[٢].

عن عَلِيٍّ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»[٣].

وكان السلف الصالح يهتمون بزيارة القبور لما لها من أثر في صلاح قلوبهم وترقيقها، وجعلها تقبل على الخير، قال ميمون بن مهران[٤] رحمه الله: "خرجت مع عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى، وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم، ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله"[٥].

---

[١] صحيح مسلم، ح ٢٥٦٩، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ٤/١٩٩٠.

[٢] صحيح مسلم، ح ٢٥٦٨، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ٤/١٩٨٩.

[٣] سنن الترمذي، ح ٩٦٩، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، ٣/٣٠٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، قال الألباني: صحيح، صحيح الترمذي، ح ٩٦٩.

[٤] ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب: الامام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، فقيه من القضاة، كان مولى لامرأة بالكوفة، فأعتقته، فنشأ بها، ثم سكن الرقة (من بلاد الجزيرة الفراتية) فكان عالم الجزيرة، وسيدها، واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها، وكان ثقة في الحديث، كثير العبادة، توفي عام ١١٧ هـ، سير أعلام النبلاء (٩ / ٧٨)، الأعلام للزركلي (٧ / ٣٤٢).

[٥] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١١.

وكان الربيع بن خيثم رحمه الله قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل[1].

المطلب الثالث : أثر زيارة المرضى والقبور في إصلاح القلب:

في زيارة القبور ترطيب القلب، وتذكرة للآخرة، وعظة وعبرة، وفيها منفعة لأهل القبور بالدعاء والاستغفار لهم ، كما أن لزيارة القبور آثار مهمة، تعود على الجانب الإيماني، فهي تعزز إيمان الإنسان باليوم الآخر فزيارة القبور تذكر الآخرة، فزائر القبور يعلم أن هناك يوما آخر سيقف فيه للحساب بين يدي الله عز وجل.

وكذلك على الجانب النفسي حيث يستشعر التواصل مع الميت عندما يترحم عليه، ويستغفر ويدعو له، فيشعر الزائر أنه قد أحسن إليه أو أدى بعض الحقوق التي كانت للميت عليه، وخاصة الوالدين.

وفي الجانب السلوكي تجعل المؤمن يعد العدة لمثل ذلك اليوم الذي سيقبر فيه، فزيارة القبور تذكر بالموت وتجعل المرء يتوب إلى الله من ذنوبه ويعدل من سلوكه.

وذكر ابنُ أبي الدنيا رحمه الله: "عن محمد بن صالح التمار[2] قال: كان صفوان بن سليم[3] يأتي البقيع في الأيام فيمر بي، فاتبعته ذات يوم؛ وقلت: والله لا انظرنَّ ما يصنع ! قال: فقنَّع رأسه وجلس إلى قبر منها، فلم يزل يبكي حتى رحمته. قال: ظننتُ أنه قبر بعض أهله !

---

[1] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١١.

[2] محمد بن صالح التمار، وثقة أبو داود وغيره، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وروى له الأربعة، وروى هو عن القسم بن محمد وعاصم بن عمر بن قتادة وابن شهاب ورأى سعيد بن المسيب، توفي عام ١٦٨هـ، الوافي بالوفيات (١ / ٣٦٠).

[3] صفوان بن سليم الامام الثقة الحافظ الفقيه، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحارث القرشي الزهري المدني مولى حميد بن عبدالرحمن بن عوف، تابعي جليل، كان ثقة، كثير الحديث، عابدا، توفي عام ١٣٢هـ، سير أعلام النبلاء (٩ / ٤٤٦).

قال: فمرَّ بي مرة أخرى، فاتبعته فقعد إلى جنب قبرٍ غيره، ففعل مثل ذلك . فذكرتُ ذلك لمحمد بن المنكدر[١] وقلت: إنّما ظننتُ أنه قبر بعض أهل. فقال محمد: كلهم أهل وإخوانه ! إنّما هو رجل يُحَرّك قلبه بذكر الأموات كلّما عرضت لهو قسوة. قال: ثم جعل محمد بن المنكدر بعد يمّر بي فيأتي البقيع، فسلَّمتُ عليه ذات يوم، فقال: ما نفعتك موعظة صفوان ؟ قال: فظننت أنه انتفع بما ألقيتُ إليه منها"[٢].

عن مطرف بن أبي بكر الهذلي[٣] قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى "[٤].

وسئل رجل الإمام أحمد[٥] ما يُرقُّ قلبي ؟ قال: ادخل المقبرة ! [٦].

وقال أحمد بن أبي الحواري[٧] : سمعت مضر بن عيسى يقول : رحم الله قوما زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم وهم قيام في ديارهم يشيرون إلى زيارتهم بالفكر في أحوالهم"[٨].

---

[١] محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى القرشي التيمي المدني، الامام الحافظ القدوة، شيخ الاسلام زاهد، من رجال الحديث، من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، له نحو مئتي حديث، توفي عام ١٣٠ هـ، سير أعلام النبلاء (٩ / ٤٣٠)، الأعلام للزركلي (٧ / ١١٢).

[٢] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم قسوة القلب، ص٩٠.

[٣] قال عنه البخاري: مطرف بن أبي بكر الهذلي عن أبيه روى عنه بشير بن عبد الرحمن الشامي يعد في البصريين، التاريخ الكبير (٧ / ٣٩٨).

[٤] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ٤/ ٤٩٢.

[٥] هو الامام حقا، وشيخ الاسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الائمة الاعلام، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد، توفي عام ٢٤١هـ، سير أعلام النبلاء (٢١ / ٢١٢).

[٦] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم قسوة القلب، ص٨٦.

[٧] أحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الامام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، أحد الاعلام، أصله من الكوفة، سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٧٩).

[٨] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، أهوال القبور، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ص٢٤٣.

قال الأمام القرطبي[١] رحمه الله: "ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور :

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكر، و التخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب و ينجع فيها .

الثاني: ذكر الموت من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات، قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي، و يلين القلب القاسي، و يذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت، ومشاهدة سكراته، و نزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، و يطرد عن القلوب مسراتها، و يمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب، يروى أن الحسن البصري دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه، و شدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم و شرابكم، فو الله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، و يستصرخ بها على فتن الشيطان و إغوائه، فإن انتفع بها فذاك، وإن عظم عليه ران القلب، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك "[٢].

---

[١] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الاندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها عام ٦٧١ هـ، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، وقمع الحرص بالزهد والقناعة، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٢).

[٢] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١٤.

المبحث الثاني عشر: تفقد الأيتام والمساكين والأرامل:

إن تفقد الأيتام والمساكين والأرامل ومواساتهم، طريق لصلاح القلب، ومن صنائع المعروف التي يحبها الله جل جلاله، وواجب على كل مسلم مستطيع، فمن كان كافلا لليتيم قائماً على رعايته بتقوى الله فليستبشر بالثمار العظيمة التي تعود عليه.

وكفالة الأيتام والسعي على الأرامل ومن أنواع الجهاد، لأن المجتمع يموت فيه الرجال ويخلفون أيتاماً وأرامل، والشريعة الإسلامية تكفل تحث الناس على رعاية الأيتام، ومواساة الأرامل، وإعانة المساكين.

المطلب الأول: تعريف تفقد الأيتام والمساكين والأرامل:

اليتيم: من "(يتم) الياء والتاء والميم. يقال: اليُتم في النَّاس من قِبَل الأب، وفي سائر الحيوان من جهة الأمّ. ويقولون لكلِّ منفردٍ يتيم"(١).

واليتيم : هو الصبي الذي فقد أباه قبل البلوغ، ولم يجد من يؤويه ويرعاه ويكفله.

"المساكين: جمع مسكين، ووصفوا بهذا الوصف؛ لأن الفقر أسكنهم أي: أذلهم، وهذا لا يقتضي الخلو، بل يقتضي أن الحاجة أسكنته، .. والمسكين فإنه قد أسكنه الفقر، فأذله، فلا يتكلم، ولا يرى لنفسه حظاً.

و الفقراء أكثر حاجة من المساكين، ويمكن أن يؤخذ فالفقراء: وهم من لا يجدون شيئاً أو يجدون بعض الكفاية، وسمي الفقير فقيراً؛ لأنه خالي اليد، وأصلها من القفر وهي الأرض الخالية من السكان"(٢).

والأرملة: من (أَرْمَلَتِ) المرأة فهي (أَرْمَلَةٌ) للتي لا زوج لها لافتقارها إلى من ينفق عليها"(٣).

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "يتم" ، ٦ / ١٥٤.

(٢) العثيمين، محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ٦ / ٢٢٣.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، مادة: " رمل"، ١ / ٢٣٩.

فالأرملة المرأة التي مات زوجها، وغالبا ما تكون الأرملة أمًّا لأيتام فيجتمع عليها ترملها ويتم أطفالها وفي كثير من الأحوال تكون هذه الأرملة وأطفالها في حالة من الفقر والمسكنة فيجتمع الترمل واليتم والفقر والمسكنة فتتوافر كل الدواعي في الإسلام للوقوف بجانب تلك الأرملة

وتفقد الأيتام والمساكين والأرامل بالإحسان إليهم ،والإنفاق عليهم، ومعاملتهم بلطف والرفق ، والحنو عليهم، وتلبية حاجتهم مما يحتاجونه من الطعام والشراب وتفريج كرباتهم.

المطلب الثاني : أهمية تفقد الأيتام والمساكين والأرامل:

حرص هذا الدين على رعاية حقوق الضعفاء على اختلاف أنواعهم وحض على رعاية الأرامل والمساكين واليتامى، فقد رغب الإسلام في كفالة اليتيم، ولقد عني القرآن الكريم بحق اليتيم ونهى عن قهره وإهماله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ ﴾ الضحى: ٩، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ الفجـــــر: ١٧، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ الماعون: ٢".

ووردت الأحاديث في السنة النبوية المطهرة الحاثة على الاهتمام بالأيتام والأرامل والمساكين عن أَبِي عَنْ سَهْلٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِى الْجَنَّةِ ». وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِى تَلِى الإِبْهَامَ[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[(٢)].

وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيُقِلُّ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ »[(١)].

[(١)] سنن أبي داود، ح ٥١٥٠، كتاب الأدب، باب فِى مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا، ٣٣٨/٤، قال الألباني: صحيح، صحيح أبي داود، ح ٥١٥٠ .

[(٢)] صحيح البخاري، ح ٥٠٣٨، كتاب النفقات، ٢٠٤٧/٥.

المطلب الثالث : أثر تفقد الأيتام والمساكين والأرامل على القلب:

إن لتفقد الأيتام والمساكين والأرامل الأثر في إصلاح القلوب، ويظهر من خلال الآتي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ :« إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ » [٢].

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان: ارحم اليتيم وأدنه منك، وأطعمه من طعامك . فأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجلٌ يشتكي قساوةَ قلبه ؟ فقال: « أتحب أنْ يلين قلبُك ؟ » فقال له: نعم . فقال: « ادن اليتيم منك وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك، فإنَّ ذلك يُلين قلبك ، وتقدر على حاجتك » [٣].

ونقل أبو طالب : أنَّ رجلاً سأل أبا عبدالله – يعني أحمد بن حنبل – فقال له : كيف يرقُّ قلبي ؟ قال: ادخل المقبرة ، وامسح رأس اليتيم"[٤] .

فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

[١] سنن النسائي، ح ١٧١، كتاب الجمعة ، باب تقصير الخطبة، ٥٣١/١.

[٢] السنن الكبرى للبيهقي، ح ٦٨٨٦، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من مسح رأس اليتيم وإكرامه، ٦٠/٤، وحسنه الألباني، صحيح الجامع، ح١٤١٠.

[٣] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢١٤/١.

[٤] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم قسوة القلب، ص٧٨.

الفصل الخامس

دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: دور الأسرة في إصلاح القلب.
- المبحث الثاني: دور المسجد في إصلاح القلب.
- المبحث الثالث: دور المدرسة في إصلاح القلب.
- المبحث الرابع: دور المجتمع في إصلاح القلب.

الفصل الخامس

دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب

التربية عملية مستمرة، تنشأ مع وجود الإنسان في الحياة، وتستمر معه إلى مفارقتها، ويخضع لها في أماكن عديدة: في الأسرة، وفي المسجد، وفي المدرسة، وفي جميع جوانب المجتمع الأخرى في: الشارع، وجماعة الرفاق، والنوادي، والمراكز الثقافية والتربوية، وتحت تأثير الصحافة والإذاعة، وثقافة المجتمع، فالعملية التربوية قسمة مشتركة بين تلك الوسائط جميعها.

"وللتربية وسائل مادية أو بشرية ذات أثر معنوي عظيم، كالمسجد، والمربي، والأسرة، والمدرسة، وسنطلق عليها اسم وسائط..، ووسائط التربية الإسلامية..، لها أثر في تحقيق هدف التربية الإسلامية"[(١)].

"والمقصود بوسائط التربية: هي الوسائل أو المصادر التي يستقي الفرد منها أو عن طريقها تربيته، ويتمرس أساليب معايشته في الجماعة، وهذه الوسائط قد تكون متخصصة في إحداث التربية؛ كالأسرة، والمدرسة، أو غير متخصصة في عملية التربية ولكنها تسهم في إحداثها كالمؤسسات والمراكز ..، وهذه الوسائط تتفاعل فيما بينها، والإنسان هو محور هذا التفاعل، ذلك أن فعل التربية لا تنفرد به مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع، بل هو عملية موصولة تشارك فيها جميع الدوائر الاجتماعية التي تتمثل في وسائط الثقافة"[(٢)].

ووسائط التربية تعتبر أداة هامة جداً في طريق إصلاح القلوب وتنميتها، وتنقيتها من أمراضها وعللها، فهي مصدر لمعرفة كثير من الحقوق والمسائل المتعلقة بمنهج الإسلام في إصلاح القلوب، وهي كذلك ميادين للممارسة العملية في إصلاحها.

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ، ص١٣١.

(٢) سليمان، عرفات عبد العزيز، ديناميكية التربية في المجتمعات، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٨٥.

المبحث الأول: دور الأسرة في إصلاح القلب:

الأسرة هي الأرضية الخصبة؛ لتنشئة الأجيال وتربية الرجال، وأساس تكوين المجتمع، واللبنة الأولى في بناء كيان الأمة، والنواة الكبرى في تشييد حضارتها، وبنجاح الأسرة تقاس سعادة ونجاح المجتمع، فهي الخلية التي إذا صلحت؛ صلحت الأمة كلها.

والأسرة الصالحة نعمة من نعم الله على عباده، يجد فيها المسلم راحة باله، وهدوء نفسه وقلبه، وأنس فكره وضميره، وطمأنينة خاطره وفؤاده، حيث يجد فيها السكن، والراحة، والمودة، والرحمة في خضم مشاغل الحياة وأعبائها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ النحل: ٨٠، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم: ٢١.

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً كبيراً، وجعلها المحضن الطبيعي للناشئة الصاعدة، والخلية الأولى في المجتمع، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونها إلا أوضحها.

"على أن الأسرة التي ينشدها التشريع الإسلامي هي الأسرة الطيبة، التي تكون نواة المجتمع الطيب الذي يقوم عل أسس قوية من الكتاب والسنة، ويؤسس على الإيمان والحب في الله، والتواد والتراحم، وإخلاص النوايا، وغرس القيم الدينية، وآداب التربية الشرعية التي نص عليها الكتاب، وبينتها السنة"[١].

وهذه الأسرة الإسلامية، التي تسير في منهج حياتها على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ ؛ يكون لها دور بناء في إصلاح قلوب أبنائها، واستقامتها على الخير، وخلوها من الضغائن والأحقاد، وسائر أمراض القلوب المشينة.

---

[١] فرج، سيد، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص٦.

المطلب الأول: تعريف الأسرة :

الأُسْرَةُ في اللغة: " الدِّرْعُ الحصينة ..، وأُسْرَةُ الرجل عشيرته ورهطُه الأَدْنَوْنَ؛ لأَنه يتقوى بهم ... والأُسْرَةُ عشيرة الرجل وأَهل بيته"[١].

"وتعرف الأسرة الإنسانية (Human Family) على أنها جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زوجية مقررة) وأبنائهما.

ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة، إشباع الحاجات العاطفية، وممارسة ما أحله الله من علاقات جنسية، وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم؛ لرعية وتنشئة وتوجيه الأبناء"[٢].

والأسرة في معظم المجتمعات هي الوحدة الاجتماعية التي تتكوّن من زوجين: هما الرجل المرأة، ومن أولادهم، وذوي قرابتهم: من جدين وجدتين، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات وأبنائهم جميعًا .

والأسرة هي أصغر وحدة في النظام الاجتماعي، ويختلف حجمها باختلاف النظم الاقتصادية، ففي بعض المجتمعات تتكون الأسر: من أب أكبر وزوجته، ومعه أولاده وأزواجهم وأولادهم، وهم يقيمون في مسكن مشترك، أو في وحدات سكنية مستقلة ومتقاربة، ولكن معيشتهم مشتركة، وتحت إشراف رئيس العائلة الذي يتولى مسئوليتهم.

والأسرة الصغيرة أصبحت هي النموذج الوحيد للأسرة في المجتمعات الصناعية، وهي تتكون من زوج وزوجة وأبناء لم يبلغوا سن الثامنة عشرة.

فالأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع وهى البناء الاجتماعي السائد على امتداد التاريخ.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة " أسر"، ٤ / ١٩.

[٢] منصور، عبد المجيد سيد؛ والشربيني، زكريا أحمد، الأسرة على مشارف القرن ٢١، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ص١٨.

المطلب الثاني : أهمية الأسرة في إصلاح القلوب:

لقد جاء الإسلام نظاماً كاملاً، ومنهاجاً شاملاً لكل جوانب الحياة، ومن أهم الجوانب التي أولتها شريعة الإسلام اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، الجانب المتعلق بالأسرة، حيث رغَّب دين الإسلام في بناء كيان الأسرة المسلمة، وإقامة صرحها، وتكوين قواعدها، وإشادة أركانها، والحفاظ على جوها الصافي، وظلها الوارف.

وقد أحكم الإسلام صياغة نظام الأسرة المسلمة أحسن أحكام وأدقه، وأتقن تشريعاتها خير إتقان وأكمله، ولقد فصل الله سبحانه وتعالى أحكام الأسرة في كتابه العزيز، وتولت السنة المطهرة بيان نظمها، وتأصيل مقاصدها في نفوس المسلمين.

فكان أن عُني الإسلام أول ما عُني في تكوين الأسرة، بأن شرع الزواج وحث عليه، ورغب في اختيار الزوجة الصالحة؛ ذات الدين؛ والخلق؛ والمنبت الحسن، قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1]، وكذلك المرأة المسلمة تتخير الزوج الصالح أيضاً، لكون الاختيار الصحيح هو أساس ودعامة بناء الأسرة، والحياة الزوجية إذا بنيت على هذا الأساس التربوي الإسلامي فإن الأسرة تسعد ويتحقق لها النجاح، والاستقرار في الحياة .

والأسرة المسلمة التي تروم السعادة، وتبحث عن الاستقرار، تبني حياتها على أسس راسخة، أبرزها رعاية واحترام الحقوق بين الزوجين، والمعاشرة بالمعروف، وفتح آفاق واسعة من المشاعر الفياضة، ليتدفق نبع المحبة وتقوى الرابطة، وهنا يجد الأزواج السكن النفسي، والترابط والتماسك القوي؛ الذي يقيها من التصدّع، والتفكك الأسري.

ثم بعد هذه المرحلة في تكوين الأسرة وهي مرحلة اختيار الزوجين، يهتم الإسلام بتربية الذرية الحاصلة بين هذين الزوجين، ويحملهما مسؤولية الدور العظيم المناط بهما تجاه الأجيال، فيأمر الوالدين بتنشئة أولادهما على الصلاح، والابتعاد عن الفساد، وتحمل مسئولية التربية، فالتربية مسئولية مشتركة بين الآباء والأمهات.

---

[1] صحيح البخاري، ح٤٨٠٢، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ، ١٩٥٨/٥.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ التحريم: ٦، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»(١).

ويرفع الإسلام من قيمة الوالدين، حيث أنهما الركيزتين الأساسيتين اللتين تقوم عليهما الأسرة المسلمة؛ فقرن سبحانه وتعالى أمر وحدانيته، وعدم الإشراك به، بالإحسان إلى الوالدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ النساء: ٣٦، وجعل النبي ﷺ، الجنة تحت أقدام الأمهات، عندما أوصى أحد صحابته ببر أمه فقال له ﷺ : " الْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا "(٢).

فالأسرة المسلمة مملكة إيمانية، الزوج ملكها وربانها، والمسير لدفة شئونها وأمورها؛ بما جعل الله له من قوامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء: ٣٤، والزوجة ملكة متوجة في هذه المملكة؛ لأنها شريكة الرجل في الحياة، لها من الوجبات، وعليها من الحقوق، والرعية بين هذين الملكين الكريمين هم: لب الفؤاد وفلذة الكبد، وهم زهرة الحياة الدنيا، هم الأولاد، الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ الكهف: ٤٦، فإذا ظلل الحياة الزوجية منهج رب البرية وسيد البشرية، عاشت هذه المملكة حياة إيمانية كريمة، وآتت هذه المملكة ثمارها كل صبح وعشية، وكان لها دور في صلاح أوضاع المجتمع؛ لأن المجتمع يتكون من الأسرة، والأسرة تتكون من الأفراد، فالمجتمع الإنساني إنما يكون صالحاً بصلاح الفرد، والأسرة التي يتكون منها.

---

(١) صحيح البخاري، ح٨٥٣، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ٣٠٤/١.

(٢) مسند الأمام أحمد، ح ١٥٥٧٧، ٣ / ٤٢٩، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ح٢٤٨٥.

المطلب الثالث : وظيفة الأسرة في إصلاح القلب:

الأسرة هي الميدان الأول لتربية الإنسان وتنشئته تنشئة صالحة لكل من قلبه، وعقله، وروحه، وجميع جوانب شخصيته، فصلاح الفرد من صلاح الأسرة، وصلاح المجتمع بأسره كذلك من صلاح الأسرة.

وللأسرة المسلمة غايات، وأهداف، ووظائف تنعكس نتائجها على أفراده، ومن تلك الوظائف؛ دورها في تربية الطفل، وإصلاح قلبه، وتزكية نفسه، والتي تتحقق بما يلي:

- الاهتمام بالجانب الإيمان، وغرس أصول العقيدة، ومبادئ الإسلام، وقيمه وتعاليمه، في قلوب الأبناء، " والمحافظة على فطرة الناشئ من الزيغ والضلال؛ لأن الأصل في فطرة الناشئ السلامة والصحة، وأما الانحراف فهو طارئ عليه قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، ومهمة الأسرة حفظ ما فطر عليه الأبناء، والعناية بهم، وتربيتهم التربية الصحيحة"(١).
- تطبيق شرع الله عز وجل في البيت المسلم، وإقامة حدوده، وإلزام أهل البيت بالفرائض والواجبات، وحثهم على الفضائل والمستحبات، " وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية..، وهكذا ينشأ الطفل ويترعرع في بيت أقيم على تقوى من الله ورغبة في إقامة حدود الله، وتحكيم شريعته"(٢).
- الاعتناء بتنمية أعمال القلوب والصفات الحميدة في الأهل والأولاد، كالصدق، والأمانة، والسماحة، والقناعة، والتأني، وأن نعلمهم التواضع والحياء.

(١) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص ٣١١.
(٢) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص١٣٥.

- تطهير البيت من المنكرات، التي تفسد القلوب، بما تبثه من سموم الشبهات والشهوات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦، "وجاء لفظ ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ بالجمع ليشمل الزوجة والولد، وهذه المسئولية تزداد أهمية في أيامنا لأن بعض عناصر الحياة الاجتماعية، خارج الأسرة والمسجد، ليست في كل الأحيان موافقة لهدف التربية الإسلامية، كالمذياع والتلفزيون، وبعض المجلات الخليعة، والقصص الماجنة التي تتسرب إلى أيدي الأطفال، فإذا لم يبق الأبوان يقظين حذرين، لم يستطيعا إنقاذ أبنائهما من احتيال الشياطين، شياطين الإنس والجن"[١].
- القدوة الصالحة من الأبوين في صلاح قلوبهما واستقامتها، تنعكس إيجاباً على صلاح قلوب أولادهما، فعندما يرى الأولاد أبويهما، مستقيمين على طاعة الله ﷻ، ومتحليا بتقواه، وخشيته، وخوفه، ورجاه، والتوكل عليه، والاستعانة به، وفي المقابل بعيدان عن الكبر، والعجب، والتعالي والغرور، والشحناء والبغضاء، والحقد والحسد، يتأثران بهما، وتنعكس هذه الأخلاقيات والسلوكيات على أولادهما.
- ملء فراغ الأولاد بأي عمل نافع في الدين أو الدنيا، وأخطر أنواع الفراغ، الفراغ القلبي من الإيمان، والخوف من الله ومراقبته، وطاعته، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، فيكون هنالك برامج تربوية لهؤلاء الأطفال، تحتوي على مسابقة، أو قصة، أو لعبة مباحة، ويعلمهم فيها شيئاً من الأدب، وشيئاً من الخلق؛ فإن هذا يثمر أشياء عظيمة.

---

[١] النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص١٣٧.

- ترقيق قلوب الأولاد بالترغيب والترهيب؛ بذكر عظمة الله تعالى، وحقه الله عزَّ وجلَّ والتذكير باليوم الآخر، والجزاء والحساب، والجنة والنار، والصراط والميزان، والشفاعة والحوض، والقبر وفتنته وعذابه، والتذكير بالموت والنزع، وكيف تنزع روح المؤمن، وكيف تنزع روح الكافر، وغيرها من المواعظ والرقائق؛ التي تنمي قضية الخشوع والخشية، ويكون لها أثراً حسناً في صلاح القلوب.
- عمل جلسة للأولاد في البيت، يكون فيها التذكرة النافعة، والعظة الرشيدة، والآداب الرفيعة، ويجتمع فيها أفراد الأسرة على مائدة القرآن، فإن ذلك يثمر صلاح القلوب، ويجعل الأولاد ملتزمين بالإسلام ومهتدين به، و يتوجهون للدعوة والعلم؛ وتثبت أقدامهم على طريق الطاعة والهداية.

وفي أحضان الأسرة المتماسكة، الملتزمة بأحكام الله وشرعه، تنمو الخلال الطيبة في قلوب أفراد الأسرة، وتنشأ الخصال الكريمة، ويعيش الصبية الصالحون حيث تفشو المودة، وتنتشر الرحمة في جنبات هذا البيت الكريم، فإذا قام الأبوان بدورهما كاملاً في تنشئة أبنائهما على تشرب روح التعاليم الإسلامية، فإن هذه الخلية ستكون صالحة، وتنبت رجالاً ونساء صالحين، يسهمون في إسعاد أنفسهم، وتقدم مجتمعهم وأمتهم نحو الأفضل.

المبحث الثاني: دور المسجد في إصلاح القلوب:

المساجد هي تلك البيوت التي يشع منها نور الهداية، وهي ملاذ الحائرين، وملجأ الخائفين، وسكينة العارفين، وطمأنينة الخاشعين، ومأوى الصالحين، تتعلق قلوبهم بها، ويأنسون بالجلوس فيها، وتطيب قلوبهم بملازمتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ التوبة: ١٨.

وللمسجد في حياة المسلم أثر جوهريّ، وجانب وأساسي، فالتردد على المسجد عمل تربوي جليل القدر، عميق الأثر، يغرس في النفوس الفضائل، والقيم والآداب، والمساجد بيوتاً للعبادة، ومدارس للعلم، وملتقى للمسلمين ومنطلقاً لهم، فيها يتعارفون ويتآلفون، ومنها يستمدون نور الإيمان، وقوة اليقين.

وتعتبر المساجد من أبرز معالم الإسلام، ومكونات المجتمع الإسلامي، ومن أبرز المؤسسات التي تحفظ للأمة الإسلامية تاريخها الماضي، وتربطه بواقعها الحاضر، و يعتبر وجودها، وعمارتها بالأذان والصلاة، صورة حية للمجتمع الإسلامي، كما يعني فقدها أو فقد عمارتها بعبادة الله تعالى، ابتعاد المجتمع عن الإسلام، وتلاشي مظاهره من واقع حياتهم.

ومن المسجد، من خطبه، وحلقاته، ودروسه، ومواعظه، ورقائقه، تؤخذ العلوم، وتتلقى الأحكام، ويتعلم الناس أمور دنياهم وآخرتهم؛ عبادة ومعاملة، سلوكاً، وأخلاقاً، وكل ما يغذي روح المسلم ويقوي إيمانه، ويصلح قلبه، ويصقل ذهنه، وينير عقله، ويبصره في أمور حياته.

المطلب الأول: تعريف المسجد :

المسجد لغة: "اسم لمكان السجود، وجمعه: مساجد، وهو في التعارف اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة"[(١)].

"ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة؛ لقرب العبد من ربه، اشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد، ولم يقولوا: مركع، ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس، حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه"[(٢)].

والمسجد شرعاً فيطلق على كل موضع من الأرض لقوله ﷺ: « وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ »[(٣)]، وهذا من خصائص هذه الأمة.

والمسجد " موضع السجود، ثم اتسع المعنى إلى البيت المتخذ لاجتماع المسلمين للصلاة التي من أهم أركانها السجود..، أما الجامع فنعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع، وفي الصدر الأول كانوا يطلقون كلمة الجامع على المسجد فيقولون: المسجد الجامع، ويقال للمسجد الذي يصلى فيه الجمعة – وإن كان صغيراً – الجامع لأنه يجمع الناس لوقت معلوم"[(٤)].

---

(١) ابن الجوزي ،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٥٦٧.

(٢) الزركشي، محمد بن عبدالله، أعلام الساجد بأحكام المساجد، مطابع الأهرام، القاهرة، ط٥، ١٤٢٠هـ، ص ٢٧- ٢٨

(٣) صحيح البخاري، ح٣٢٨، كتاب التيمم، ١/١٢٨.

(٤) لوح، محمد بن أحمد، كيف نعيد للمسجد مكانته؟، دار الخضيري، المدينة المنورة، ط بدون، ١٤١٨هـ، ص٥.

المطلب الثاني: أهمية المسجد في إصلاح القلوب:

والمساجد دور عبادة وذكر، وتضرع وخضوع لله جل وعز شأنه، ومواضع تسبيح وابتهال وتذلل بين يدي الله ورغبة فيما عنده من الأجر الكبير ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨، ومقام تهجد، وترتيل لكتاب الله وحفظ له.

ويُعد المسجد من أبرز وأهم المؤسسات التربوية التي ارتبطت بالتربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، نظراً لعددٍ من العوامل التي أدت في مجموعها إلى ذلك الارتباط والتلازم ؛ لاسيما وأن المسجد لم يكن في المجتمع المسلم الأول مجرد مكان لأداء العبادات المختلفة فقط، بل كان أشمل من ذلك؛ إذ كان جامعاً لأداء العبادات من الفرائض والسُنن والنوافل، وجامعةً للتعليم وتخريج الأكفاء من الخلفاء والعلماء والفقهاء والأمراء، ومعهداً لطلب العلم ونشر الدعوة في المجتمع، ومركزاً للقضاء والفتوى، وداراً للشورى وتبادل الآراء، ومنبرً إعلامياً لإذاعة الأخبار وتبليغها، ومنزلاً للضيافة وإيواء الغرباء، ومكاناً لعقد الألوية وانطلاق الجيوش للجهاد في سبيل الله تعالى، ومنتدُى للثقافة ونشر الوعي بين الناس، إلى غير ذلك من الوظائف الاجتماعية المختلفة.

ولعل من أهم ما يُميز رسالة المسجد التربوية في المجتمع المسلم أنه يُعطي التربية الإسلامية هويةً مميزةً لها عن غيرها، وأنه مكانٌ للتعليم والتوعية الشاملة، التي يُفيد منها جميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم، وأعمارهم، وثقافاتهم، وأجناسهم؛ إضافةً إلى فضل التعلم في المسجد ، وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب .

وبذلك يمكن القول إن المسجد في الإسلام يُعد جامعاً وجامعةً، ومركزاً لنشر الوعي في المجتمع، ومكاناً لاجتماع المسلمين، ولم شملهم، وتوحيد صفهم، فهو أفضل مكانٍ، وأطهر بقعةٍ، وأقدس محلٍّ يمكن أن تتم فيه تربية الإنسان المسلم وتنشئته، ليكون بإذن الله تعالى فرداً صالحاً في مجتمعٍ صالحٍ.

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تدل على فضل المسجد، وفضل قصده وارتياده، مما يبين أهمية المسجد وعظيم مكانته في الإسلام، ومن ذلك:

- المساجد أفضل بقاع الأرض، وأحبها إلى الله ﷻ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « أن رجلا سأل النبي ﷺ أي البقاع خير، وأي البقاع شر؟ قال: خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق »[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها »[٢].
- وفي فضل الإتيان إلى المساجد، ، وعن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر »[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح » [٤].
- وفي فضل الجلوس فيها، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة »[٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده "[٦].

---

[١] صحيح ابن حبان،ح١٥٩٩، كتاب الصلاة، باب المساجد، ٤٧٦/٤، قال الأرنؤوط: حديث حسن.
[٢] صحيح مسلم، ح٦٧١، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، ٤٦٤/١.
[٣] المعجم الكبير للطبراني، ح٦١٣٩، ٢٥٣/٦، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب،١ / ٧٧.
[٤] البخاري في صحيحه : باب فضل من غدا إلى مسجد ومن راح ١/ ١٦١ بنحوه
[٥] المعجم الكبير للطبراني، ح٦١٤٣،٦/٢٥٤، قال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب ،١/ ٧٩.
[٦] صحيح مسلم، ح٢٦٩٩،كتاب الذكر، باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٤/٤.

المطلب الثالث: وظيفة المسجد في إصلاح القلب:

المسجد مركز دعوة، ومنبر توجيه، فكم نور قلوباً، وعمر أفئدة، وأزال عنها الأمراض والأدران، وغبش المعاصي، وانتزع منها جذور الزيغ والضلال، وجعل منها بحول الله تعالى وقوته مؤمنةً، تقيةً، نقيةً، مجاهدةً صامدة، قانتة مطيعة، عمرت الأرض بالطاعة والخير، ونشرت الإسلام في آفاق واسعة ونواح عديدة من المعمورة فكان أصحابها قرآناً يمشون على الأرض، ينيرون للناس مناهج الحق، ويهدوهم سبل الرشاد، وكانوا رسل هداية، تغزو القلوب بالإيمان، وتغرس فيها بذور التقوى والصلاح.

ويتضح دور المسجد في إصلاح القلوب من خلال الآتي:

- للعبادات التي تقام في المسجد من صلاة وقراءة للقرآن أثر كبير في صلاح قلب الإنسان، فللصلاة أثر عظيم في تربية أفراد المجتمع على الاستقامة، وإصلاح ما يطرأ على قلوبهم من الفساد، فالصلوات المكتوبة ينادى لها في كل يوم وليلة خمس مرات لتأديتها لله رب العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ النساء: ١٠٣.

وهذه الصلوات تمحى بهن الخطايا، وتكفر بهن الذنوب، فعن أبي هريرةﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا »[1]، ولصلاة الجماعة دور في تحقيق التواد، والتواصل وعدم التقاطع، وبها يحصل التآلف والوئام، والأنس والانسجام، والتعاطف والتلاطف والالتئام، فتصفو القلوب، وتزكو النفوس، ويجتمع الشمل، ويرتئب الصدع، وتنقشع سحب الضغينة، وغيوم الإحن والأحقاد، ويبقى المجتمع نظيفاً من الغل والحسد، طاهراً نقياً من السخيمة والشحناء، تخيم عليه المحبة الواثقة، وتملأ أفئدة أفراده المودة الصادقة، ويطلع المسلم على أحوال أخيه، ويتحسس

---

[1] صحيح البخاري، ح ٥٠٥، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ١٩٧/١.

مواضع حاجته، فيسعفه ويواسيه، ويعرف ما يخالج ضميره من هم وكدر ، فيخفف عنه، ويعالج ما أقلقه من مصائب وغموم .

■ منابر المساجد لها دور في إصلاح القلوب وتنوير العقول، وذلك إذا قام فيها علماء ربانيين، ودعاة مخلصين، وخطباء مفوهين، يأخذون بأزمة القلوب فصاحةً وبياناً، ويمتلكون الألباب ببلاغة، وجزالة كلمات، وروعة أسلوب، وبراعة استهلال، وحسن استشهاد.

وقد كان لرسولنا ﷺ منبر في مسجده الشريف يخطب عليه خطب تذكر بالله وتدعو إلى حبه والتحاب فيه، والسير على شرعه، وابتغاء رضاه، وتدعو إلى كل ما ينير للأمة الإسلامية في كل قرونها المقبلة طريقها، وكل ما يحقق لها الفوز بخيري الدنيا والآخرة .

وهكذا كان لخلفائه الراشدين، وصحابة المهتدين، خطباً على منابر المساجد مرشدين، وموجهين الأمة الإسلامية إلى كل ما يرقق قلوبها، ويوضح لها معالم الحق ويسيرها على المحجة البيضاء؛ التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وسارت على هذا النمط الأجيال المؤمنة، تستخدم منابر المساجد للإرشاد والتوجيه، والإنذار والتحذير، وبيان الأحكام الشرعية، وغرس العقيدة الصحيحة، وعلاج ما في المجتمع من أدواء وعيوب، واستئصال الحقد والحسد، وكل خلق ذميم، والحث على المنهج الصحيح، والسلوك المستقيم، حتى يعيش المجتمع المسلم نقياً صافياً، متواداً متراحماً، متكاتفاً متعاطفا .

■ لحلقات القرآن مدارسةً، وإقراءً، وفهماً، واستنباطاً، في بيوت الله وعلى أصعدتها، فضائل وأثاراً عظيمة مرغب فيها، فهي تغشاها الرحمة، وتخيم عليها السكينة، وتحفها الملائكة الكرام.

ولحلقات تعليم القرآن وتحفيظه في المساجد دور كبير مثمر لصلاح القلوب واستقامتها، فتلاوة القرآن الكريم بالتفكر والتدبر أصل لصلاح القلب، وهدايته وإرشاده، حيث في ذلك بيان المعاني الرائعة التي تؤثر في القلوب تأثيراً بليغاً،

فمواعظ القرآن وحججه تحيي القلوب الغافلة، وتفتح مغاليقها، وتؤثر فيها، وتعالج أمراضها ومشكلاتها في بساطة ويسر، وتربيها وفق منهجه القرآن العظيم بأيسر الأساليب، وذلك من خلال فهم لمكنوناته، وغوص وراء خفاياه، واستنباط لحكمه وأحكامه، ومعانيه وبيانه، وانتفاع بعبره ومواعظه.

- الدروس العلمية في المسجد ميدان رئيس للعلم، ومعين قوي لا ينضب، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم، ويشبع رغباتهم، ويعطيهم قوة علمية وشحنة إيمانية تدفع عنهم الشكوك والأوهام، وتحميهم من أمراض القلوب وسمومها، و يتحقق ذلك بتخصيص الدروس العلمية المتخصصة في موضوعات إصلاح القلوب، والتذكير بما يوقظها ويصلحها من خلال الدروسٍ في العلوم المتعددة، والفنون المختلفة، مما له صله، وعلاقة وثيقة بصلاح القلب.

- الكلمات التي تكون بعد الصلاة مباشرة تكون مؤثرة في القلب، عند ما تكون بكلمة صادقة، ونبرة حانية، وموقف معبر، وتكون الكلمات قصيرة المدة لئلا يسئم الناس، وفي موضوع مختار من صميم ما تجري به الحياة، فينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم، وبما فيه صلاح قلوبهم.

- إقامة محاضرات وعظية وعلمية وتربوية شهرية أو فصلية، فإن للمحاضرات الوعظية أثرها البالغ في النفوس، ولها دور كبير في إصلاح الأفراد والمجتمعات، حيث أنها تلامس شغاف القلوب فتؤثر فيها، لذا فقد كان المربي الأول ﷺ، في تربيته لأصحابه يعظهم بين الفترة والأخرى، قال ابن مسعود رضي الله عنه: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا »(١).

- المجالس الإيمانية في المسجد، "وفي المسجد غذاؤك الروحي، وزادك الإيماني، تتروى بين أروقته علماً زلالا، وتكتسب منه خلقاً حميداً وسمات فريدة، وتجالس فيه أصفياء أوفياء خيرين، وأصدقاء أحماء طاهرين، تستفيد منهم سلوكاً حسناً، ونهجاً

---

(١) صحيح البخاري، ح٦٨، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، ٣٨/١.

مشرفا، يحفزونك للعلم والهدى، ويرشدونك للحق والتقى، ويمنحونك العلم الذي يرفعك الله به درجات، وتزكو به بين أقرانك وأترابك، فهو نعم الأليف، وحبذا الخليل، كبروا همة، وعزوا مكانة، وسموا علا ونهى، وازدادوا تقى وهدى"[(١)] .

- مكتبة للكتب والأشرطة تحوي كتب علمية وإيمانية ومجموعة من المراجع، والكتيبات الصغيرة ، للقراءة والاستعارة، مع الاهتمام بحسن اختيار المكان في مؤخرة المسجد، أو ملحقاته وتكون تحت إشراف باحث متمكن يفيد روادها، وكذلك مكتبة للأشرطة الإسلامية المفيدة بوضع دولاب أو حامل لإعارة الأشرطة من قرآن ومحاضرات تربوية وعلمية يستفيد منها جماعة المسجد .

- اللوحات الإرشادية، والمجلات الحائطية، ففيها من الأثر العظيم لنشر الكلمة الطيبة، والإعلان الهادف، وتكون بشكل جذاب، ولوحة مخصصة لمجلة المسجد الحائطية تتطرق لعدد من المواضيع الإيمانية المنوعة، ولوحة إلكترونية تعرض فيها عبارات دعوية، والتذكير بالأدعية، والأذكار والسنن.

---

(١) الخزيم ،صالح بن ناصر، وظيفة المسجد في المجتمع، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٩هـ، ص٢٤.

المبحث الثالث: دور المدرسة في إصلاح القلب:

تعتبر المدرسة المؤسسة الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية، وتوفير الظروف المناسبة لنمو الإنسان جسمياً، وعقلياً، واجتماعياً، وانفعالياً، وللمدرسة دور فعال في قضايا المجتمع الذي تعيش فيه والأمة التي تنتمي إليها، فهي المؤسسة التي بناها المجتمع من أجل تحقيق أهدافه.

والدور التربوي للمدرسة لا يقل أهمية عن دورها التعليمي؛ وذلك بإكساب الطلاب وتزويدهم بالكثير من المعايير، والقيم، والاتجاهات، مثل: الصدق، والأمانة، وحب الخير والتعاون والانتماء، ولها دور في التنشئة الاجتماعية للطفل حيث يلتقي بمجموعة من الرفاق وكذلك يتعلم الطفل الكثير من المعايير الاجتماعية بشكل منظم، كما يتعلم الحقوق والواجبات وضبط الانفعالات، والتوفيق بين الحاجات الخاصة به وحاجات الآخرين، وكذلك يتعلم التعاون، والانضباط السلوكي، وفي المدرسة يتأثر التلميذ بالمنهج الدراسي بمعناه الواسع علماً وثقافةً، وتنمو شخصيته من كافة جوانبها .

ومن أهم ما ينبغي عل المدرسة الاهتمام به،" العناية بتربية الإيمان بالله وتقواه وخشيته، والحرص على غرس ذلك في نفوس الناشئة، من أهم ما ينبغي أن يكون في أولوياتنا التربوية؛ فالإيمان والتقوى هو العاصم بإذن الله من مواقعة الرذيلة، والانهزام أمام داعي الهوى والشهوة..، وإن من الفوارق الجوهرية التي تميز التربية الإسلامية عن المناهج الأرضية قيامها على أساس إصلاح القلوب وغرس الإيمان، بخلاف تلك المناهج التي تقوم على مبدأ تقويم السلوك – مع ملاحظة أن معايير السلوك المقبول والمرفوض في هذه المناهج معايير بشرية – إذ القلب هو الأساس لكل ما يصدر عن الإنسان من سلوك، كما قال ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، وهب أن المرء استقام سلوك، وقلبه خواء من الإيمان والعبودية لله فلن يجدي ذلك عنه شيئاً"[1].

---

[1] الدويش، محمد بن عبدالله، المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن للنشر، الرياض، ط٤، ١٤٢١هـ، ص١٠٢-١٠٣.

المطلب الأول: تعريف المدرسة:

المدرسة لغة: مأخوذة من الدرس الذي هو "المقدار من العلم يدرس في وقت ما "(١)، وسميت بذلك لأنها موضعه، " المِدْرَسَةُ بفتح الميم موضع الدرس"(٢)، "والمِدْراسُ والمِدْرَسُ الموضع الذي يُدْرَسُ"(٣)، و"المدرسة : مكان الدرس والتعليم"(٤).

ويمكن تعريف المدرسة بأنها: مؤسسة تربوية تعليمية، يتعلم بها التلاميذ الدروس بمختلف العلوم، وتكون الدراسة بها على عدة مراحل، وتنقسم إلى مدارس حكومية ومدارس خاصة.

المطلب الثاني : أهمية المدرسة في إصلاح القلوب:

المدرسة تمثل موقعا أساسيا في حياة الفرد، وتلعب دوراً بارزاً في عملية التوجيه التربوي، وتعتبر المدرسة من أهم وأبرز المؤسسات التربوية التي أنشأها المجتمع للعناية بالتنشئة الاجتماعية لأبنائه، وتربيتهم، وتعليمهم، وتهيئتهم، وإعدادهم للحياة .

تعد المدرسة المؤسسة التربوية المؤثرة بعد الأسرة في حياة الفرد، لأنها تحتوي الطفل مدةً أطول، وتتيح له فرصة أكبر في تكوين وتنمية شخصيته، ويظهر أهمية المدرسة من خلال الوظائف التي تقوم بها، ومن أبرزها:

- تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها، الجسدية، والعقلية، والفكرية، والاجتماعية، والعقائدية، والنفسية.

---

(١) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "درس"، ١/٢٨٠.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير ، مادة " درس " ١ / ١٩٢ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "درس" ٦/٧٩.

(٤) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "درس"، ١/٢٨٠.

- دورها في تبسيط ونقل التُراث المعرفي والثقافي من جيل إلى جيل، أو من المعلمين إلى الطلاب تبعاً لما يتناسب مع استعداداتهم، وقدراتهم المختلفة؛ فينتج عن ذلك جيلٌ متعلمٌ ومُثقف.
- تعمل على استكمال ما كان قد تم البدء فيه من تربيةٍ منزلية للطفل، فتتولى تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعديل السلوك الخاطئ، إضافةً إلى قيامها بمهمة التنسيق، والتنظيم بين مختلف المؤسسات الاجتماعية ذات الأثر التربوي في حياة الفرد، فلا يحدث نوع من التضارب، أو التصادم، أو العشوائية.
- أنها تقوم بدورٍ كبيرٍ في عصرنا الحاضر حينما تكون في معظم الأحيان بديلاً للأُسرة إذ يتشرب الصغار فيها عادات وقيم وأخلاق وسلوكيات مجتمعهم الذي يعيشون فيه
- تعتبر بمثابة مركز الإشعاع المعرفي في البيئة التي توجد فيها؛ إذ إنها تُقدم للمجتمع كله خدماتٍ كثيرة، ومنافع عديدة من خلال نشر الوعي الصحيح عند أبناء المجتمع تجاه مختلف القضايا الفردية أو الجماعية، وكيفية التعامل السليم معها، سواءً كان ذلك بطريقٍ مُباشرٍ أو غير مُباشر.
- تربية الأجيال على السلوك والقيم الاجتماعية، حيث توجه النشء من خلال برامجها ونشاطاتها إلى ضرورة التزام المتعلم بالسلوك السليم، وإتباع القيم الصحيحة والابتعاد، عن الانحراف والشذوذ.
- غرس معاني الأخوة والمحبة والتآلف والتعاون بين الطلاب، من خلال دمجهم في أنشطة تعليمية تتيح للطلبة التفاعل فيما بينهم، كما أن وجود الطلاب مع بعضهم لفترات طويلة في المدرسة يؤدي إلى إيجاد جو من المودة والمحبة.

المطلب الثالث : وظيفة المدرسة في إصلاح القلب:

المدرسة أساس في بناء الفرد، وتكوين شخصيته، وتربيته، وتزويده بالقيم الإسلامية، والمثل العليا، النابعة من الدين الحنيف، وإكسابه معارف ومهارات تساعده في بناء نفسه، من خلال ما تقدمه المدرسة من برامج تعليمية، وأنشطة لا صفية، وإيجاد القدوة الصالحة للمتعلمين من المعلمين .

ويتضح دور المدرسة في إصلاح القلوب من خلال الآتي:

- دور المدرسين الفعال في بناء الأعمال القلبية الفاضلة لدى الطلاب، إذا كان المدرسون أتقياء، وأمناء، وملتزمون بالشرع الحنيف، حيث أن المعلمين هم الركيزة الأساسية في العملية التعليمية والتربوية في المدرسة، والنواة المؤثرة في الطلاب داخل المدرسة وخارجها، و" يدرك الجميع مدى نجاح المدرس في التأثير من خلال فصله الدراسي، وعلى طلبته الجالسين أمامه على مقاعد الدراسة، أما أن تأثيره يمتد خارج أسوار المدرسة فهذا أمر قد لا يدركه الجميع، إن المدرس الناصح المخلص لن يعدم أن يجد واحداً من بين طلبته المئات يحمل أفكاره، ويتحمس لها ربما أكثر منه، وينافح عنها في المجالس والمحافل، فتبلغ كلماته مدى يعجز هو قبل غيره عن قياسه".[(١)]

ولذلك فالمعلم له دور كبير في إصلاح قلوب طلابه عن طريق القدوة الحسنة، فلشخصية المعلم في قاعات الدراسة إسهام في تشكيل شخصيات التلاميذ والتأثير فيها، إذ إن صلاح قلب المعلم واستقامته تنعكس في أسلوب تعامله مع تلاميذه، ومعايشته لهم، وطريقة تهذيبه إياهم، وهذا بدوره يؤثر في قلوب ونفوس الطلاب، ولذا يقول الشافعي[(٢)] رحمه الله موصياً مؤدب أولاد الخليفة الرشيد:

[(١)] الدويش، محمد بن عبدالله، المدرس ومهارات التوجيه، ص١٦.

[(٢)] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب، الامام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه، اتفق مولد الامام بغزة، ومات أبوه شابا، فنشأ يتيما في حجر أمه، ثم تحولت به

"ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه"[١].

وكذلك يؤثر المدرس في صلاح قلوب الطلاب عن طريق توجيههم، وإرشادهم، ووعظهم بما فيه صلاح قلوبهم، وكذلك دور المدرس في التشجيع للطلاب على القراءة، واقتناء الكتب التي تحتوي على موضوعات هادفة، وقيم تربوية إيمانية لها أثر في إصلاح قلوبهم، وتطهيرها.

ولذا فإنه من الضروري انتقاء الأساتذة المستقيمين على شرع الله عز وجل، الذين يقومون بالتدريس بكل دقة، وأمانه، واستشعار للمسئولية، وإدراك للرسالة التي يقومون بها.

- تعد المناهج الدراسية هي عماد العملية التعليمية، وهي الوعاء الذي تقدم من خلاله المعلومة للطالب، وتحتوي على ما يعدل سلوكه، وينمي اتجاهاته الإيجابية، ويساعده في مسيرته التعليمية، وحياته اليومية، فالطالب في الحقيقة عبارة عن نتاج للعملية التعليمية، وينبغي أن يكون من ضمن أهداف المواد الدراسية ما يتصل بتنمية الوازع الديني في نفوس الناشئة، وأن تحتوي المناهج التعليمية والمواد الدراسية، ما يتعلق بتنمية الإيمان في قلوب الطلاب.

و المواد الدينية في المدارس تشكل حجر الزاوية في تنمية أعمال القلوب، والتحذير من أمراضها، بما تقوم به مواد التربية الإسلامية من ترسيخ للعقيدة الإسلامية في قلوب الطلاب، وبما تحتوي عليه الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة التي تربي النفس على القيم الفاضلة، وتحذر من انتهاك المحرمات والوقوع في أمراض القلوب الرديئة من حسد وحقد، وكبر وغرور وغيرها، مما يكون له أثراً

إلى مكة وهو ابن عامين، فنشأ بها، وأقبل على الرمي، حتى فاق فيه الاقران، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدم، ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه. سير أعلام النبلاء (٢ / ١٩).

(١) الأصبهاني، حلية الأولياء، ٩/ ١٤٧.

على سلوك التلميذ، ويجعل منه إنساناً صالحاً ومستقيماً، وكذلك المواد الأخرى تؤدي دورا مهما في مساعدة المواد الدينية على تأصيل هذا الجانب .

- زملاء الدراسة من القرناء الصالحين ديناً وخلقاً وسلوكاً في المدرسة لهم دور بارز، في عملية إصلاح قلب الإنسان من خلال الإقتداء بهم، واكتساب الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة منهم، فإن ذلك ينعكس على الفرد في تكوين سلوكه بالهداية والاستقامة، وكذلك ينبغي البعد عن مخالطة الأشرار؛ لأن طريقهم المعوج وفسادهم يقوده إلي الغواية، والضلال، والانحراف .
- استثمار مختلف الدروس في قاعات الدراسة في أنواع العلوم المتعددة، والفنون المختلفة، بما يوقظ القلوب، ويصلحها بأن يقيم المدرس بتدريسها علاقة بين الموضوع الأساسي وبين ماله صله، وعلاقة وثيقة بما يصلح القلب، فإن لذلك الأثر الحسن في التربية والتوجيه، وجعل الطلاب أكثرُ إقبالاً على الله ﷻ.
- توجيه النشاط المدرسي بحيث يؤدي إلى تنمية السلوكيات الطيبة، وأعمال القلوب الفاضلة، وذلك من خلال الآتي:
  - توزيع النشرات والكتيبات التي تحتوي على جملة من الموضوعات الإيمانية، على الطلاب عند حضورهم للمدرسة .
  - تنظيم محاضرات وندوات وأحاديث حول موضوعات إصلاح القلوب الشخصية يحضرها الطلاب وأولياء الأمور .
  - تنظيم دورات علمية للطلاب في موضوعات أعمال القلوب وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بإصلاح القلوب.
  - عرض أفلام وثائقية عن الطبيعة، والكون والمخلوقات التي تجلي عظمة الله ﷻ، وإبداع خلقه، وجميل صنعه تبارك وتعالى.

المبحث الرابع: دور المجتمع في إصلاح القلب:

يعتبر المجتمع السليم عاملاً أساسياً من عوامل التربية، والتوجيه التربوي السويّ، يساند الأسرة والمدرسة في عملية الإعداد والتوجيه، ويشاطر بقية المؤسسات والجهات المسؤولية في تربية الأفراد.

فالمجتمع بما فيه من أعراف وتقاليد، وثقافة، ومفاهيم، وأسلوب حياة، ولغة، ودين، وقيم يؤثر بشكل قوي على شخصية الفرد، فإذا كانت البيئة الاجتماعية بيئة إسلامية بعقيدتها وآدابها، وسلوكها، وعاداتها، وتعاملها، فإن الإنسان يتشرب من هذه البيئة العقيدة، والسلوك، والآداب، والعادات، والتعامل الجيد، حتى تتطبع نفسه بهذه البيئة، وما يحمله من مقومات الشخصية المسلمة.

وللمجتمع دورا في إصلاح القلوب من خلال تربية الناشئين، وصون فطرتهم الطاهرة من الدنس وارتكاب الأخطاء، حيث إن من واجب الراشدين في المجتمع أن يغرسوا معاني الإيمان في قلوب الناشئين، بشتى الوسائل، وفي مختلف المناسبات، وعليهم أن يلفتوا نظرهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون الدالة على عظمة وقدرة الله عز وجل.

وكذلك يؤثر المجتمع عن طريق الضغط الاجتماعي الواعي المقصود، الذي يؤدي إلى ردع المخطئ والمسيء، وإعادته إلى الحق والصواب، وتعديل سلوكه، وتقويم أخطائه.

ونظراً لما للمجتمع من دور، وأثر في حياة الأفراد، لذا كان من الضروري تنقيح المجتمع وتصحيح تيار الحياة فيه، بصورة دائمة ومستمرة، وذلك في القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمجتمع القائم على المبادئ السليمة، والعقيدة الصحيحة ينشئ الإنسان الملتزم الصالح .

المطلب الأول: تعريف المجتمع :

المجتمع في اللغة من "(جمع) الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء، يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً، والجُمَّاع الأُشابَةُ من قبائلَ شتَّى"[(١)]، "(جمع) جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً ..، وتجمَّع القوم اجتمعوا أَيضاً من ههنا وههنا ..، والمَجْمَع يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه"[(٢)]، و"(المجتمع) موضع الاجتماع، والجماعة من الناس"[(٣)].

ويعرف المجتمع بأنه: " مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد، والمقاييس والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر[(٤)].

المجتمع المسلم "هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة"[(٥)]، فيتميز المجتمع المسلم بأنه " مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه من قبل، واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة "[(٦)].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "جمع" ، ١ / ٤٢٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "جمع" ٥٣/٨.

(٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "جمع"، ١٣٦/١.

(٤) الفرج، عبد الله مبارك، بناء المجتمع الإسلامي، **دار الفرقان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ، ص٨**.

(٥) المصري، محمد أمين، المجتمع الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط٤، ١٤٠٦هـ، ص١٧.

(٦) الفرج، عبد الله مبارك، بناء المجتمع الإسلامي، ص٩-١٠.

المطلب الثاني : أهمية المجتمع في إصلاح القلوب:

للمجتمع أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فـ"الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع؛ أي لا بدله من الاجتماع؛ الذي هو المدينة في اصطلاحهم؛ وهو معنى العمران، وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه..، فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه..، وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء، والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني"[(١)].

والمجتمع المسلم الأول الذي أنشأه النبي ﷺ في المدينة، هو مثال للمجتمعات المنشودة، التي تحققت فيها الحياة المستقرة الطيبة، ونموذج للمجتمع المسلم الذي صلحت قلوب أفراده، ونجد ذلك عند التأمل في حياة الصحابة الكرام وكيف نظفت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وزكت أفئدتهم، وسمت هممهم فكان مجتمع الصفاء والإخاء، والطهارة والنقاء، مجتمع تسوده الرحمة والألفة والمحبة، مجتمع يحب بعضه بعضاً، ويفدي بعضها بعضاً، مجتمع ترك الدنيا وزينتها، وطلب ما عند الله تعالى، مجتمع يحب لله، ويبغض لله، قال الله تعالى عنهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ الفتح: ٢٩.

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢١هـ، ١ / ٥٤.

وتظهر أهمية المجتمع التربوية من خلال (مسؤولية المجتمع الإسلامي عن تربية أبنائه في أمور وأساليب تعتبر من أفضل أساليب التربية الاجتماعية أهمها:

١- أن الله ﷻ جعله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠

٢- اعتبار الناشئين أبناء أو أبناء إخوة للراشدين، وقد شعر المسلمون منذ فجر الإسلام بهذه المسئولية المشتركة عن تعليم الناشئين.

٣- التأديب بسخط المجتمع وتعنيفه للمسيء، فقد اتخذ رسول الله ﷺ المجتمع وسيلة لتأديب الرجل يؤذي جاره..، وفي هذا دليل على أن النقد الاجتماعي اللاذع من أساليب التربية الاجتماعية في الإسلام.

٤- التأديب بالحرمان الاجتماعي أو الهجر والمقاطعة، اتخذ الرسول ﷺ المجتمع وسيلة لتأديب من تخلف عن الحرب، فأمر الصحابة بمقاطعة الثلاثة الذين تخلفوا عن تقديم أنفسهم للجندية، حين أعلن النفير العام، فكانت هذه التربية بواسطة الضغط الجماعي الواعي المقصود من أبلغ الوسائل وأشدها تأثيراً في النفوس.

٥- التربية الاجتماعية بالتعاون، تقوم التربية الإسلامية على اعتبار المجتمع المسلم كياناً واحداً فقد شبه رسول الله ﷺ هذا المجتمع بالجسد..، ومما يحقق معنى التعاون في التربية الاجتماعية الإسلامية، قضاء حاجات الناس، والتفريج عنهم، وستر عيوبهم، ونصحهم على انفراد، إن كانت من العيوب التي يمكن تركها)[1].

---

[1] النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص١٧٧.

المطلب الثالث : وظيفة المجتمع في إصلاح القلب :

العملية التربوية مستمرة مع الإنسان منذ أن يولد وحتى يموت؛ وتتم من خلال وسائط تربوية اجتماعية متعددة تتولى مهمة تربية الإنسان، وتكيفه مع مجتمعه، وتنمية وعيه الإيجابي، وإعداده للحياة، وتُساعد الإنسان على النمو الشامل لمختلف جوانب شخصيته، وتؤثر فيه سواءً كان ذلك التأثير بطريقةٍ مُباشرةٍ أو غير مباشرة.

ومن أبرز هذه الوسائط التربوية في المجتمع، التي تؤثر فيه، ولها دور إيجابي في صلاح قلبه، إذا وجهت التوجيه السليم الهادف: جماعة الرفاق، والأندية، ووسائل الإعلام، والمكتبات ومراكز التثقيف المختلفة، **ويتضح دورها في إصلاح القلوب من خلال الآتي :**

- جماعات الرفاق أو جماعة الأقران الذين يمثلون الأصدقاء للإنسان، تعتبر أحد الأوساط الاجتماعية التربوية التي لها تأثيرٌ كبير في حياة الإنسان، وأثرٌ فاعلٌ في تربيته وتكوين شخصيته، وتلعب دورا هاما في تربية النشء وفي إكسابه كثير من الأنماط السلوكية والمعارف والاتجاهات ولمهارات والقيم والتقاليد والعادات وعادة ما يكون تأثير هذه الجماعة غير مقصود أو غير مباشر للفرد .

ويظهر آثار جماعة الرفاق في عملية إصلاح قلب الإنسان من خلال صلاح هذا الوسيط باختيار الرفاق الأخيار الصالحين دينا وخلقا وسلوكا حتى يقتدي الإنسان بهم ويكتسب منهم الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة، وينعكس عليه في تكوين سلوكه بالهداية والاستقامة، وأن يتجنب مخالطة الأشرار لأن طريقهم المعوج وفسادهم يقوده إلي الغواية والضلال والانحراف .

كما أن جماعة الرفاق تعتبر أداة فعالة في إصلاح قلب الإنسان، وضبط سلوك الفرد في المواقف المختلفة ، لأنه حتى يشعر كل فرد فيها بالتقبل ينبغي أن يخضع للمعايير التي يسيرون عليها، فإذا كانوا صالحين مستقيمين فإنهم ينصحونه، ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، ويزجرونه عن كل ما يفسد قلبه ودينه، فجماعة الرفق تمارس درجة من الضبط للإنسان.

وقد اهتمت التربية الإسلامية بجماعات الرفاق وأدركت أهميتها ودورها الفاعل في التأثير على سلوك الأفراد سواء كان ذلك التأثير سلبيًّا أو ايجابيًّا ؛ عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « مثلُ الجليس الصالح والسَّوءِ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبَةً، ونافخُ الكِيرِ إمَّا أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثةً »[١]، وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ »[٢].

- أماكن العمل سواءً كانت رسمية أو تطوعية تُعد مؤسسات اجتماعية ذات تأثير هام على تربية الإنسان بعامة، نظراً لما يترتب على وجوده فيها من احتكاك بالآخرين؛ إضافةً إلى أنه يقضي فيها جزءاً ليس باليسير من وقته، مما يكون له دور في صلاح حاله، واستقامة قلبه إذا كان الوسط المحيط به من زملاء العمل أناس صالحين مستقيمين.
- النوادي أو الأندية وهي مؤسسات اجتماعية تربوية تكون في الغالب (ثقافيةً ، أو رياضيةً ، أو اجتماعية) كثُر انتشارها في المجتمعات المعاصرة، وتُعد أماكن يلتقي فيها الإنسان مع فئة من الناس الذين يجمعهم هدف مشترك حيث إنها تقدم إمكانات هائلة لحياة اجتماعية يقبل عليها الأفراد باختيارهم وطواعيتهم ، ليتمتعوا في رفقة زملائهم وأقرانهم بجو من المرح والعمل .

وللنوادي (الأندية) آثار هامة في بناء شخصية الإنسان، وتحديد اتجاهاته، وتكوين ثقافته وفكره، وشغل أوقات الفراغ عند الإنسان بما يعود عليه بالنفع والفائدة .

وليس هناك من شك في أن التربية الإسلامية تعنى بالنوادي على اختلاف أنواعها لكونها مؤسسات اجتماعية تربوية لها أثر بارز ودور فاعل في تربية الإنسان المسلم

---

[١] صحيح البخاري، ح٥٢١٤، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٢١٠٤/٥.

[٢] مسند الأمام أحمد، ح ٨٠١٥، ٣٠٣/٢، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة، ح٩٢٧.

وإصلاح قلبه وتحديد معالم شخصيته ؛ إذا تم توجيه أنشطتها و فعالياتها التوجيه الصحيح المنضبط الذي يتلاءم ويتوافق مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ولا يتعارض مع تعاليمه وتوجيهاته في مختلف المجالات والميادين الحياتية

- وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها سواء كانت مرئيةً، أو مسموعةً ، أو مقروءة، من أهم وأبرز الوسائط التربوية في عصرنا الحاضر، وأكثرها تأثيراً على تربية وثقافة ووعي الإنسان ؛ حيث تُقدم برامج مختلفة وثقافات متنوعة من خلال وسائلها الجماهيرية المختلفة التي منها: الإذاعة، والتلفزيون، والفيديو، والصحافة، وشبكة الإنترنت، وأشرطة التسجيل السمعية، وغيرها من الوسائل الأُخرى التي تُخاطب جميع الفئات، ومختلف الأعمار، وتدخل كل بيت ، وتصل إلى كل مكان.

وللفضائيات، والإذاعات، وبقية وسائل الإعلام أثر كبير في التربية، وتشكيل شخصيات الناس، بسبب الانتشار الكبير لهذه الوسائل، وقوة الإقبال عليها؛ وتكون الإذاعات والفضائيات وسيلة لإصلاح القلوب، من خلال ، إيجاد المادة الإعلامية والمشاهد تربوية تبني القلوب وتصلحها، وتعالج أمراضها، والمشاهد الإيجابية التي تغرس وتعزيز القيم الإيجابية، مثل: التواضع، والصدق، والأمانة، وحب الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولشبكة الإنترنت، أثر بالغ في حياة كثير من الناس، وتأثيراً على ثقافاتهم، وأفكارهم، ومجريات حياتهم، ويكون لها دور كبير في عملية إصلاح القلب، وتنميته وعلاج أمراضه، وذلك إذا أحسن استخدام هذه الوسيلة بنشر من المواد التي يكون لها دور في صلاح القلب ونمائه.

- المكتبات العامة : التي تتوافر فيها الكُتب، والمراجع، تُقدِّم عدداً من الخدمات التعليمية، والتثقيفية، والإعلامية، والتوعوية اللازمة لأفراد المجتمع، ويأتي دور المكتبة في إصلاح القلوب من خلال توفير الكتب التي هي من أهم وسائل الثقافة والمعرفة، وهي من أهم وسائل التربية، والتأثير، التي تشكل اتجاهات الناس، وتأثر في سلوكهم، فلها أثر في حياة الأفراد، والمجتمعات، والنهوض بالأمم، فالكتاب وسيلة

تربوية فعالة تعمل عملها في عقل وقلب وفكر القارئ، ومن ثم تظهر على سلوكه، وتصرفاته، ونظرته للحياة، وللكتب أهمية في صلاح القلوب، حيث أنها تحتوي على العلم والمعرفة بأحكام أعمال القلوب، وأمراضها وآفاتها، وسبل علاجها، وطرق تزكيتها، والمواعظ والرقائق، التي تطهر القلب من أمراضه، وتنمي أعماله الفاضلة، وهذا العلم محفوظ في الكتب التي اهتمت بذلك، وقامت ببحث تلك المسائل ودراساتها، فالكتب تعتبر آلة العلم الرئيسة، التي تكتسب منها تلك العلوم، ومن ثم تطبيق تلك المسائل على أرض الواقع.

- وتمكين الباحثين والدارسين من القيام بمهمة البحث والدراسة بأنفسهم، وتيسير سبل الاطلاع على تلك الكتب من خلال نظام الإعارة الخارجية للراغبين في ذلك من روادها أو غيرهم من أفراد المجتمع ، وكذلك من خلال العديد من المناشط والإسهامات التي تقوم بها من تنظيم المسابقات الثقافية، وعقد الدورات التدريبية، وإقامة المحاضرات والندوات المتنوعة، التي تتناول القلب وأعماله وأمراضه وطرق إصلاحه بالدراسة بطريقة مباشرة، أو ما يكون فيها أثر في علاج القلب وتنمية أعماله، من مسائل العقيدة، والأخلاق، والرقائق، والتفكر في آيات الله ﷻ ومخلوقاته، وقضايا الإعجاز العلمي المؤصل، مع إبراز ماله أثر في صلاح القلب.

إن للمؤسسات التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أهميةً بالغةً؛ وأثراً بارزاً في العملية التربوية بعامة والتعليمية بخاصة ؛ الأمر الذي يفرض على المهتمين في الميدان التربوي والتعليمي مزيداً من العناية والاهتمام بها ، والحرص على أن تكون مُتميزةً في المجتمع المسلم، ومُختلفةً عن مثيلاتها في المجتمعات الأُخرى ؛ نظراً لكون المجتمع المسلم ينفرد عن غيره من المجتمعات الأُخرى بمصادره، وأهدافه، وغاياته، وخصائصه التي تفرض على مؤسساته التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أن تكون فريدةً هي الأُخرى، ومُتميزةً ، وقادرةً على تحقيق ما هو مرجوٌّ منها، لأنها هي المسؤولية عن تربية الإنسان المسلم، وإعداده لممارسة أدواره ووظائفه الاجتماعية المختلفة في الحياة.

الفصل السادس

الآثار التربوية لإصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية

وفيه تمهيد، وستة مباحث :

- تمهيد : تعريف الشخصية وجوانبها.
- المبحث الأول : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الإيماني.
- المبحث الثاني : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب العقلي.
- المبحث الثالث : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب النفسي.
- المبحث الرابع : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الأخلاقي.
- المبحث الخامس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الاجتماعي.
- المبحث السادس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الجسمي.

الفصل السادس

الآثار التربوية لإصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية

إن لصلاح القلب واستنارته بالإيمان، واستقامته على دين الإسلام، أثار طيبة مباركة تعود على الشخصية الإنسانية، في كافة جوانبها ومكوناتها؛ ففي صلاح القلب صلاح لكافة الجسد، ولكل جوانب الحياة، "لأنه مبدأ الحركات البدنية، والإرادات النفسانية، فإن صدرت عنه إرادة صالحة، تحرك البدن حركة صالحة، أو فاسدة ففاسدة، فهو ملك، والأعضاء رعية"(١)، و" جميع الحواس والأعضاء أجناد مسخرة للقلب، وكذلك الحواس الباطنة في حكم الخدم والأعوان، وهو المتصرف فيها والمتردد لها، وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب، لا تستطيع له خلافا، ولا عليه تمردا، فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم به تكلم، وكذا سائر الأعضاء "(٢).

كما قال ﷺ: "أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ"(٣).

---

(١) المناوي ، زين الدين عبد الرؤوف، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١/ ٥١٠.

(٢) الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٤ ،١٣٧٩هـ، ٤/ ١٧٣.

(٣) صحيح البخاري، ح٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ١/ ٢٨.

ف"ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها، وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته، وصلحت جميع الجوارح فتنبعث إلى طاعة الله واجتناب سخطه فقنعت بالحلال عن الحرام، وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها وانبعث في معاصي الله عز وجل، وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال؛ بل أسرعت في الحرام، بحسب هوى القلب وميله عن الحق، فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليما عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه، ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته، ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك، وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه.

والقلب الفاسد : هو القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلة، والشهوات المحرمة ، وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن إتباع هوى النفس؛ فالقلب ملك الجوارح وسلطانها، والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة لأمره، فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المنقادة لأوامره، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له، المنقادة لأوامره و نواهيه"[١].

فيجب على الإنسان أن يهتم بقلبه، لأن مدار الصلاح والفساد عليه، فإذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد، وإصلاحه بالتالي يؤثر تأثيراً كاملاً وشاملاً لكل ما يلزم بناءة من نواحي وجوانب الشخصية: كالجانب الإيماني، والعقلي، والنفسي، والأخلاقي، والاجتماعي، والجسمي.

---

[١] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، فتح الباري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ، ١/ ٢٠٨.

تمهيد: تعريف الشخصية وجوانبها:

أولاً: تعريف الشخصية:

الشخصية لغة: هي اشتقاق من كلمة الشخوص بمعنى الظهور، والشخص هو كل جسم له ارتفاع، " (شخص) الشين والخاء والصاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء، من ذلك الشّخص، وهو سوادُ الإنسان إذا سَما لكَ مِن بُعد"[(١)].

و" (الشخص) كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان و(عند الفلاسفة) الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها، ومنه (الشخص الأخلاقي) وهو من توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني ...، (الشخصية) صفات تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل"[(٢)].

تعريف الشخصية عند علماء النفس والتربية:

لا يوجد تعريف واحد مُتفق عليه بين علماء النفس للشخصية حيث يوجد الكثير من التعريفات والعديد من المدارس والنظريات في تعريفها، وهذه النظريات وتلك المدارس تنطلق في تعريفها للشخصية من ثوابت مختلفة، "وقد أورد جوردون ألبورت)[٣] في كتابه (الشخصية) الذي نشره عام ١٩٣٧، ما يقرب من خمسين تعريف أو معنى مختلفاً للشخصية"[(٤)] في مجالات مختلفة.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "شخص" ، ٣ / ١٩٧.

(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "شخص"، ١ / ٤٧٥.

٣ ألبورت، جوردون، عالم نفساني أمريكي، اشتهر ببحوثه في شخصية الإنسان، وبسلسلة من الكتب، والمقالات المنشورة ولد جوردون ويلارد ألبورت في مونتيزوما، بولاية إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية. وتخرج في جامعة هارفارد عام ١٩١٩م، وحصل منها على درجة دكتوراه في الفلسفة عام ١٩٢٢م. ومن عام ١٩٣٠م حتى وفاته، كان ألبورت يدرس علم النفس في جامعة هارفارد.

(٤) غنيم، سيد محمد، الشخصية، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٤.

ومن التعريفات للشخصية:

- عرف جوردون ألبورت الشخصية بأنها " التنظيم الديناميكي الذي يكمن بداخل الفرد، والذي ينظم كل الأجهزة النفسية؛ التي تملي على الفرد طابعه الخاص في التكيف مع البيئة"(١).
- وقيل: إنها " الكمية الكلية من الاستعدادات، والميول والغرائز، والدوافع، والقوي البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات، والميول المكتسبة من الخبرة"[٢].
- وبعضهم يرى بأنها "بنية دينامية داخلية، تنتظم فيها جميع الأجهزة العضوية، والنفسية بحيث تحدد ما يميز أو يمتاز به الفرد من سلوك وأفكار"[٣].
- "الشخصية نمط سلوكي مركب، ثابت ودائم إلى حد كبير، يميز الفرد عن غيره من الناس، ويتكون من تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف، والسمات، والأجهزة المتفاعلة معا، والتي تضم القدرات العقلية، والوجدان أو الانفعال، والنزوع أو الإرادة، وتركيب الجسم، والوظائف الفيزيولوجية، والتي تحدد طريقة الفرد الخاصة في الاستجابة، وأسلوبه الفريد في التوافق للبيئة"[٤].
- وهي عند علماء النفس والتربية: " النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية، والوجدانية، والنزوعية، والإدراكية، التي تحدد ذاتية الفرد، وتميزه عن غيره من الأفراد"[٥].

---

[١] سفيان، نبيل صالح، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص١٩.

[٢] سفيان، نبيل صالح، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، ص١٨.

[٣] جورج، نوما خوري، الشخصية مقوماتها وسلوكها وعلاقتها بالتعلم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ص٢١.

[٤] عبد الخالق، أحمد محمد، قياس الشخصية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت ط١، ١٩٩٦م، ص٦٤.

[٥] فرغل، يحي هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٧.

- وهي أيضاً " حاصل جمع كل الاستعدادات، والميول، والغرائز، والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة، وكذلك الصفات، والاستعدادات، والميول، المكتسبة من الخبرة"(١).
- وهي كذلك " النظام الكامل من الميول، والاستعدادات الجسمية، والعقلية، الثابتة نسبياً، التي تعتبر مميزاً خاصا للفرد، وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية "[٢].
- ومن أقرب التعاريف ما عرفت به الشخصية الإسلامية بأنها: " مجموعة الصفات الاعتقادية، والروحية، والأخلاقية والاجتماعية، والإرادية، والصحية، والعقلية، والعلمية، والإبداعية، والجهادية، والسياسية والاقتصادية، وذلك حسب تصور الإسلام لهذه الجوانب"[٣].

ويمكن القول بأن معنى الشخصية لا يقتصر على المظهر الخارجي للفرد، ولا على الصفات النفسية الداخلية، أو التصرفات والسلوكيات المتنوعة التي يقوم بها، وإنما هي نظام متكامل من هذه الأمور مجتمعة مع بعضها، ويؤثر بعضها في بعض، مما يعطي طابعاً محدداً لكيان الشخص.

وهذه الجوانب من الشخصية تحتاج إلى بناء وتنمية مستمرة، "ونعني بتنمية الشخصية هنا: السير نحو الأحسن والأكمل بمختلف أبعاد الإنسان: الروحية، والعقلية، والنفسية، والجسمية، على الصعيد الفردي الذاتي، وعلى صعيد العلاقات مع الآخرين"[٤].

---

[١] فرغل، يحي هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، ص٧.

[٢] المرجع السابق، ص٧.

[٣] يالجن، مقداد، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص٢٦.

[٤] بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٤/١٥٨.

ثانياً: جوانب أساسية في تكوين الشخصية :

"والتربية الإسلامية تكوين شخصية إسلامية من النواحي الصحية، والعقلية، والاعتقادية والأخلاقية، والروحية، والإدارية، والإبداعية، عن طريق تنمية تلك الجوانب الأساسية الطبيعية أو الفطرية، في ضوء المبادئ، والأسس، والأساليب، والطرق، التربوية الإسلامية"[١].

"وقد حدد بعضهم أبعاد الشخصية بالأبعاد أو الجوانب الآتية:

- الجانب الجسدي.
- الجانب العقلي، أو البعد العقلي.
- الجانب الوجداني، أو البعد الانفعالي.
- الجانب أو البعد الروحي.
- الجانب أو البعد الاجتماعي.
- الجانب أو البعد الأخلاقي.
- الجانب أو البعد الجمالي."[٢].

"وجوانب التربية الإسلامية جزء هام من التربية لأنها هي التي تمثل شخصية التربية الإسلامية من أبعادها المختلفة: من الناحية العقلية، والاعتقادية، والأخلاقية، والاجتماعية والصحية، والإبداعية، في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة الجوانب، وإنما حصرنا جوانب التربية الإسلامية في تلك الجوانب الأساسية؛ لأن التربية أساساً تنمية الجوانب الأساسية في الطبيعة الإنسانية نحو الكمال"[٣].

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٦.

(٢) يالجن، مقداد، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية ، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص٢٥.

(٣) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٦.

و"للشخصية جوانبها الفطرية والمكتسبة التي تتركب على النحو التالي:

أولاً: الجانب الجسدي.

ثانياً: الجانب الوجداني.

ثالثاً: الجانب العقلي.

رابعاً: الجانب (النزوعي) أو الإرادي.

خامساً: جانب التعامل مع البيئة المادية.

سادساً: جانب التعامل مع البيئة الاجتماعية."[(١)].

كل هذه المكونات أو أغلبها يمتزج ليكون شخصية الإنسان الطبيعية، "والشخصية الإنسانية إنما هي محصلة أو نتاج للتربية الروحية، والعقلية، والوجدانية، والأخلاقية والاجتماعية، والجسدية، التي تتم على نحو سوي ومتكامل ورشيد"[(٢)].

وصلاح القلب واستقامته يؤثر تأثيراً كبيراً على الشخصية الإنسانية، وعلى كافة جوانبها، ومن تلك الجوانب التي لصلاح القلب أثر في بناءها وتنميتها: الجانب الإيماني، والعقلي، والنفسي، والأخلاقي، والاجتماعي، والجسمي.

[(١)] فرغل، يحي هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، ص٧.

[(٢)] الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٨٣٢.

المبحث الأول : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الإيمـانـي :

تهتم التربية الإسلامية بالكيان الإنساني كله، وتجعل من التربية الإيمانية أساسها الأول، ومنطلقها الرئيس في بناء شخصية الإنسان المسلم، حيث أن الجانب الإيماني من أهم الجوانب، الذي يؤثر فيها تأثيراً كبيراً، يمتد إلى كافة الجوانب الأخرى لها، فيجعلها شخصية ميالة للخير، ملتزمة في السلوك مطمئنة، ومتفائلة، تقبل على الحياة بروح إيجابية وعزيمة متوقدة، لا يعجزها العقبات والعراقيل؛ لدوام صلتها بالله عز وجل.

والإيمان يقوم على أركان ستة، هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذه الأركان هي أصول الدين، وتمثل بمجموعها للإنسان المؤمن وحدة عقائدية متكاملة، لا تقبل التجزئة؛ فالكفر بواحد منها كفر بها جميعاً.

ويعد والإيمان هو الركيزة الأولى في بناء شخصية الإنسان المسلم، وتكاملها واتزانها لبلوغ الكمال الإنساني، وهو الأساس في علاقة المكلف بالكون، وبالناس، والكائنات من حوله، ويعد أعظم قوة وجدانية في الكيان الإنساني، تؤثر في كل جوانب نشاطه الظاهر والباطن، وهو في الحقيقة أعظم وظيفة يقوم بها المكلَّف في حياته.

ولصلاح قلب الإنسان، أثر كبير وبالغ في حقيقة الإيمان، حيث يجعل المؤمن دائماً مرتبط بربه في كل حال، وفي كل مقال ومآل، ويكبح النفس عن جماح شهواتها المحرمة، فالإيمان نور وضاء، إذا حل في القلب الصالح، تظهر آثاره وأنواره على الواقع.

المطلب الأول: تعريف الجانب الإيماني:

الإيمان في اللغة: يأتي بمعنى التصديق والإقرار، والأمن، " (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق.. "[(1)]، والإيمان فيه معنى زائد عن مجرد التصديق فحسب، " الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"[(2)].

وذكر الإيمان في القرآن والسنة في مواضع كثيرة، وقد بينت النصوص المراد بلفظ الإيمان بياناً واضحاً، وتنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، بأنه (قول، وعمل)، أو (قول، وعمل، ونية)، أو (قول، وعمل، ونية، وإتباع السنة)، وكلها تؤدي إلى معنى وحد حيث يتضمن تعريف السلف للإيمان: القول والعمل، الباطن والظاهر.

" وخلاصة القول أن الإيمان: هو ما وقر في القلب، وصدقه اللسان والعمل، وبدت ثمراته واضحة في الجوارح؛ بامتثال أوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه"[(3)].

فالإيمان قول وعمل، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وهذه الأربعة يتكون منها الإيمان، فهو يتكون من: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، وهذه الأربعة تمثل حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

والجانب الإيماني من الشخصية "يشمل جوانب الصلة بالله عز وجل وتحقيق التقوى والإيمان"(٤)، وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفس المتربِّي، لتكون إيماناً راسخاً، وسلوك سوياً، وممارسة واقعية في الحياة.

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: " أمن " ، ١ / ١٣٣.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧ / ٦٣٨.

(3) الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة،١/١٩.

(4) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٣٥.

المطلب الثاني: أهمية الجانب الإيماني:

- الجانب الإيماني قضية أساسية في حياة الإنسان المسلم، حيث أن الإيمان أفضل الأعمال، ومناط النجاة يوم القيامة: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور"[١]. وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال"[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا "[٣].

- "الإيمان هو الأساس والأصل في التربية الإسلامية، وسائر الأمور إنما هي فروع وثمرات لهذا الأصل العظيم، فالسلوك والعلم الشرعي والجهاد والدعوة والكف عن الحرمات إنما هو ثمرة ونتيجة من نتائج تحقق الإيمان، وحين نعنى بتربية الإيمان في النفوس، ويأخذ الجانب الإيماني نصيبه وحظه نختصر خطوات عدة، ونوفر الجهد في ميدان ومجال واحد"[٤].

- تنمية الجانب الإيماني تجعل الشخصية ذات دقة وقوة وحركة دائبة، وكفاءة عالية، لأن الإيمان في قلب المسلم يعتبر مصدر الدفع، والمحرك الدائم لكل الأعمال الصالحة، فالإيمان يجعل من الإنسان نموذج صالحا وفعالاً، في المجتمع المسلم الكبير.

---

[١] صحيح البخاري، ح٢٦، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، ١٨/١.

[٢] صحيح مسلم، ح١٨٨٥،كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، ١٥٠١/٣.

[٣] صحيح مسلم، ح ٥٤،كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ٧٤/١.

[٤] الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص٣٩.

- تنمية الجانب الإيماني يحقق السعادة، والاستقرار الداخلي، والأمن النفسي للإنسان، وبالإيمان تحقق المشاعر الطيبة، ويكون التوجيه الصحيح لها، ويسلم الإنسان من المشكلات، والضغوط المختلفة؛ التي يتعرض لها في حياته، خاصة في هذا العصر.

- تنمية الجانب الإيماني من أهم وسائل الثبات على الدين، ولزوم الحق عند الهرج والمرج، واختلاط الأمور، وتكالب الفتن وانتشارها، وكثرة المتساقطين في الطريق، وحين تنتشر الفتن وتدلهمّ المصائب، فإنه لا يثبت على قدم الحق والتحقيق إلا من نوّر الله له بصيرته، وتعلّق قلبه بخالقه.

- تنمية الجانب الإيماني مهمة لشخصية المسلم حتى تحميه من الانحرافات السلوكية ، والوقوع في المعاصي والمحرمات، وزاد للمرء في مواجهة الشهوات فـ"قوة الإيمان هي أعظم حاجز بين المرء وبين مواقعة الحرام والمعاصي، قال تعالى عن الشيطان: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ **النحل: ٩٩**. وقال ﷺ:«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» فالذي يحول بينه وبين الوقوع في هذه المعاصي وغيرها هو الإيمان"[١].

- التركز على التربية الإيمانية، والعمل على غرسها في النفوس؛ يؤدي إلى تنمية جوانب الشخصية، فتثمر شخصية إيمانية؛ تعمل على تحقيق الغاية التي خلقت من أجلها، فالإيمان شيء يسيطر على الحياة، من كل أجزائها، ويملكها من كل جوانبها، فالقيم والمبادئ التي يتربى عليها الناس هي في الحقيقة أشياء يعقد عليها الإنسان حياته وتفكيره.

---

(١) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص٣٩.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب الإيماني:

لصلاح قلب الإنسان واستقامته، أثر كبير وبالغ في حقيقة الإيمان، حيث أن الإيمان المطلوب شرعاً يشمل الظاهر والباطن من الإنسان، ففي الباطن يكون التصديق القلبي، وفي الظاهر يكون تصديق الجوارح، من خلال العمل الصالح، والأخلاق والسلوكيات الطيبة، فهنالك تلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح؛ لأن الأعمال والأقوال الظاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفك عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢ - ٤.

وقال النبي ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه"[(١)]، "والقلب المؤمن صالح؛ فعلم أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمناً، ..، وذلك أن الجسد تابع للقلب؛ فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه"[(٢)].

ويظهر أثر صلاح القلب واستقامته على حقيقة الإيمان من خلال الآتي:

أولاً: إن قول القلب وعمله، يعتبر من أعظم الأمور قدراً وشأناً؛ حيث أن ذلك يمثل أصل الإيمان، فقول القلب: وهو الإقرار والاعتقاد الجازم بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ومعرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، هذا النوع واجب على كل من دخل دائرة الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وعمل القلب يشمل كل ما جاء في الكتاب والسنة؛ من الأعمال الإيمانية القلبية، التي يظهر أثرها على الجوارح، من نيته، وتسليمه، وإخلاصه،

---

(١) مسند الأمام أحمد،ح ١٣٠٧١، ٣/١٩٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٦/٨٢٢.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٤/ ١٢١.

وإذعانه، وخضوعه، وانقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه، ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، .. ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها جزءاً من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ « ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»"[(١)].

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله: "حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء"[(٢)].

ثانياً: أن القلب إذا صلح واستقام ووقر فيه الإيمان، فإن لوازم الإيمان من الأعمال والأقوال الظاهرة التي لا تنفك عنه، تظهر ثمراتها واضحة على الجوارح؛ بامتثال أوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧ / ١٨٦.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصلاة وحكم تركها، دار ابن حزم، بيروت،ط١، ١٤١٦هـ، ص٧١.

الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة ﷺ: إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) "[١].

وقال – أيضاً – ﷺ: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملاً، وجود هذا كاملاً؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع"[٢].

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي ﷺ:

(إن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه إتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، مبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك؛ فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم .. .، فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهية معصيته ... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/ ٦٤٤.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/ ٥٨٢.

حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب .. .

ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله؛ فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح الجوارح؛ فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة الله ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله"[١].

وقال العلامة المحقق أبو إسحاق الشاطبي[٢] رحمه الله:

"ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن؛ فإن كان الظاهر منخرماً؛ حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً؛ حكم على الباطن بذلك أيضاً، وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبيات؛ بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً، والأدلة على صحته كثيرة جداً، وكفى بذلك عمدة أنه الحاكم بإيمان المؤمن، وكفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيان العاصي، وعدالة العدل، وجرحة المجرح، وبذلك تنعقد العقود وترتبط المواثيق، إلى غير ذلك من الأمور؛ بل هو كلية التشريع، وعمدة التكليف بالنسبة إلى إقامة حدود الشعائر الإسلامية الخاصة والعامة"[٣].

---

[١] ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، ص٢١٠.

[٢] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه ، الاعتصام، توفي عام ٧٩٠ هـ، الأعلام للزركلي (١ / ٧٥).

[٣] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور حسن السلمان، دار ابن عفان، الجيزة، ط١، ١٤١٧هـ، ٣٦٧/١.

المبحث الثاني : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب العقلي:

للجانب العقلي من الشخصية أثر كبير في حياة الفرد، وفي مشاعره، وقيمه، وأهدافه، وتعامله، وتعايشه، وتصرفاته، وسائر مجالات حياته و" عن طريق التربية العقلية يكون الفرد قادراً على إصدار أحكامه الصائبة على الأشياء، واستفادته من أخطائه وأخطاء غيره، والانتفاع بتجاربه وتجارب الآخرين، وقدرته على حل المشكلات ومواجهة المواقف"[(١)].

وأي تربية تهمل بناء الجانب العقلي للشخصية، أو تعطيه مرتبة متأخرة بين المتطلبات التربوية، هي تربية بعيدة عن المسار الصحيح، وينتج عنها أن ينشأ جيل يعاني من البنيان الهش الذي سرعان ما ينهار، أو يأخذ ذات اليمين أو الشمال.

"ينبغي أن تمتد أهدافنا لتعنى بالتربية العقلية، وألا تقف عند حدود إعطاء الجانب العلمي والمعرفي، خاصة وأن مرحلة الشباب تعتبر أحسن فترات حياة الفرد للتربية العقلية، فمن خلال التربية العقلية الصحيحة يمكن تهيئة الأرضية المناسبة للتلقي العلمي، ومن خلالها يملك الشاب الآلية التي تعينه على التعامل الصحيح مع المعلومات والمعارف التي يتلقاها"[(٢)].

وعندما يستقيم القلب وتصلح أعماله فإنه يعطي الأرضية الخصبة لنماء العقل وانطلاقته، فلما يمتلئ القلب بالتواضع وعدم التعالي، والتجرد من الأهواء، والميول الشخصية، والتَّعصبِ الذَّميم لمذهبٍ أو اتجاهٍ مُعينٍ، وعندما لا ينساق وراءَ الظُّنونِ والأوهامِ ،فإنه يسير في أحكامه العقلية على المنهجِ العلميِّ الدقيق والنظرةِ الموضوعيةِ في التفكير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠، ولما يمتلئ القلب بالصدق والإخلاص في غايته؛ فإنه يسلك منهج التبين والتثبت

---

(١) الغامدي، عبدالرحمن عبدالخالق، دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، دار الخريجي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ص٢٧١.

(٢) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص٧٠.

والتروي في معرفةِ الحقائقِ العلمية وفهمِ أسبابها واستخراجِ قوانينها بشتى الوسائلِ من ملاحظةٍ ومشاهدةٍ وتجربة قبل تقريرِ نتائجِها وإعلانِ أحكامِها.

المطلب الأول: تعريف الجانب العقلي:

العقل في اللغة: يطلق على معان متعددة من أهمها :

الحِجْر ، الجَمْع ، الحَبْس ، التَثبت في الأمور ، التميُّز ، الفَهْم [١].

"للعقل معان كثيرة وتعاريف جمة، ولكنها تتفق جلها في أن العقل في مدلول لفظه هو ملكة (وضعها الله في الإنسان) يناط بها الوازع الأخلاقي، أو المنع عن المحظور أو المنكر، وهو مشتقة من العقال التي تعني الربط والمنع"[٢]، ومن تلك المعاني التي يُطلق عليها العقل:

- فيطلق: على بعض العلوم الضرورية ، مثل العلم باستحالة اجتماع الضدين.
- ويطلق: على الغريزة التي يتهيّأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، وتدبر الأمور الخفية.
- ويطلق: على ما يستفاد من خلال التجارب.
- ويطلق: على النظر في العواقب .

وقيل: في تعريفه " العقل: غريزة كأنها نور يقذف في القلب، فيستعد لإدراك الأشياء فيعلم جواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، ويتلمح عواقب الأمور، وذلك النور يقل ويكثر، وإذا قوى ذلك النور قمع بملاحظة العواقب عاجل الهوى" [٣].

ويمكن القول إن العقل: نور يُقذف في القلب، يستعد به ويتمكن من المعرفة والإدراك، والتمييز بين الأشياء وتلمح عواقب الأمور، أو أنه قوة فطرية مدركة، تعين المكلّف على " الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً، وتمكّنه من النظر في العواقب، وتجعل له من نفسه رقيباً على شهواته فتعقله عن المحارم .

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، ١١ / ٤٥٨.

[٢] يالجن، مقداد، والقاضي، يوسف، علم النفس التربوي في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ص١٤٧.

[٣] الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، ذم الهوى، ١٩٦٢، ٥/١.

وتنمية الجانب العقلي في الشخصية تتمثل في تنمية القدرات العقلية من تأمل، وتدبر، وذلك بالربط بين المقدمات والنتائج واكتشاف الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج، وتنمية قدرات التفكر، التي تتمثل في استعمال المهارات العقلية للوصول إلى الحقيقة، وتنمية قدرة التذكر وهي القدرة على خزن المعلومات واسترجاعها وتوظيفها عند الحاجة إليها، كما يشمل " تنمية وزيادة التحصيل العلمي والمعرفي بصورة مستمرة، وذلك بكسب العلوم والمعارف والخبرات والتجارب بصورة مستمرة...، وتنمية الاتجاهات العقلية البناءة الايجابية..، وكالأخذ بالنظرة الموضوعية الواقعية للأمور، والقدرة على النقد الهادف والتحليل الموضوعي والتقصي العلمي..، وتفجير طاقات الإبداع والخلق والابتكار والاختراع لدى الناشئين، وحسن توجيههم وإرشادهم بالأساليب التربوية السليمة، وتهيئة الجو العلمي الصالح الذي يساعد على تنمية طاقاتهم الخلاقة المبدعة"[(١)].

وأهمُّ الأسس التي تقوم عليها التربية العقلية الحث على العلم والتعلم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ **العلق: ١ - ٥**، والعلوم الشرعية، والعلوم الكونية مهمة للإنسان ويحتاج إليها معاً فبالقدر الذي يعرف به كيف يعبد ربه، وبالقدر الذي يُقيم به شئون حياته، والصلة بينهما وثيقة.

ولما للجانب العقلي من دور في تكوين الشخصية الإنسانية المدركة، ودور مؤثر أيضاً في العملية التربوية المرتبطة بالإنسان فإن منهج التربية الإسلامية يهدف إلى تكوين العقلية الإسلامية، التي تتأسس على الإذعان لأمر الله تعالى، وتقوم بإنتاج الأفكار والمفاهيم والمقولات وفق روح الشريعة الغراء، وفي ضوء منهجها، وفي إطار ثوابتها وأصولها .

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٥٣٧-٥٣٨.

المطلب الثاني: أهمية الجانب العقلي:

لقد اهتمت التربية الإسلامية ببناء الجانب العقلي وتنميته، وذلك لما للعقل من أهمية، وقد ورد في القرآن الكريم التوجيه باستخدام العقل في: التفكر، والتفقه، والتعقُّل في كثير من الآيات القرآنية، مما يدل على المكانة المرموقة للعقل الإنساني في نظام الإسلام التربوي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ﴾ الحج: ٤٦، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٥٢، "أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر، إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضًّا طريًّا فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها، وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة"[(١)].

ومن تأمل سنة النبي ﷺ وجد العناية بتنمية الجانب العقلي؛ حيث كان النبي ﷺ، يشحذ عقول أصحابه ﷺ من خلال السؤال والجواب، والعناية بتنمية الجانب العقلي كما في حديث عبدالله بن عمر ﷺ: كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: "إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم" فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي ﷺ : "هي النخلة"[(٢)].

والعقل بالنسبة للإنسان مناط التكليف، وفهم الخطاب، يقول الرسول ﷺ: « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ »"[(٣)].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٤٢٨.

(٢) صحيح البخاري، ح ٧٢، كتاب العلم، باب الفهم في العلم ، ٣٩/١.

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٤٠٣، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، ١٤١/٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ح ٤٤٠٣.

والعقل هو المرشد للإنسان – بعد الدين – يهديه إلى الطريق السوي، وينير له ظلمات الوجود، ويفتح له مغاليق الكون، وهو الوسيلة المهمة لمعرفة الله تعالى من خلال آثاره وآياته، وهو القوة المدركة التي يميِّز بها المكلَّف بين الخير والشر، والنَّافع والضَّار، والحسن والقبيح؛ بل إن المصلحة التي قام عليها أساس التشريع الإسلامي لا يصل إليها المجتهد إلا بواسطة الجهد العقلي، وليس ثمَّة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتكريمه، والاعتزاز به، كالعقيدة الإسلامية، فالشرع والعقل مرتبطان، لا يستغني أحدهما عن الآخر.

و" العقل لكل فضيلة أسٌّ، وهو الذي جعله الله للدِّين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل "[(١)]؛ ولهذا يُعتبر العقل من الضروريات التي جاء الإسلام لحفظها ورعايتها.

و" العقل هو الأداة التي يتم من خلالها التحصيل العلمي السليم، ..، وتبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه المهارات فيما يأتي: أنها ضرورية للبناء العلمي السليم، أنها تؤثر على كافة جوانب الشخصية؛ فالمرء يستخدم المهارات العقلية في التحصيل العلمي، وفي التعليم، وفي الجوانب الاجتماعية، وفي دعوته للآخرين، وفي حواره والتعبير عن فكرته "[(٢)].

"إن أهمية التربية العقلية ترجع إلى تقدم المتعلمين في التعلم أولاً ثم إلى تقدم الأمة في الميادين العلمية المختلفة، ذلك أن التقدم العلمي متوقف على تقدم المتعلمين في التعلم وتقدم المتعلمين في التعلم متوقف على التربية العقلية، ومن ناحية أخرى فإن الثروة العقلية لدى الأمة تعتبر في نظر المربين أكبر ثروة ورأس مال للأمة وباعتبار أن التربية العقلية تؤدي إلى نمو العقول وزيادة القدرات العقلية أو الإدراكية فإن التربية العقلية تؤدي من هذه الناحية إلى زيادة أكبر ثروة وأكبر رأس مال في حياة الأمة"[(٣)].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٥ / ٢٦١.

(٢) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٨٦.

(٣) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٩٣-٩٥.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب العقلي:

لصلاح قلب الإنسان دور مؤثر للوصول بالفرد إلى أعلى درجات الكمال العقلي ضمن قدراته ومواهبه المتاحة، وله أثر في توجيه مواهبه واستعداداته، وميوله ورغباته العلمية، وتنمية قدرته على التعلم، وما من شأنه أن يحفِّز للانطلاقة العقلية.

فمن خلال النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفي كل منهما التصريح بأن محل العقل في القلب، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦ ففي الآية التصريح بأن القلوب هي التي يعقل بها وما ذلك إلا لأنها محل العقل، وقوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ معناه أن القلوب التي في الصدور هي التي تعمى إذا سلب الله منها نور العقل فلا تميز بين الحق والباطل ولا بين الحسن والقبيح ولا بين النافع والضار وهو صريح بأن الذي يميز به كل ذلك هو العقل ومحله القلب.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ **الأعراف:** ١٧٩، فعابهم الله بأنهم لا يفقهون بقلوبهم، والفقه الذي هو الفهم لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن القلب محل العقل .

وبناء على ذلك تظهر العلاقة المترابطة بين صلاح القلب وتأثير ذلك في نمو القدرات العقلية؛ فـ "كلما كان القلب طاهراً خالياً من الرذائل والذنوب كانت أكثر انعكاساً عليه – العقل –، لكنه إذا أهمل وتصدأ وران عليه ما كان يكسبه الإنسان من السيئات فإنه يصبح في حالة لا تعكس الحقائق عليه، ولهذا يشبهه بعض الدارسين بالمرآة الصافية في الأصل، ووظيفة القلب أساساً هي معرفة الهدى والضلالة والحرام والحلال والخير والشر ويشير إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتب فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتة فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربداً (ممزوجاً بياضه بسواده) كالكوز مجخياً (منكوساً) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من

هواه"، وهذه الحالة الأخيرة هي عمي القلب ومما يؤكد ما نقرره هنا ما روي عن رسول الله ﷺ بصدد تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ **الحجر: ٧٥**، حيث قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ الآية السابقة وروي عنه أنه قال: " إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم"، قال المنوي في شرح الحديث "اتقوا فراسة المؤمن أي اطلاعه على ما في الضمائر بسواطع أنوار أشرقت على قلبه فتجلت له بها الحقائق فإنه ينظر بنور الله" أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى، وأصل الفراسة أن بصر الروح متصل ببصر العقل في عين الإنسان فالعين جارحة والبصر من الروح وإدراك الأشياء من بينهما، فإذا تفرغ العقل والروح من أشغال النفس أبصرت الروح وأدرك العقل ما أبصرت الروح، ولما عجز العامة عن هذا شغلت أرواحهم بالنفس واشتباك الشهوات فشغل بصر الروح عن إدراك الأشياء الباطنية، ومن أكب على شهواته وتشاغل عن العبودية حتى خلط على نفسه الأمور تراكمت عليه الظلمات كيف يبصر شيئاً غاب عنه، ومعنى الموسمين في الآية السابقة قال ابن عباس: للناظرين وقال مجاهد: للمتفرسين.

إذن فعلى هذه التربية أن تحافظ على تلك القلوب الطاهرة وأبعادها عن الفساد والفتن التي تجعلها مرضية، كما تحافظ على سلامة الصحة وحمايتها من إصابتها بالجراثيم. فالحماية والحفظ واجب تربوي إذ يجب علينا أيضاً حماية العقول من الأمراض والمسكرات التي تضرها أو تنقص من فعاليتها...، ولم يكتف الأطباء ببيان أضرار المخدرات على العقول بل بينوا أيضاً أضرار الأفكار والنيات السيئة على العقول فقال أحدهم: ولكي نكفل لذواتنا جهازاً عصبياً صحيحاً وجسمياً معافى سليماً يجب أن نروض عقولنا على الأفكار الصالحة البريئة من الآثام لأن الأفكار الشريرة الدنسة تضعف العقل وتفسده وتجره إلى الجنون"[١].

---

[١] يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٩٣-٩٥.

ويظهر أثر صلاح القلب واستقامته على الجانب العقلي من خلال الآتي:

- صلاح قلب الإنسان واستقامته على الخير يعتبر من العوامل الأساسية للتعلم الجيد، حيث يكون له أثر في تفعيل دور الطالب في التعلم من خلال تنمية الدافع المحرك لطلب العلم وتحصيله، وهو الإخلاص لوجه الله تعالى، فعند ما يتحقق الإخلاص في القلب عند طلب العلم، فذلك يعطي المتعلم دافع قوي ومستمر يجعل الطالب يسير في التعلم والتحصيل على مر الأزمان والأوقات متجاوزاً كل العقبات والصعاب.

- لصلاح القلب وتقواه واستقامته دور كبير في تنمية القدرة على الفهم، والتمييز بين الصواب والخطاء والحق والباطل، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ الأنفال: ٢٩**، " وقد رتب اللّه على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا كثيرا، فذكر هنا أن من اتقى اللّه حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها، الأول الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة"[1].

- وعندما تتحقق التقوى في القلب يملك الإنسان القدرة على الاستنباط والاستنتاج السليم، باستنباط الفوائد والعبر من آيات القرآن، الكريم والأحاديث النبوية، واستنباط الدروس والفوائد العملية عند دراسة العلوم، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢**، فغرس

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٣١٩.

معاني التقوى في نفوس الطلاب " تفتح قلوبهم للمعرفة وتهيئ أرواحهم للتعليم ، ليقوموا بحق هذا الإنعام بالطاعة والرضى والإذعان"[(١)].

- تنمية الاتجاهات العقلية السليمة مثل الحيدة والموضوعية التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية

- الدقة عند تحليل الحقائق وفحص الأدلة ، وإصدار الأحكام، وإطلاق التعميمات. و التمييز بين الحقائق المختلفة والتفريق بينها، والدقة عند الاستدلال، والقدرة على تمييز الأدلة الصحيحة من الباطلة، ومناقشة الأدلة.

- له دور في الارتقاء بأسلوب الإنسان وطريقته في حواره مع الآخرين، لأن المعني الطيبة الموجودة في القلب، من إيثار الحق، والتواضع له، والبعد عن الكبر والتعالي، تكوين جو يسمح بالحوار البناء، احترام آراء الآخرين وأفكارهم، والقبول بالرأي المخالف، والاعتدال والموضوعية في نقاشها، والفصل قدر الإمكان بين الرأي والفكرة وبين صاحبها، فلا يذم الشخص نتيجة رفض فكرته أو نقدها، ولا يكون من معايير قبولها كونها فكرة فلان أو رأيه، وهذا له دور في ضبط الحوار بالأسس الموضوعية، التي توصل إلى الحقيقة، وتجليها للمتحاورين.

- التخلص من معوقات التي تحول دون التفكير السليم، التي تشل القدرات والإمكانات العقلية ويختزلها، مثل التعصب للآراء والمواقف الشخصية والإصرار عليها والتمسك بها، والمبالغة والغلو مظهران من مظاهر فقدان الموضوعية والاعتدال في التفكير.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١ / ٣١٩.

المبحث الثالث : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب النفسي:

يعد الجانب النفسي من أهم الجوانب في تكوين وبناء شخصية الإنسان ، لأن الرعاية النفسية تجعل الفرد قادراً على فهم نفسه، وبناء اتجاهات نفسية سليمة نحوها، ونحو الناس، وتجعله أكثر تكيفاً وسعادة في حياته.

"يرتبط الجانب النفسي بسائر جوانب الإنسان ارتباطاً واضحاً، ويترك أثره عليها، فالانفعالات الإيجابية مثلاً تنشط عمل القلب والتنفس، وعمل الجهاز الهضمي وجهاز المناعة، والإنسان الآمل الفرح أكثر قدرة على المبادرة والابتكار وسرعة البديهة عند القيام بالعمليات العقلية أو العلمية، ويسهل عليه التفكير والتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقه...أما الانفعالات السلبية كالخوف والغيرة والحزن والحسد والغم والخيبة، فتؤثر بصورة سلبية على جسم ونفس الإنسان، فعمل أجهزة الجسم وأنسجته تتأثر بالانفعال السلبي وتؤثر سلبياً على صحة الإنسان؛ فتؤدي الكآبة والحزن والغم إلى إضعاف نشاط القلب وتسارع النبض في حال ضعف امتلاء الأوعية بالدم، وإلى التنفس السطحي البطيء، وإلى اضطراب هضم الطعام وجهاز المناعة والغدد.

أما عن الحالة النفسية، ففي حال الكآبة والحزن يغدو الإنسان بعيداً عن الدقة غير مطابق للواقع، مما يوقع الإنسان تحت تأثير مختلف أنواع الخداع والأوهام، وتنخفض الحساسية انخفاضاً شديداً، ويغدو التفكير ضعيفاً وذاتياً، وقد يبدو أن إرادة الإنسان تصبح أقوى في حالة الغضب أو الخوف الشديد غير أن الواقع ليس كذلك، فالقرارات المتخذة في حال الانفعال تكون غالباً متسرعة وبدون تفكير"[١].

ولصلاح القلب وصحة معتقده من التَّصديق بأركان الإيمان الستة، دون شك أو ارتياب، وخلوه من الأمراض من حقد والغيرة والحسد والوسوسة، أثر في تتحقق الصحة النفسية للإنسان حيث تستقر مشاعره، ويتزن بالتالي سلوكه.

---

[١] الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص٢٠١.

المطلب الأول: تعريف الجانب النفسي:

النفس في اللغة: تطلق على عدة أمور ومن ذلك أنها تطلق على الروح وكذلك على ذات الإنسان "النَّفْس الرُّوحُ ..، ومَعْنى النَّفْس فيه مَعْنى جُمْلَةِ الشيء وحقيقته تقول قتَل فلانٌ نَفْسَه وأَهلك نفسه أَي أَوْقَتَ الإِهْلاك بذاته كلِّها وحقيقتِه والجمع من كل ذلك أَنْفُس ونُفُوس ..، والنَّفْسُ يعبَّر بها عن الإِنسان جميعه "[١].

وقيل في تعريف النفس: " هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص "[٢].

و يمكن تعريف النفس بأنها : "شيء في داخل كيان الإنسان، جامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية، التي لها آثار ظاهرة في السلوك "[٣].

الفرق بين النفس والروح:

"وفرّق بعض العلماء بين النفس والروح فقال الروح هو الذي به الحياة و النفس هي التي بها العقل فإذا نام النائم قَبَضَ الله نفسه ولم يقبض روحه والروح لا يُقبض إلاّ عندَ الموتِ "[٤].

"فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها"[٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ٦ / ٢٣٣.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات، ١ / ٣١٢.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٤٢٩هـ، ص٢٢٩.

(٤) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ، ٢ / ٣١٤.

(٥) ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ، ٥٦٧ / ٢.

والنفس الإنسانية لها أحوال، فهي " نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة"(١)، ولهذه النفس صفات وخصائص كثيرة، فهي تحب وتكره، وتسول وتوسوس، وتنوي وتعزم، كما ترشد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشر، ولها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني .

والجانب النفسي (الوجداني) : هو ما يتعلق " الدوافع والعواطف والمشاعر والأحاسيس والانفعالات، وتنميته " بتحقيق الاستقرار النفسي والصحة النفسية، وهذا يعني أن يكون الشاب متمتعاً بالصحة النفسية، سالماً من المشكلات والأمراض النفسية"(٢).

ومدار تنمية الجانب النفسي بالنسبة لأي فرد هو بتحقيق التوافق أو التوازن، سواء كان ذلك توافق الفرد مع نفسه بحيث يكون مرتاح البال ومطمئن النفس، أو توافق الفرد مع محيطه الاجتماعي فلا يعرف صراعات حادة بينه وبين أفراد آخرين في المجتمع، وسلامة النفس من الاضطرابات والأمراض النفسية، والتمتع بحالة من الاطمئنان والاستقرار النفسي.

---

(١) ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، ٥٦٧ / ٢.

(٢) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص٢٠٢.

المطلب الثاني: أهمية الجانب النفسي:

اهتم الإسلام بوضع قواعد الوقاية من الاضطرابات النفسية سواء كان ذلك بتشريع العبادات أو سن القوانين في مجال المعاملات حيث تتكامل مختلف الجوانب الروحية والتربوية والأسرية والاجتماعية في تكوين جو نفسي يتميز بالتعاون والتكافل.

و" لو دققنا النظر فيما يتعلق بالجانب النفسي في القرآن نجد أن الإسلام قد أقر جميع العواطف الإنسانية من حب وكره ورجاء وخوف ورحمة وقسوة إلى آخرها ثم وجهها بدقة دقيقة وإحكام محكم في الوضع الصحيح لها"(١).

وكان الرسول ﷺيعلم أصحابه أن ما يحل بهم من أمراض أو مصائب إنما هو ابتلاء من الله تعالى، يرفعهم بها درجات، ويمحو بها عنهم خطايا، وكان هذا التعليم النبوي يقوي فيهم عادة الصبر على شدائد الحياة، وتحمل مصائبها بنفس راضية بقضاء الله تعالى، فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول:« مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنهأن الرسول ﷺ قال: « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة »(٣).

---

(١) الناغي، إبراهيم الحنفي، الإعجاز النفسي في القرآن، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٤، ص٣٨٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٥٧٣ ، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ١٩٢٩/٤.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٣٩٩ ، كتاب الزهد ، باب باب ما جاء في الصبر على البلاء، ٦٠٢/٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني : حسن صحيح، صحيح الترمذي، ح ٢٣٩٩.

"ويكفي في أهمية الصحة النفسية وبيان أثرها على الإنسان كثرة استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من الحزن والهم، عن أنس بن مالكؓ قال: كان النبي ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال"[١].

"ومن الجوانب التي تؤكد على أهمية الاعتناء بالصحة النفسية للشاب ما يأتي:

١. أنها تزيد من قدرة الشاب على فهم نفسه وإمكاناته، فلا يتعداها، وعلى تحديد طموحاته وآماله في ضوء إمكاناته، وعلى تقبل التغيرات التي تطرأ.

٢. أنها تساعد على بناء اتجاهات نفسية سليمة نحو نفسه ونحو الناس والحياة، وتبعد شبح اليأس والقنوط.

٣. أنها تزيد من قدرته على عقد صلات ناجحة وعلاقات طيبة.

٤. أنها تزيد من قدرته على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد والمشكلات.

٥. تزداد أهمية هذا الجانب في حق من يتصدون للدعوة والتغيير في المجتمعات، فما لم يكونوا يملكون قدراً من الاستقرار والصحة النفسية فلن يكونوا مؤهلين للتعامل مع الناس بشكل صحيح، فضلاً عن قيادتهم وتوجيههم"[٢].

وبالتربية الصالحة تسمو النفس، وتعيش في سلام داخلي، ووئام خارجي ويتحقق لها التوازن الذي تنشده الصحة النفسية.

---

[١] الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ٢٠٢.

[٢] الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ٢٠٢.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب النفسي:

صلاح القلب يسهم في هدوء النفس، ويساعد على الانضباط والتحكم في الانفعالات، وله دور في مكافحة الاضطرابات النفسية بمختلف أنواعها وأشكالها ودرجاتها التي تؤثر على الصحة النفسية للفرد، وتؤدى إلى آثار سلبية على شخصيته، وإلى مظاهر انفعالية سلبية مثل الاكتئاب – والقلق – والغضب – والتوتر – وعدم التحكم في الانفعال – والعدوان وغير ذلك، مما يؤثر في حياته الشخصية والعملية .

وعندما يستقيم قلب الإنسان فإنه يتخلص من ذلك كله، ويثمر له صلاح القلب جميل الأثر في جانب حياته النفسية، وكذلك للعبادات القلبية دور في حفظ الصحة النفسية، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

- صلاح القلب بالإيمان بالله، طريق السكينة، وأساس في طمأنينة النفس، وله دور في تحقيق الاستقرار النفسي، وإزالة القلق والتوتر الذي يسيطر على النفس الخاوية من الإيمان بالله، وذلك بما يبعثه في النفوس من طمأنينة، وما يحدثه فيها من صلاح، فالإيمان يعرف الإنسان بنفسه والهدف الحقيقي الذي وجد من أجله، وهو عبادة الله سبحانه، والاستقامة على شرائعه وأحكام، " فأوامره سبحانه وحقه الذي أوجبه على عباده، وشرائعه التي شرعها لهم، هي قرة العيون، ولذة القلوب، ونعيم الأرواح وسرورها، وبها شفاؤها وسعادتها وفلاحها وكمالها في معاشها ومعادها، بل لا سرور لها ولا فرح ولا لذة ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك "[١].
- تحقق القناعة والرضا بالقضاء والقدر في قلب الإنسان المؤمن يعد من أهم عوامل راحة باله، وسعادته، وقناعته بما قسمه الله تعالى له من رزق، وما وهبه من نعم، وعدم تطلعه إلى من هو أكبر منه ثراء، وأوفر منه نعماً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٣١/١.

طه: ١٣١، لأن عدم القناعة وعدم الرضا يؤديان إلى سخط الإنسان وتبرمه، ويسببان له التعاسة والشقاء، وبالقناعة والرضا يتحقق له راحة وغنى النفس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1].

- تحلي القلب بالصبر، له دور في تحمل الفرد مشاق الحياة، والصمود في مواجهة الشدائد والأزمات، والصبر على كوارث الدهر ومصائبه، والرضا عند المصائب والنوازل والكروب، والتسليم لله عز وجل عند حصولها، كونها امتحاناً وابتلاءً وقضاءً من الله عز وجل، فلا يضعف أمامها ولا ينهار، ولا يتملكه اليأس، فالإنسان سوي الشخصية الذي يتمتع بقدر كبير من الصحة النفسية؛ يقابل المصائب والمواقف العصيبة بصبر وثبات، وقد مدح الله عز وجل الصابرين عند المصائب والخطوب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ ، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[2]، فصاحب القلب السليم المؤمن بقضاء الله عز وجل وقدره، يضع عن نفسه السخط، و يتحمل الإحباط دون قلق، ويواجه المكاره دون جزع، ويتقبل المصائب دون هلع، وينظر إليها نظرة تفاؤل، ويفسرها تفسيرا يبعث الثقة والأمل والتحمل، فكثير من سبب الانهيارات النفسية في المصائب ليست من شدتها وقسوتها، ولكن من عدم الصبر عليها، والجزع منها.

- صلاح القلب واستقامته يجنب الإنسان خطوات الشيطان ومكايده، فالشيطان تأثيراً خاصاً في بني آدم ابتداء من الوسوسة، وانتهاء بالصَّرع، وبين ذلك من مراتب الغواية والإضلال، فكثيراً من الأمراض النفسية تعود إلى مكائد الشيطان، وتسلُّطه على بعض الناس، فلا يكون الفكاك منها إلا بالرقى والتعاويذ الشرعية،

---

[1] صحيح البخاري، ح ٦٠٨١، كتاب الرقائق، باب الغنى غنى النفس، ٥/٢٣٦٨.

[2] سنن ابن ماجة، ح ٤٠٣١، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ٣/١٣٣٨.

ويكون التحصُّن منها بامتلاء القلب بالإيمان ودوام ذكره لله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ النحل: ٩٩.

■ توكل الإنسان على الله وثقة به، وطاعته لأمره، تعطيه قوة وأمناً وطمأنينة، وتملئه بمشاعر السعادة، التي لا يحصل عليها من أي مصدر آخر، وتجعل نفسه منطلقة عند ابتغاء الرزق وطلب النجاح، لأنه موقناً بأن أمره كله بيد الله ﷻ قال رسول الله ﷺ: « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»[(١)]، وهذا ما يجعل المؤمن متفائلاً حتي في الظروف الصعبة، لأنه يتوكل علي الله، ويثق في عدله، ويطمئن إلي حكمته.

■ تقوية التعلق بالدار الآخرة في قلب الإنسان المؤمن، وإعطاء الدنيا منزلتها اللائقة بها، يسهم في تهوين شأن الدنيا لديه مما يخفف القلق عنده تجاه المستقبل الدنيوي، ولا يحزن على ما يفوته من أمر الدنيا، الذي قد يسبب لدى البعض الشعور بالفشل والإحباط، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ». فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بشيء وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ». قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ « فَوَ اللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ »[(٢)].

■ محبة الله عز وجل ورسوله ﷺ عندما تحصل في قلب الإنسان فإنها توجه العاطفة فه نحو الاتجاه السليم، حتى تكون هذه المحبة فوق كل شيء، حينها تكون هي السائدة والسائقة، وما بعدها تبع لها، فلا يحبُّ إلا ما يحبه الله، ولا يرضى إلا بما يرضي الله، ولا

---

(١) سنن الترمذي، ح ٢٥١٦، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، ٦٦٧/٤.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٩٥٧، كتاب الزهد والرقائق ، ٢٢٧٢/٤.

يأتي مما تريد نفسه إلا ما يُرضي الله عز وجل، قال ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »[١]، وقوله ﷺ في الحديث الآخر: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[٢]، فتوجيه العواطف ذو أهمية كبيرة؛ لأنها تعمل على تنظيم انفعالات الإنسان تنظيماً يؤدي إلى اتزان شخصيته وتكاملها، ويحقق له مستوى أعلى من الصحة النفسية.

- للتوبة دور كبير في تخليص المسلم من الشعور بالإثم، أو الإحساس بالذنب والذي يعد سبب لكثير من الأمراض النفسية، ولا شك أن التوبة لله ﷻ هي السبيل السليم للتخلص من هذه العقدة، واسترجاع التوازن النفسي، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ **الزمر: ٥٣** ، فـ" المعاصي والفساد توجب الهم والغم، والخوف والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب...، وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار"[٣].

- صلاح القلب يثمر حسن التوافق مع الناس، فيجعل الإنسان يعيش معهم ويخالطهم، ويهتم بأمرهم، ويعمل من أجلهم، ويتعاون معهم، ويقضي حوائجهم، ويدفع عنهم الأذى، لأن المسلم صاحب القلب السليم هين لين متواضع، يألف الناس ويألفونه، يصلهم ويودهم، ويبتعد عن الحسد والتباغض، وسوء الظن الخصومة معهم ابتغاء مرضاة الله، قال رسول الله ﷺ : « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ

---

[١] صحيح البخاري، ح ١٦، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، ١/ ١٤.
[٢] صحيح البخاري، ح ١٥، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ١/ ١٤.
[٣] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد من هدى خير العباد، ٤/ ٢٠٨.

أَيَّامٍ»[(١)]، وقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ « أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ » [(٢)]، وتعويد النفس علي حب الآخرين مفتاح سعادتها وسعادة غيرها، والشعور بالأمن والطمأنينة والتقدير والاستحسان والكفاءة، فمشاعر المودة والمحبة تنشط أجهزة المناعة النفسية.

وكذلك كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم، يعتبر عملية نفسية فيها امتناع إرادي عن الانتقام من المسيء، وتحويل مشاعر الغيظ إلي أفكار ومشاعر تحمل وتقبل، ابتغاء مرضاة الله وهذا يعتبر عملية نفسية إيجابية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤، وقال رسول الله ﷺ « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ » [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٧١٨، كتاب الآداب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ٢٢٥٣/٥.

(٢) سنن ابن ماجة، ح ٤٢١٦، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ١٤١٩/٢.

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٧٧٧، كتاب الآداب ، باب من كظم غيظا، ٢٤٨/٤.

المبحث الرابع : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الأخلاقي :

يشكل الجانب الأخلاقي ركن أساسي في بناء الشخصية الإسلامية، فالأخلاق الحسنة سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ومصدر لاستقامة شخصيته، وعامل مهم من عوامل نجاحه، وللأخلاق أهمية وأثراً كبيراً في حياة الأفراد والجماعات والأمم؛ فهي دعامة كل نهضة وأساس كل تقدم وتطور ورقي؛ ورافد مهم من روافد نهضة الأمم.

وتحتل الأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة، وقد ربط الإسلام بين الأخلاق والإيمان في مواطن كثيرة، فبالأخلاق يسعد الإنسان في الدارين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »[(١)]، ولأهمية الجانب الأخلاقي في بناء الشخصية المسلمة نجد أن مهمة الرسل والأنبياء عموماً تنصب على تنمية هذا الجانب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ »[(٢)].

ولما كانت الأمة الإسلامية متمسكةً بأخلاقها دانت لها الأمم، حتى إن كثيراً من البلاد دخلت في دين الله حين رأوا أخلاق المسلمين الحسنة، ومعاملتهم الطيبة، وأمانتهم العظيمة، ويؤكد الواقع الملموس أن التربية الأخلاقية الإسلامية نجحت في تكوين شخصيات مثالية تحلَّت بالفضائل الأخلاقية العليا.

والتربية الأخلاقية تعني بناء المحتوى الداخلي للإنسان على أساس الفضيلة والقيم السامية، " ومع أهمية تفاصيل جوانب التربية الخلقية، إلا أن ذلك لا يغني عن النظرة المجملة التي تسعى لغرس الخلق الحسن لدى المتربي في الجملة، بحيث يصبح هذا الخلق سجية له وطبيعة، ويسعى لتمثل معالي الأخلاق والبعد عن سفاسفها"[(٣)].

(١) سنن أبي داود، ح ٤٦٨٢، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٤/ ٢٢٠، قال الألباني: حسن صحيح، صحيح أبي داود، ح ٤٦٨٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ح٢٠٥٧١، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ١٠/ ١٩١، صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ح٤٥.

(٣) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ص١٤٣.

المطلب الأول: تعريف الجانب الأخلاقي:

الأخلاق في اللغة: جمع خلق، مأخوذ من مادة "(خلق) الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء..، ومن ذلك الخُلُق، وهي السجيَّة، لأنّ صاحبَه قد قُدِّر عليه"[١].

" والخُلُق الخَلِيقة أَعني الطَّبِيعة وفي التنزيل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ والجمع أَخْلاق لا يُكسّر على غير ذلك، والخُلْق والخُلُق السَّجِيّة يقال: خالِصِ المؤْمنَ، وخالِقِ الفاجر، وفي الحديث ليس شيء في الميزان أَثْقلَ من حُسن الخُلُق، الخُلُقُ بضم اللام وسكونها وهو الدِّين والطبْع والسجية وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة وهي نفْسه وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها ولهما أَوصاف حسَنة وقبيحة "[٢].

قال الجرجاني رحمه الله: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً "[٣].

وقد عرفها بعض الباحثين بأنها: "عبارة عن مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[٤].

والأخلاق تنقسم إلى نوعين: خلق محمود ، وخلق مذموم:

"الخلق المحمود : صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء؛ كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى، وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة .

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "خلق"، ٢ / ٢١٣.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "خلق"، ٨٥/١٠.

[٣] الجرجاني، على بن محمد بن على، التعريفات، ص١٣٦..

[٤] مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجى، القاهرة ط١، ١٩٧٧م، صـ٧٥ .

ويمكن تمييز الأخلاق الحميدة عن غيرها: بأنها كل سلوك فردى أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استحسانه، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها، ويلحق به ما كان أثراً من آثاره أو فرعاً من فروعه .

والخلق المذموم: صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء، كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال، إتباعا للهوى أو الشهوة .

ويمكن تمييز الأخلاق الذميمة عن غيرها بأنها كل سلوك فردى واجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استقباحه واستنكاره، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها، ويلحق به ما كان أثراً من آثاره، أو فرعاً من فروعه"[(١)].

ومعنى تنمية الجانب الأخلاقي : هو تنشئة وتنمية الإنسان المسلم على الخلال الحميدة التي أمر بها الإسلام كالصبر والحلم والرفق، والكرم والحياء والتواضع، والشجاعة والعدل والإحسان وقضاء الحوائج وغض البصر وكف الأذى، والأمانة والصدق والرحمة والوفاء، وطلاقة الوجه، وغيرها ومن الأخلاق الإسلامية المحمودة، بحيث تكون سجيةً ملازمة له وسلوكاً دائماً في جميع أحواله، عن طريق تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية؛ بتعليم وتبصير أخلاقي، ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية، ويميز بين سلوك الخير وسلوك الشر، وينبغي تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية وممارسة ذلك عملياً، عن طريق تكوين الشعور بالمسؤولية الأخلاقية أمام الله، أي يطبق درجة الإحسان التي تميز الشخصية المؤمنة عما سواها.

والتربية الأخلاقية تركز على أهمية السلوك الإنساني وتطويره في إطار من عادات الأمة وتقاليد المجتمع وأخلاقياته الفاضلة المستمدة من الكتاب والسنة، وهي كثيرة منها الإخلاص والصبر والحياء والرحمة والتعاون والوفاء والإيثار والإحسان والتواضع، وغير ذلك.

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية، ١٦/١.

المطلب الثاني: أهمية الجانب الأخلاقي:

التربية الأخلاقية من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلامية، ولقد جاء الشرع بالحثِّ على محاسن الأخلاق، والنهي عن مساوئها، ونصَّ على جوانب من الخلق الحسن، وجوانب من الخلق السيئ، وترك جوانب من تفصيل ذلك وضوابطه لأعراف الناس التي تختلف باختلاف الزمان والمكان، وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على أهمية التربية الأخلاقية، فقد مدح اللّه نبيه محمداً ﷺ قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **القلم: ٤**، وسُئِلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ »[(١)].

وللتربية الأخلاقية أهمية بالغة، وخاصة في هذا العصر، وتعد أساس للمجتمع الصالح من خلال غرس القيم والعادات والأخلاق والخصال الحميدة والاتجاهات الايجابية، ولذلك تولي الأمم للتربية الأخلاقية أهمية خاصة، بالتوجيه والتنمية وغرس المبادئ الأخلاقية الايجابية والقيم والاتجاهات والمثل العليا والمبادئ الدينية والأخلاقية، التي تعد الأساس الأول لبناء الإنسان، وتشكل حجر الزاوية في تطويره.

ويظهر أهمية الجانب الأخلاقي وضرورته فيما يلي :

١. حسن الخلق له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في دين الإسلام، وقد وردت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة مبينة فضل حسن الخلق، ومرغبة في مكارم الأخلاق، مثنية على المتحلين بمحاسن الآداب، زاجرة عن الاتصاف بمساويها، وأثنى تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ بحسن الخلق فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **القلم: ٤**.
وأعلت السنة النبوية من منزلة حسن الخلق، فجعلت درجة صاحبه بمنزلة كبار العباد، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ »[(٢)].

---

(١) مسند الأمام أحمد، ح ٢٤٦٤٥، ٩١/٦، وصححه الألباني ، صحيح الجامع، ح٤٨١١.

(٢) سنن أبي داود، ح ٤٧٩٨، كتاب الآداب، باب في حسن الخلق، ٢٥٢/٤، وصححه الألباني، صحيح أبي داود، ح ٤٧٩٨.

وجعل ﷺ أحاسن الناس أخلاقاً أحبهم إليه وأقربهم منه مجلساً، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا »[١]، وجعل ﷺ حسن الخلق شأن خيار الأمة فقال ﷺ: « إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا »[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين "[٣].

٢. للأخلاق أهمية بالغة في ارتقاء سلوك الإنسان وما يصدر عنه من أفعال، إذ أن أفعاله موصولة دائماً بما في نفسه من معانٍ وصفات، فالأخلاق تعمل على ضبط الفرد لشهواته، كي لا تتغلب على عقله ووجدانه؛ لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوئها، ويسير على هديها في الحكم على الخطأ والصواب، والحسن والقبيح، والخير والشر، ولذلك وصفت عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَىْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَىْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[٤].

٣. للأخلاق أهمية بالغة في ارتقاء الأمم والشعوب، " فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار...، وذلك لأن الأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التي تعقد

---

(١) سنن الترمذي، ح ٢٠١٨، كتاب البر والصلة، باب ٧١ ما جاء في معالي الأخلاق، ٣٧٠/٤، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح ٢٠١٨.

(٢) صحيح البخاري، ح ٥٦٨٨، كتاب الآداب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، ٢٢٤٥/٥.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين، ٣٠٧/٢.

(٤) صحيح مسلم، ح ٢٣٢٨، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ١٨١٤/٤.

بها الروابط الاجتماعية، ومتى انعدمت هذه المعاقد أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكاناً تنعقد عليه "[١].

فالأخلاق تحدد للمجتمع أهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة والمستقرة، وتساعد على تحديد الاختيارات الصحيحة التي تسهل على الناس حياتهم وتحفظ لهم استقرارهم وكيانهم في إطار موحد، كما أنها تقي المجتمع من الأنانية الفردية ونزعات الشهوات الطائشة، حيث تحمل الأفراد مسئولية أعمالهم وتصرفاتهم .

التربية الأخلاقية توجد روح المودة والمحبة وتؤدي إلى التعاون والالتزام بما أوضحه الإسلام من الآداب والفضائل التي تحكم علاقات الناس بعضهم مع بعض إذا رعوها حق رعايتها في تعاملهم وسلوكهم وحياتهم يقول الماوردى[٢]: "إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب"[٣].

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية، ٣٤/١ - ٣٥.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، الإمام العلامة، نسبته إلى بيع ماء الورد، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي، يعد من العلماء الباحثين، له تصانيف كثيرة نافعة، منها أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، والنكت والعيون، وغير ذلك، توفي عام ٤٥٠هـ، وقد بلغ ستا وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء (٣٥ / ٥١)، الأعلام للزركلي (٤ / ٣٢٧).

(٣) الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، دار ابن كثير، دمشق،ط١، ١٤١٣هـ، ص٣٨٣.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب الأخلاقي:

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة، حيث أن حسن الخلق جانب من جوانب الدين المهمة، ولصلاح القلب واستقامته أثر في تنمية الأخلاق الفاضلة في الشخصية، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

- كمال الإيمان في القلب يحقق حسن الخلق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »[1]، لأن السلوك الخلقي الفاضل ثمرة من ثمار الإيمان والعقيدة الصحيحة، التي تؤثر في النفس انفعالاً يضبط سلوكها، ويوجهه نحو ما ينبغي فعله، وما يجب تركه، فيعتبر الأساس الاعتقادي من أهم الأسس التي تقوم عليها التربية الأخلاقية، فالعقيدة الإسلامية تدفع الإنسان إلى الخير وتدفعه إلى الابتعاد عن الشر، فالارتباط ما بين الإيمان والسلوك الأخلاقي ارتباط لا انفصام فيه، فالإيمان هو المنبع الأساسي لكل فضيلة، ودفع إلى الأخلاق الكريمة، ومقوم عظيم لسلوك الإنسان، ولذلك ربط الإسلام بين الإيمان والأخلاق.
- ولما يمتلئ القلب بحب الله ﷻ، وحب رسوله ﷺ يجعل المسلم يلتزم بمكارم الأخلاق، لأنه يحب ما يحبه الله ورسوله من مكارم الأخلاق، ويبغض أضدادها، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أنه سمع النبيﷺ يقول:« إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ويُحِبُّ وَمَعَالِيَ الأَخْلاَقِ وَيَكره سَفْاسفَهَا »[2].
- والمسلم حينما يجعل مرضاة ربه غاية لحياته فإنه يضع لنفسه أنبل وأعلى غاية، ونتيجة لهذا تتوافر له إمكانات لا حدود لها للسمو الأخلاقي، لأن الخلق أفضل

---

[1] سنن أبي داود، ح ٤٦٨٢، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٢٢٠/٤، قال الألباني: حسن صحيح، صحيح أبي داود، ح ٤٦٨٢.

[2] مستدرك الحاكم، ح ١٥١، كتاب الإيمان،١١١/١، وصححه الألباني، صحيح الجامع ح١٨٥٨.

ما يقرب العبد إلى الله تعالى، فالمسلم يلتزم بمكارم الأخلاق، لأنه يرجو الجزاء، وهو ثواب ربه ﷻ، والجزاء عامل مشوق ودافع للتمسك بالقيم والأخلاقية لان الإنسان يجب أن يرى ثمرة عمله، فإن التمسك بالأخلاق عمل مقدس لأنه يمثل أوامر الله و إرادته، وكذلك، "إذا كان الأمل في نعيم الجنة، وخشية النار، راسخين بقوة في أعماق قلب الإنسان فإنهما يمدانه ببواعث قوية على ممارسة الفضائل حتى في الظروف التي تبدو له فيها نتائج تلك الممارسة شديدة الضرر له، ويمدانه ببواعث تباعد بينه وبين الشرور حتى في الظروف التي يبدو فيها الشر بالغ الجاذبية والفائدة"[١].

- وصلاح القلب مانع فعال في منع الرذائل الأخلاقية، من الغل والحسد، والحقد والبغض، وبذلك يُمسى ويُصبح سليم الصدر، نقى الفؤاد، يحب الخير لعباد الله جميعاً، قال تعالى مخبراً عن دعاء أهل الأيمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠، فالمؤمن لا يحقد، لأنّه عفو كريم، يكظم غيظه وهو يستطيع أن يُمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، وهذا ما تؤكده الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة حيث تدعو إلي الأخلاق الرفيعة والسلوك الطيب، واجتناب رذائلها، وتربط

---

[١] المودودى، سيد أبو الأعلى، منهج الحياة الإسلامية، دار التوزيع للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٣٧.

ذلك بالإيمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(١).

- الإيمان القوى في قلب المتربي بعلم الله ورؤيته لأفعاله وتسجيل كل ما يصدر عنه والتفكير بالآخرة كدار للقرار وأهمية هذه الأخلاق الربانية لتنظيم حياة الإنسان والجزاء الذي سينتظره الإنسان، وهذا ينمي الشعور بالمسؤولية تعتبر التربية نفسها من ضمن المسؤوليات الفردية.

- دافع الحياء في القلب له أثره الكبير في حماية صاحبه من مساوئ الأخلاق، وعند فقده فإن الإنسان يطلق لنفسه العنان في فعل ما قد يقبح من المساوئ ورذائل الأخلاق، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٦٧٢، كتاب الآداب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٥/٢٢٤٠.

(٢) صحيح البخاري، ح ٥٧٦٩، كتاب الآداب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ٥/٢٢٦٨.

المبحث الخامس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الاجتماعي:

الجانب الاجتماعي من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإنسانية للفرد، فالإنسان لا يستطيع أن يكوِّن شخصيته المستقلة وذاته الخاصة إلا من خلال الاتحاد مع الجماعة، والوعي المستمر بها حتى يكمل له بناء نفسه، ونمو ذاته، فالشخصيات تُبنى على النَّمط الذي يرسمه لها المجتمع، والإنسان لا يعدو إلا أن يكون نتاجاً للتفاعلات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها في البيئة من حوله، فيقوم الفرد من خلال تفاعله الاجتماعي بتشرُّب ما يجده من الآخرين.

و" يشكل البناء الاجتماعي جانباً مهماً في التربية الإسلامية؛ إذ الفرد لا يمكن أن يحيا حياة سوية مستقيمة دون أن يعيش في مجتمع يلجأ إليه ويشعر بالأمان في كنفه...، كما أنه لابد لنا من الاعتناء بالجانب الاجتماعي لأننا نستهدف إخراج فئة من الشباب يكون لهم تأثير في مجتمعاتهم، ويسهمون في بنائها وتوجيهها الوجهة السليمة، وما لم يملك هؤلاء الخبرات والمهارات الاجتماعية، وما لم نضع ضمن أهدافنا الاعتناء ببناء الجانب الاجتماعي لديهم، فلن يستطيعوا تحقيق التغيير الذي تتطلع إليه مجتمعاتهم"(١).

ولصلاح قلب الإنسان، أثر كبير وبالغ في بناء وتنمية الجانب الاجتماعي من شخصيته، حيث يجعله يعيش في البيئة الاجتماعية، يحيا فيها، متفاعل معها، ويؤثر فيها، ويتأثر بها، ويأنس بها، وينتفع منها، ويقوم بالواجبات والمسؤوليات المنوطة به نحو نفسه وأسرته ومجتمعه.

---

(١) الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، ١٧١.

المطلب الأول: تعريف الجانب الاجتماعي:

مفهوم الجانب الاجتماعي: المجتمع في اللغة من "(جمع) الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء. يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً. والجُمَّاع الأُشابَةُ من قبائلَ شتَّى"[(١)]، "(جمع) جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً ..، وتجمَّع القوم اجتمعوا أَيضاً من ههنا وههنا ..، والمَجْمَع يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه"[(٢)].

و"(المجتمع) موضع الاجتماع، والجماعة من الناس"[(٣)].

"ويمكن أن نعرف النمو الاجتماعي: بأنه مجموعة التغيرات التي تطرأ على الفرد في اتصاله بالبيئة الاجتماعية، وتكسبه العادات والعرف والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، ومع أنه يستطيع أن يكون اتجاهات ويتخذ مواقف خاصة به إلا أنه لا يستطيع إشباعها إلا في إطار التراث الاجتماعي والثقافي لمجتمعه.

وبذلك فإن النمو الاجتماعي يتصل اتصالاً وثيقاً بتكوين سلوك الفرد، وطرق تعامله مع الآخرين ونوع علاقاته معهم، وأساليب تصرفه تجاه مختلف المواقف والمشاكل التي تجابه في الحياة، ونوع مركزه في المجتمع، ودوره فيه كعضو صالح"[(٤)].

إذاً فالتربية الاجتماعية هي مجموعة النظم والأعراف والقيم المنظمة لسلوك وتصرفات أفراد المجتمع بما يحقق مصالحها المشروعة دون أن تنال من مصالح الآخرين، وتتحقق من خلال إعدادا الفرد إعداداً اجتماعيا من خلال تقوية، وتنمية القوى المسئولة عن جعله إنساناً قادراً على بناء علاقات سوية مع الآخرين، وجعله كذلك متقبلاً من قبل الآخرين، ونقله من الحياة الفردية إلى الحياة الجماعية. إن هذه القوى تتمثل بتنمية الشعور بالثقة

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "خلق"، ١ / ٤٢٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "جمع" ٨ / ٥٣.
(٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "جمع"، ١ / ١٣٦.
(٤) الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص٧٦٦.

بالنفس والقدرة على الاستقلالية الفردية واتخاذ القرار بجرأة، والانفتاح على الآخر وتقبل الآخر، وتطوير الشعور بالانتماء والولاء بمختلف مستوياته سواء للأسرة أو الوطن أو الأمة من أجل التأكيد على وضوح الهوية، وكذلك استشعار ضرورة العمل والمواظبة والمبادأة من أجل زيادة الإنتاج والإنجاز.

وتنمية الجانب الاجتماعي تتم عن طريق تنمية الروح الاجتماعية، ومساعدة الفرد على بناء علاقات اجتماعية ودية مع الآخرين، والتركيز على الروابط التي تعمل على تلاحم المجتمع المسلم وترابطه، وإكساب الفرد القدرة على التكيف مع القيم والعادات والتقاليد والأعراف الإيجابية ، ودعم مؤهلاتهم وزيادة قدراتهم لتحمل مسؤولياتهم في إنماء حياتهم الشخصية بالجهد المتواصل المستقيم، ليصبحوا جديرين أن يندمجوا اندماجا نشطاً في الجماعات التي تؤلف المجتمع الإنساني، وينفتحون على الحوار مع الغير، ويسهمون من كل قلبهم في تحقيق الخير العام.

فالتربية الاجتماعية إذن هي تربية الشخص الإنساني من خلال تفاعلات عديدة ومتبادلة بين مؤسسات المجتمع، تهدف إلى إعداد الكائن الاجتماعي الإيجابي ليكون عضوا فعالا داخل المجتمع، ويسهم في بناء أمة عظيمة .

المطلب الثاني: أهمية الجانب الاجتماعي:

يعد الجانب الاجتماعي من جوانب مكونات الشخصية، لأن سلوك الفرد وتصرفاته ومعاملاته ما هي إلا نتاج لتفاعل استعدادات ومكونات الفرد الداخلية مع عوامل البيئة الخارجية والاجتماعية، وعن طريق هذا التفاعل يتحقق البناء والتعمير .

والجانب الاجتماعي يأخذ أهميته ومكانته في كثير من آيات القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الماعون: ١ - ٧، فهنالك ترابط بين العقيدة الإسلامية السليمة، والواجب الاجتماعي، حيث جعل الإسلام الحرص على نفع الآخرين أساساً يبنى عليه تقييم الإنسان ويحدد بموجبه جزاؤه .

وفي إطار الحديث عن أهمية السلوك الاجتماعي في الإسلام وبيان أثره على الفرد والجماعة ، وأن ذلك من سمات المؤمنين، أصحاب اليمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد: ١١ – ١٨.

واهتم هذا الدين الحنيف بالجانب الاجتماعي لدرجة أنه يقرن بين عدم الإيمان بالله وإهمال هذا الجانب في كون كل منهما مصدراً للشقاء، عَن أَنَس، أن النبي ﷺ قال : « ليس المؤمن الذي يبيت شبعان وجاره طاو »[1].

---

[1] مسند البزار، ح ٧٤٢٩، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٤/ ٢٦. وقال الهيثمي : وإسناد البزار حسن، مجمع الزوائد ١٦٧/٨.

وأقام الإسلام مجتمعًا متكاملاً، تمثل في أقامه الرسول أول مجتمع إسلامي في المدينة النبوية، تكوَّن وتربى على الإسلام فبنى الفرد المسلم، الذي كان أساسًا لبناء المجتمع المسلم الصالح المترابط الذي يسير على منهج الله سبحانه وشرعه، فذلك المجتمع الذي رباه الرسول الكريم ﷺ، فهو المجتمع المثالي لأي مجتمع.

والفرد الإنساني بطبعه اجتماعي، ولا وجود له بذاته دون غيره، ولا يستطيع أن يعيش دون جماعة إنسانية، يقتبس منها حقيقته وطبيعته، وما يحقق له استمرار وجوده في الحياة بتفاعله مع الآخرين في وسط جماعي.

يقول الإمام الشاطبي: "فإن الواحد لا يقدر على إصلاح نفسه، والقيام بجميع أهله، فضلاً عن أن يقوم بقبيلته... فجعل الله الخلق خلائف في إقامة الضروريات العامة"[١].

القدرات والمواهب لا يمكن ظهورها وممارستها إلا من خلال التفاعل الاجتماعي، فالبيئة الاجتماعية هي الميدان لنمو القدرات والاستعدادات الوراثية عند الإنسان، فملكات الإنسان ومواهبه الموروثة لا تنمو، ولا تظهر إلا في البيئة الاجتماعية.

العامل الاجتماعي له دور في تكون السلوك الإنساني في جوانبه المختلفة، الأخلاق والقيم مبثوثة في كيان الإنسان، لا يمكن أن تظهر دون وجود أشخاص آخرين يتفاعل معهم هذا الفرد، وكذلك وضبط توجهها مرتبطة بالدرجة الأولى بالبيئة الصالحة المناسبة، التي تساعدها على النمو والازدهار، ويجد فيها المتربي مجالاً خصباً للممارسة والتطبيق.

إن الجانب الاجتماعي من أهم جوانب الحياة لدى المسلمين وعليهم مراعاة السلوك الاجتماعي لإسلامي فيما بينهم إذ لا يوصف المجتمع بأنه مجتمع إسلامي بدون الالتزام الأمين بأنماط السلوك التي أمر بها وحض عليها هذا الدين القويم ، ففيها المنهج الصحيح الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه في حياته كلها .

---

[١] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، ٤ / ٤٠٥.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب الاجتماعي:

فَطَرَ الله تعالى الإنسان على أن يكون اجتماعياً بطبعه، يكره العزلة والانفراد، ويحب الجماعة والاجتماع، إلا أنه لابد لهذا الاجتماع الإنساني من نظام يحكمه، ويدير شؤونه، وينظم تفاعلاته، ومن هنا فقد أقام الإسلام نظامه الاجتماعي على الإيمان بالله تعالى، الذي يعمُر القلب بحب الله تعالى، والخضوع له وعبادته، والسير على شريعته الغراء، التي يحتكم إليها المجتمع، ويسيرون على نهجها، وينضبطون بأحكامها.

وعندما يستقيم قلب الإنسان على شرع الله ومنهاجه فإنه يثمر جميل الأثر في جانب حياته الاجتماعية مع الآخرين، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

- تحقق أعمال القلوب الفاضلة في قلب الإنسان، كالصدق، والأمانة، والرحمة، والصبر، والحلم، والإيثار ونحوها، لها دور في تحقيق الاستقامة والانضباط الاجتماعي، وتجعل الإنسان يسير على أفضل السلوك في تعامله مع غيره، وفي جوانب حياته الاجتماعية كلها، ولما سار المسلمون الأوائل معتمدين في نظامهم الاجتماعي على هذه الأصول والتعامل بالأخلاق، ازدهرت حياتهم، ونهض عمرانهم، ومكَّن الله لهم في الأرض، حتى ظهروا على أمم الأرض، فحكموا الدنيا، وظهر الحق، وخنس الباطل.
- صلاح القلب يجعل الأمراض القلبية تختفي من المجتمع كالحسد، والحقد، والضغينة، والغش، والأثرة، والبخل، والخداع، والخيانة، وكذلك ما يترتب عليها من الغيبة والنميمة، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والاعتداء على الآخرين، والغش، والكذب، والخيانة، وشهادة الزور، والظلم، والبغي والعدوان، وغيرها من الآفات التي لها أثر سيئ في تفكك المجتمع وتنافره وانحلاله.

كما أنه يحقق سلامة المجتمع وطهارته من الآثام، والفواحش والخطايا، ومختلف الجرائم ، لتشبع القلوب والنفوس بقيم الإسلام وتعاليمه، مما يسهم في على سلامة المجتمع وطهارته ورقيه.

- تحقق مراقبة لله ﷻ في قلب الإنسان المؤمن تجعله يتحمل كافة المسئوليات الاجتماعية التي تفرضها عليه طبيعة الحياة الاجتماعية، وتُلزم بها الأفراد، فيتحمل المسئولية تجاه نفسه، وأسرته، من: النفقة، والقوامة، والرعاية، والتربية، وتجاه المجتمع العام: من احترام نظام الدولة، ومراعاة الآداب العامة، والتلطُّف بالقرابة والصداقة والجيرة، وإتقان العمل والصنعة، وغير ذلك.

- عندما يصل الإيمان إلى أعماق قلوب الناس، يدفعهم إلى التخلي عن النعرات الوطنية والقومية الضيقة، والتعصب للقبيلة والعشيرة، الذي يضعف الأخوة الإيمانية، ويفكك الروابط الاجتماعية، إلى أن يكون ولاء الإنسان لدينه وللمتمسكين به من أفراد المجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المائدة: ٥٥ - ٥٦، وتجعل الإنسان يعيش مترابطاً مع إخوانه المسلمين، مهتماً بأحوالهم، عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﵁ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[١].

- وصلاح القلبي يعمل على توثيق التعاون والترابط والإيثار بين المسلمين، ويشيع بين المسلمين جوًّا من المحبة والمودة والرحمة، فيتحقق التكافل الاجتماعي، بمساعدة الفقير والمسكين والضعيف وذا الحاجة، واليتيم والأرملة، مما تقضي على الأنانية بين الناس، وتزيل الكراهية من النفوس، وتساعد على التعاون على البر والتقوى، فينشأ الجميع على حب المجتمع، والتفاني من أجله ، ويحبه الناس ويذكرونه بالخير.

- صلاح القلب يحقق العدالة الاجتماعية بين المسلمين، والمساواة بين الناس، عندما يتواضع الناس لبعضهم، فلا يتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم وأشكالهم

---

[١] صحيح البخاري، ح ٥٦٦٥، كتاب الآداب، باب رحمة الناس والبهائم، ٢٢٣٨/٥.

وألوانهم، وإنما أساس وميزان التفاضل التقوى والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣، وقال رسول الله ﷺ: « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى »[١].

- وصلاح القلبي ينمي الآداب الاجتماعية التي تحقق سلامة بنيان المجتمع المسلم، وتسهم في ترابطه وتعاونه مثل: إفشاء السلام، وصلة الرحم، وبر الوالدين، والأخوَّة، والتزاور، والإصلاح بين الناس، والتواضع، والنصح للمسلمين، وحسن التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم، وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي.
- تنمية الشعور بالمسؤولية الدعوية نحو المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد، والأخذ بيد المفسدين « فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[٢]، وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ »[٣].

---

[١] مسند الأمام أحمد، ح٢٣٥٣٦، ٤١١/٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح٢٧٠٠.

[٢] صحيح البخاري، ح٢٣٦١، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ٨٨٢/٢.

[٣] سنن ابن ماجة، ح ٢٣٧، باب من كان مفتاحا للخير، ٨٦/١. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح ١٣٣٢.

المبحث السادس : أثر إصلاح القلب في بناء الجانب الجسمي :

للجانب الجسمي أهمية بالغة في بناء الشخصية المسلمة، فهو الدعامة الأولى في الشعور بالرضى والسعادة، وتحقيق الآمال والطموحات، ومن العوامل الرئيسية في تنمية القدرات العقلية، وزيادة كفاءة الفرد الخلقية والاجتماعية والتعبدية، وفي عمارة الأرض والرقي بالحياة وتقدمها، والمتأمل في تعاليم الإسلام يجد تشريعاً واضحاً لك ما يعني على الصحة الجسمية، وقد أشاد الإسلام بالقوة الجسدية ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ »[(١)].

فبغير صحة الجسم لا يستطيع الإنسان أن يعمل، ولا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية ويحقق الإنجازات الخيرة الفضيلة، ولهذا يوصي النبي ﷺ باغتنام صحة الجسم قبل مرضه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لرجل و هو يعظه: « اغتنم خمساً قبلَ خمسٍ ؛ حياتَكَ قبلَ موتِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ، وشبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وغِنَاكَ قبلَ فقرِكَ »[(٢)].

ولصلاح قلب الإنسان سواءً من الناحية الحسية والمعنوية، أثر كبير في صحة جسمه وبدنه، وهذا يشمل قوله ﷺ: "أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ"[(٣)].

ويتفق الأطباء الآن بأن مريض القلب يعتبر مريض الجسم كله، وأن صحيح القلب صحيح الجسم كله إلا ما ندر في بعض الجوانب، فصحة القلب دليل على الصحة العامة بالجسم، وكذلك من ناحية صلاح القلب بالإيمان والاستقامة، وخلوه من الأمراض المعنوية الرديئة فإن لذلك أثر في صحة الجسم وهذا ما سوف يتطرق له هذا المبحث.

---

(١) صحيح مسلم، ح ٢٦٦٤، كتاب القدر، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز، ٢٠٥٤/٤.

(٢) مستدرك الحاكم، ح ٧٨٤٦، كتاب الرقاق، ٣٤١/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح١٠٧٧.

(٣) صحيح البخاري، ح ٥٢، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ٢٨/١.

المطلب الأول: تعريف الجانب الجسمي:

الجسم لغة: من "(جسم) الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجسم كلُّ شخصٍ مُدْرَكٍ"[١]، و" الجِسْمُ جماعة البَدَنِ أو الأعضاء من الناس ..، وجُسمانُ الرجلُ وجُثْمانُه واحد ورجُل والجِسْمُ الجَسَدُ "[٢].

والجسم: "الجسد وكل ما له طول وعرض وعمق وكل شخص يدرك من الإنسان والحيوان والنبات المعجم الوسيط. و(عند الفلاسفة) كل جوهر مادي يشغل حيزا ويتميز بالثقل والامتداد ويقابل الروح وقد عرفه الجرجاني بأنه جوهر قابل للأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق"[٣].

والمقصود بتنمية الجانب الجسمي: هو الوصول بالفرد إلى الكمال الجسماني، بحيث يكون خالياً من الأمراض والعاهات، وفي حالة يكتمل فيها الشعور بالكفاية البدنية، وإحساس إيجابي بالنشاط والقوة والحيوية، مع رصيد من الصحة تمكِّنه من التغلب على المرض إذا ما انتابه، ورعاية الحواس الخمس، المتمثلة بالسمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق، والاهتمام بكل ما يحقق النمو السوي للفرد، والمحافظة على أجهزة الجسم وطاقاته، وتوجيهها وتنميتها، واستخدامها استخداماً يعود علي الإنسان بالخير في دنياه وأخراه، ويحقق الهدف الأساسي الذي وجد الإنسان من أجله على الأرض، وهو عبادة الله ﷻ.

ويتم عن طريق تزويد الفرد بالأطعمة الصحية اللازمة لنمو جسمه، وإكسابه قواعد النظافة والطهارة في شتى مجالاتها، وإعطاءه الخبرات الصحية المتعددة الوقائية والعلاجية اللازمة، وتوجيه إلى مزاولة التمرينات الجسدية، مع مراعاة كل ما يؤثر في كيان البدني، بحمايته من كل ما يضره بإبعاده منه، وألزمه بكل ما يُفيده ويقيم بدنه وصحته بتوجيهه إليه.

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "جسم"، ١ / ٤٠٧.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "جسم"، ١٢ / ٩٩.

[٣] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: "جسم"، ١ / ١٢٢.

المطلب الثاني: أهمية الجانب ا الجسمي:

الجانب الجسمي بكل مظاهره، جانباً من جوانب الطبيعة الإنسانية المتعددة الأبعاد، وجانباً رئيس في بناء الشخصية الإنسانية، وصحته المنشودة تكمن في قوة الجسم، وسلام البدن، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط.

ولأهمية الجانب الجسمي من الإنسان جاء الإسلام بمبادئ تكفل الصحة العضوية أو الجسمية للإنسان، كالأمر بالقوة والنهي عن العجز « الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز »[١] .

واهتمّ الإسلام ببناء الجسم وحمايته من كل ما يؤدّي به إلى الضعف والانحطاط وتبديد طاقته، وأمر بالسعي في سلامته وعلاجه من الأمراض، وحمايته من الآفات، وما ذلك إلا لتمكين البدن من القيام بالعبادات الدينية، والواجبات الشرعية، وعمارة الأرض على منهج الله تعالى، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ »[٢]، وفي وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يوردن ممرض على مصح »[٣].

وجاء الأمر بالتداوي لما له من أثر كبير في دفع البلاء، وتحقيق الشفاء، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى قَالَ ﷺ:« نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً » [٤].

وسعى لإبعاده عن الشهوات المحرمة التي تهلك جسمه، وتهدر كل طاقاته وقواه البدنية، وتعرّضه للإعياء والمرض، وأكّد على منعه من استعمال كل ما يجلب له الضرر، والفتك

---

[١] صحيح مسلم، ح ٢٦٦٤، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ٢٠٥٤/٤.

[٢] سنن أبي داود، ح ٣٧٢٨، كتاب الأشربه، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه، ٣٣٨/٣، صححه الألباني، صحيح أبي داود، ح ٣٧٢٨.

[٣] صحيح البخاري، ح ٥٤٣٧، كتاب الطب، باب لا هامة، ٢١٧٧/٥.

[٤] سنن الترمذي، ح ٢٠٣٨، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ٣٨٣/٤، وقال: وهذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح ٢٠٣٨.

بقواه وطاقاته، كالمسكرات والمخدرات وأكل الأطعمة الضارة، ليحفظ للإنسان قدراته وقواه فأمره بالحفاظ على الجسم، ومدّه بحاجاته الضرورية لبقائه، واستمرار وجوده، قال ﷺ: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا »[1] ، ونظم ذلك كله بواسطة تشريعاته وقيمه الأخلاقية، وبهذا المنهاج التشريعي جنّب الإسلام الجسم الإنساني من مخاطر التمزّق والانهيار الصحّي.

ويظهر أهمية الجانب الجسمي للإنسان بما يلي:

- الجسم مَرْكَب كيان الإنسان الكلي، ووسيلته المهمة للقيام بأعباء التكاليف الشرعية من العبادات، والمعاملات ونحوهما، فصلاحه صلاح للدين، فالصلاة مفتقرة إلى الجسد في الطهارة والحركة، وكذلك الصيام والحج والعمرة كل هذه العبادات ونحوها مفتقرة إلى قوى الجسد السليم، القادر على القيام بأعباء التكاليف المفروضة، والاستزادة الوافرة من نوافلها المستحبة والمندوبة.
- هناك علاقة قوية بين صحة الجسد من جهة، وبين العمليات العقلية المختلفة من جهة أخرى، فمن أعظم قوى البدن أهمية لتنمية مواهب الإنسان العقلية هي الحواس؛ لأنها وسائل المعرفة، فالعقل إنما يستمد المعارف من العالم المحيط به بواسطة الحواس فالحواس روافد العقل من المعرفة، فإن عجزت أو ضعفت عن ذلك، قلّت بقدر ضعفها وعجزها معارف الإنسان وعلومه، ومن هنا تظهر أهمية الرعاية الصحية العامة لقوى الإنسان الجسمية، والرعاية الصحية الخاصة لقوى الحواس: السمع، والبصر، واللمس، والذوق، والشم؛ لكونها روافد معرفة الإنسان للمادة العلمية، ووسيلته لنمو مواهبه العقلية، وملكاته الذهنية التي خصَّه الله تعالى بها.
- الجسم وعاء الطاقة الحيوية العاملة النشيطة التي تُعمِّر الأرض، وتستخرج كنوزها، وتستغل طاقاتها، فالبدن القوي يمكِّن صاحبه من الإنجاز، والأعمار، والسعي في الأرض لطلب الرزق، واستخراج خيراتها وبركاتها، ولهذا جاءت الشريعة المباركة بأهمية إصلاح الأبدان.

---

[1] صحيح البخاري، ح ١٨٧٤، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ٢/٦٩٧.

المطلب الثالث: دور صلاح القلب في بناء الجانب الجسمي:

لصلاح القلب واستقامته، أثر كبير في بناء جسم الإنسان والمحافظة علية وتوجيه قواه نحو ما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

- عندما يعمر قلبَ الإنسان الإيمانُ فإنه يجعله يحافظ على بدنه، وابتعاده من الإقدام على الانتحار، الناتج عن القلق والشك وفقدان الإيمان بالمبادئ ، فصلاح قلب الإنسان تجعله يستشعر المسئولية بالمحافظة على جسمه والبعد عن كل ما يهلكه ويمرضه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، فلا يقدم على الانتحار لأن الانتحار يقوم على إعدام الصحة والحياة، وجعل الإسلام عقاب الانتحار العذاب الدائم في الآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »[(١)]، ومن ينظر إلى حياة من فقد الإيمان وكيفية ارتفاع نسبة الانتحار في أوساطهم، " والشواهد كثيرة عن نتائج الفراغ النفسي الذي يشعر به الكثير من سكان أوربا وأمريكا، فيلجئون للتخلص من أنفسهم بالانتحار والتدمير لا عن حاجة مادية، أو نقص في الرعاية الاجتماعية، أو تدهور في الحالة الصحية، لا، بل عن وجود فجوة من الفراغ النفسي داخل نفوسهم لم يستطيعوا ملأها وسدها، لأنهم لم يهتدوا للإسلام ليزودهم بها"[(٢)].
- صلاح قلب الإنسان تجعله يلتزم بما أمره الله ﷻ به، مما يعتبر من مبادئ التربية الصحية، كالالتزام بالطّهارة والنّظافة؛ لانّ الأوساخ والقاذورات هي مكمن الجراثيم والميكروبات، ومصدر لكثير من الأمراض والعلل الجسدية، لذا شرّع الإسلام الطهارة

[(١)] صحيح مسلم، ح ١٠٩، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ١٠٣/١.

[(٢)] يالجن، مقداد، والقاضي، يوسف، علم النفس التربوي في الإسلام، ١٨٦.

والنظافة، وأوجب على الإنسان الإبتعاد عن النجاسات التي تعتبر مصدر خطر على الصحة، بالأمر بالاستنجاء، وكذلك الاغتسال بصفة عامة، والغسل بعد الجنابة بصفة خاصة، وكذلك أهمية الوضوء، ونظافة الثياب وتقليم الأظافر.

- وصلاح قلب الإنسان واستقامته يجعله يبتعد عن كل المحرمات التي حرمها الإسلام والتي لها ضرر بالغ على البدن، مثل أكل لحم الخنزير، ولحوم الحيوانات المتوحشة، والأغذية الضارة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ الأعراف: ١٥٧، ومثل الخمور والمخدرات، والمواد المسكرة، لما تسبب من الأضرار والأمراض، وكذلك يجعله يبتعد عن الشذوذ الجنسي والزنا والتصرفات الأخرى غير الصحية الخاصة بالحياة الجنسية كالاستمناء وغيرها، مما يسبب الأمراض التناسلية .

- صلاح قلب الإنسان تجعله يستشعر المسئولية بالمحافظة على جسمه وصحته بممارسة التغذية اللازمة، والالتزام بالسلوك الصحي، ووقاية نفسه من الأمراض وأسبابها، وهذا يقتضي الابتعاد عن المرضى المصابين بالأمراض المعدية وتجنب الأماكن الموبوءة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ »[1]، وعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا »[2]، وقال ﷺ: « لا يوردن ممرض على مصح »[3]، وكذلك العلاج من الأمراض، قَالَ ﷺ:« نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً » [4]، ولولا وجود الدواء وإمكانية

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ٩٧٢٠، ٢/٤٤٣، وصححه الألباني، صحيح الجامع، ح٧٥٣٠.

[2] صحيح البخاري، ح ٥٣٩٦، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ٥/٢١٦٣.

[3] صحيح البخاري، ح ٥٤٣٧، كتاب الطب، باب لا هامة، ٥/٢١٧٧.

[4] سنن الترمذي، ح ٢٠٣٨، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ٤/٣٨٣، وقال: وهذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح ٢٠٣٨.

إصلاح الجسم بعد اختلال نظامه، لتعرّضت الحياة البشرية لاضطراب وانهيار سريع، لما للأمراض من خطر في حصد حياة الأفراد .

- وصلاح قلب الإنسان يحقق له الصحة النفسية والروحية التي تؤدي إلى صحة البدن، " لأن الأعراض النفسية قد تكون سبباً للأعراض الجسمية، فالكبر والحزن والغم كل ذلك قد يؤدي إلى الإصابة بقرحة المعدة، لأن المعدة في هذه الحالة لا تهضم الطعام ومن ثم يلتصق الطعام بجدار المعدة نتيجة عسر الهضم، ثم يحصل الالتهاب في جدار المعدة ثم يؤدي هذا الالتهاب على الإصابة بقرحة المعدة، ولهذا كان خير العلاج لمن أصيب بالقرحة نتيجة لمثل هذه الحالة النفسية هو إزالة مثل هذه الحالات "[١]، فالحالات النفسية تؤثر على الصحة العضوية الكاملة فهناك علاقة "بين الاضطرابات الوجدانية، وبين مرض الطحال ومرض الكسل والخمول، وبين اضطرابات المعدة والكآبة وضيق الصدر. وبين مرض الكلية أو عجز الأمعاء عن القيام بوظيفتها والتراخي أو التباطؤ في السلوك وعقم التفكير وضيق أفقه، وبين مرض الكبد وسوء الظن وضيق الصدر والخشونة في معاملة الناس وبين وجع الركب والتردد، وبين وجع الساق أو القدم وعدم القدرة على الابتكار، وبين الروماتزم والتراخي في تحديد الغرض من العمل والسعي نحوه"[٢].
- وعندما يسلم القلب لمنهج الإسلام في حياته كلها، فإن منهج الإسلام يوجهه لكل ما فيه صحة بدنه، فقد وجه الإسلام بتناول الحاجات الأساسية من المأكل والمشرب وما يحتاج إليه من الأطعمة الطيبة، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ **البقرة:** ١٧٢.

---

[١] يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ٧٩.

[٢] يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية، ٧٣.

وكذلك عدم الإسراف في المأكل والمشرب، لأنه كما أن هناك أمراضاً يصاب بها الإنسان نتيجة نقص الأغذية فإن هناك أمراضاً أيضاً يصاب بها الإنسان نتيجة تناول الأغذية أكثر من حاجة الجسم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١ .

وكذلك يراعي الاعتدال في الأعمال؛ لأن الإفراط في العمل يؤدي إلى الإرهاق والإرهاق ينتج عنه جمله من الأمراض، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ ثَلَاثًا»[١]عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :« فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ[٢] لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى »[٣].

وكذلك قلة العمل أو الكسل ضار بالصحة أيضاً؛ لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الكسل، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ :كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ »[٤].

---

[١] سنن ابن ماجة، ح ٤٢٤١، كتاب الزهد، باب المداومة على العمل، ١٤١٧/٢، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، ح٣٤٣٨.

[٢] والمنبت: أي الذي عطب مركوبه من شدة السير مأخوذ من البت وهو القطع أي صار منقطعا لم يصل الى مقصوده وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به.

[٣] السنن الكبرى للبيهقي، ح٤٥٢٠، كتاب الحيض، باب القصد في العبادة والجهد في المداومة، ١٨/٣.

[٤] صحيح البخاري، ح ٦٠٠٨ ، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل ، ٢٣٤٢/٥.

الخاتمة

وتشمل:

- **أولاً : النتائج.**
- **ثانياً : التوصيات والمقترحات.**

الخاتمة

فبعد تيسير الله عز وجل الذي أعان على إكمال وإتمام هذه الرسالة، ومن خلال فصولها ومباحثها توصل الباحث إلى جملة من النتائج التي تهم كل مسلم يسعى في إصلاح قلبه، وقد انبثقت عن هذه النتائج توصيات تهم كل من له دور في مواطن التوجيه، وميادين التأثير ممن يسعى في إصلاح الفرد والمجتمع، يحسن أخذها في الاعتبار عند، القيام بعملية إصلاح قلوب الناس في شتى الميادين، ومختلف المجالات.

أولاً النتائج:

تتضح نتائج هذه الدراسة من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الذي هدفت إليه وهو: ما منهج التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟ وما أثر ذلك في بناء جوانب الشخصية؟ وتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية أجابت عنها الدراسة:

١. ما القلب وما مكانته وما أنواعه ؟

- أوضحت الدراسة أنه عند القيام بتعريف القلب لابد من النظر إلى الجانب الحسي والمعنوي منه، وأنه شيء متكامل يجمع ذلك كله، سواءً ذلك العضو العضلي، الذي يقع في وسط الصدر مائلاً نحو اليسار، ويقوم بوظيفته الحيوية في جسم الإنسان، أو ذلك القلب المعنوي، الذي هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية.

- بينت الدراسة أن للقلب مكانة عظيمة، وأهمية كبيرة، وذلك لأنه عليه المعول في صلاح الأفراد، واستقامة أحوال المجتمعات، فعندما يتحقق صلاح القلوب، ينعم الجميع بالخير، والسعادة، والمحبة، والوئام، ولأهمية القلب الكبيرة، ومكانته العظيمة، في التربية الإسلامية، حيث تضافرت نصوص الكتاب والسنة في ذكر متعلقات مرضه وصلاحه، مما يبين المنزلة السامية له في الإسلام.

- أوضحت الدراسة أنه من خلال النظر والتأمل في النصوص الشرعية، في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيهﷺ، وكلام أهل العلم في ذلك، يمكن تقسيم القلوب إلى عدة أقسام، باعتبارات متعددة: حيث تقسم القلوب إلى قسمين: قلوب بيضاء، وقلوب سوداء، وباعتبار وصف القلب يوصف بالحياة وضدها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القلب الصحيح أو السليم، والقلب الميت، والقلب المريض، وتقسيم آخر إلى أربعة أقسام: قلب أجرد، وقلب أغلق، وقلب منكوس، وقلب تمده مادتان.

٢. ما مفهوم إصلاح القلوب في التربية الإسلامية ؟

- بينت الدراسة أن مفهوم إصلاح القلب هو: إقامة القلب بتصحيحه، وتسديده، وعلاج أمراضه وحمايته من الفساد، وربما يكون الوضع السابق للقلب صالحاً فينتقل إلى الأصلح، وربما يكون فاسداً فينتقل به إلى الصلاح.

٣. ما أهداف إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

- وضحت الدراسة أن والمنهج الإسلامي وهو يهدف إلى إصلاح قلب الإنسان وتربيته، وتزكيته، يقوم على مرتكزات ثلاث في تحقيق ذلك:
  - حفظ قوته، وتنميته أعماله الفاضلة.
  - حمايته من كل ما يؤذيه، ووقايته مما يفسده.
  - علاج أمراضه، واستفراغ المواد الفاسدة منه.

٤. ما عوامل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

- أبانت الدراسة أن هنالك عوامل أساسية تحقق صلاح القلوب، تتمثل في الإيمان الصادق، والعلم النافع، والعمل الصالح، فهذه الثلاث العوامل مقومات للحياة الطيبة، وأسباب للأمن والطمأنينة، ووسائل للكرامة والفلاح، وبتحقيقها ؛ تصلح قلوب الناس، فتسعد البشرية، وتنعم في حياتها.

٥. ما أساليب ووسائل إصلاح القلوب في التربية الإسلامية؟

- أشارت الدراسة إلى أن الوسائل والأساليب التربوية لها دور كبير في إصلاح القلب، وأن ذلك يتطلب معرفة تلك الوسائل، ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، حتى تحصل الثمار المطلوبة، ومن الوسائل التي لها دور كبير في إصلاح القلب: الدروس العلمية، والمحاضرات الوعظية، والخطب المنبرية، والكتب العلمية، والبرامج الحاسوبية والإنترنت، والإذاعات والفضائيات، والصحف والمجلات، والرحلات الإيمانية.

- ومن الأساليب المؤثرة في إصلاح القلوب: تلاوة القران الكريم وتدبر آياته، والتفكر في مخلوقات الله عز وجل، والذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والتأسي بالنبي ﷺ، والاقتداء بالسلف الصالح، ومجالسة الصالحين، وتذكر الموت، والدار الآخرة، والمجاهدة، والممارسة العملية، والعبرة من الأحداث، وزيارة المرضى، والقبور، وتفقد الأيتام، والمساكين، والأرامل.

٦. ما دور وسائط التربية الإسلامية في إصلاح القلوب ؟

- بينت الدراسة أن وسائط التربية: الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والمجتمع تعتبر أداة هامة جداً في طريق إصلاح القلوب وتنميتها، وتنقيتها من أمراضها وعللها، فهي مصدر لمعرفة كثير من الحقوق والمسائل المتعلقة بمنهج الإسلام في إصلاح القلوب، وهي كذلك ميادين للممارسة العملية في إصلاحها.

٧. ما آثار إصلاح القلوب في بناء جوانب الشخصية ؟

- أثبتت الدراسة إن لصلاح القلب واستنارته بالإيمان، واستقامته على دين الإسلام، أثار طيبة مباركة تعود على الشخصية الإنسانية، في كافة جوانبها ومكوناتها؛ لأن في صلاح القلب صلاح لكافة الجسد، ولكل جوانب الحياة، فالاعتناء بالقلب وإصلاحه يؤثر تأثيراً كاملاً وشاملاً لكل ما يلزم بناءة من نواحي وجوانب الشخصية: الإيمانية، والعقلية، والنفسية، والأخلاقية، والاجتماعية، والجسمية.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

- أن يكون هنالك من أهل العلم من يتخصص في ذلك، ويعقد الدروس العلمية المتخصصة في موضوعات إصلاح القلوب، وعظم الفائدة من هذه الدروس يكون في التنظيم الجيِّدِ، والإعدادِ المسبق، وبذلك تحصل الفائدةُ من هذه الدروسِ .
- عمل جلسة للأولاد في البيت، يكون فيها التذكرة النافعة، والعظة الرشيدة، والآداب الرفيعة، كالتواضع، ومراقبة الله عز وجل، وغيرها، والتذكير بالبعد عن أمراض القلوب، مثل: الحسد، والكبر، والتعالي، والغرور، وغير ذلك من تدارس الموضوعات التي يكون فيها صلاح القلب، وكذلك يجتمع فيها أفراد الأسرة على مائدة القرآن، فإن ذلك يثمر صلاح القلوب، ويجعل الأولاد ملتزمين بالإسلام ومهتدين به، و يتوجهون للدعوة والعلم؛ وتثبت أقدامهم على طريق الطاعة والهداية.
- تكوين مكتبة في المنزل تحتوي على جملة من الكتب المناسبة لأفراد الأسرة، وتحتوي على كتب للأطفال فيها من القصص الهادفة، التي تتناول مواضيع لها أثر في صلاح القلب، مثل: الإخلاص، والتواضع، ومحبة الله عز وجل، كما تحذر من الحسد، والعجب، والكبر وغير ذلك من المواضيع التي لها صلة بالقلب.
- إقامة محاضرات وعظية في المساجد بشكل دوري، تهتم بمجال إصلاح القلوب بطريقة مباشرة من خلال الحديث عن مكانة القلب، وأهمية إصلاحه، وما يتعلق بأعمال القلوب، وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها.
- أعداد خطب جمعة تتناول جملة من موضوعات إصلاح القلوب، وأعمالها، وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها، لتكون مرجعاً للخطباء، يرجعون إليه.
- ينبغي أن يكون من ضمن أهداف المواد الدراسية ما يتصل بتنمية الوازع الديني في نفوس الناشئة، وأن تحتوي المناهج التعليمية والمواد الدراسية، ما يتعلق بتنمية الإيمان في قلوب الطلاب.

- التذكير بما يوقظ القلوب، ويصلحها من خلال الدروس في العلوم المتعددة، والفنون المختلفة، بأن يقيم القائم بتدريسها علاقة بين الموضوع الأساسي وبين ماله صله، وعلاقة وثيقة بصلاح القلب، ويحسنُ عند إيرادُ المسائل، لفت الأنظار إلى مقاصد الأحكام التي لها صله بصلاح القلوب، ولها الأثر الحسن في التربية والتوجيه الحسن، وأكثرُ أثرًا في الإقبالِ على الله جل جلاله .
- توجيه النشاط المدرسي بحيث يؤدي إلى تنمية السلوكيات الطيبة، وأعمال القلوب الفاضلة، وذلك من خلال الآتي:
  - توزيع النشرات والكتيبات التي تحتوي على جملة من الموضوعات الإيمانية، على الطلاب عند حضورهم للمدرسة .
  - تنظيم محاضرات وندوات وأحاديث حول موضوعات إصلاح القلوب الشخصية يحضرها الطلاب وأولياء الأمور .
  - تنظيم دورات علمية للطلاب في موضوعات أعمال القلوب وأمراضها، ووسائل وأساليب إصلاحها، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بإصلاح القلوب.
  - عرض أفلام وثائقية عن الطبيعة، والكون والمخلوقات التي تجلي عظمة الله عز وجل، وإبداع خلقه، وجميل صنعه تبارك وتعالى.

- تأليف الكتب النافعة، التي تتناول القلب وأعماله وأمراضه وطرق إصلاحه بالدراسة بطريقة مباشرة، أو الكتب التي يكون فيها أثر في علاج القلب وتنمية أعماله، مثل الكتب التي تتناول مسائل العقيدة، والأخلاق، والرقائق، والتفكر في آيات الله عزوجل ومخلوقاته، وكذلك الكتب التي تتطرق لمسائل الإعجاز العلمي المؤصل، مع إبراز ماله أثر في صلاح القلب.

- إصدار جملة من الأشرطة الصوتية، التي تحتوي على محاضرات وعظية عن مواضيع إصلاح القلوب، كما يمكن أرشفة الإصدارات السابقة، وإعادة إصدار ما نفد منها؛ لتكون مواد متوفرة في التسجيلات الإسلامية لمن يرغب أن يستفيد منها.
- أهمية وجود مجلات هادفة للأطفال لما لها آثار تربوية، وسلوكية، وقبلها عقدية وإيمانية في النفوس، ولها دور كبير في تنمية قدرات الطفل العقلية، و في تنمية إدراكه، وله أهمية عظيمة في غرس المبادئ والقيم في نفسه، التي تصير المحرك الأساسي له في حياته في مستقبل الأيام.
- إنشاء مؤسسات لإنتاج برامج الكمبيوتر تحتوي على مواد صوتية، ومرئية، نشر كتب الإلكترونية التي تتحدث عن صلاح القلب، وغير ذلك من المواد التي يكون لها دور في صلاح القلب ونمائه.
- إنشاء مواقع، ومنتديات، ومدونات متخصصة على الإنترنت تحتوي موضوعات صلاح القلب، واستقامته، وتنشر مبادئ وتعاليم الإسلام الصحيحة، وتحتوي على جملة من المواعظ والرقائق التي لها دور صلاح القلب، وتسهم في البناء التربوي الإيماني للشخصية .
- حجب المواقع السيئة، التي تثير الشبهات، والشهوات، التي تميت القلب وتمرضه، وذلك للقضاء على سلبية الإنترنت، وتوعية المستخدمين بأضرار الإنترنت إذا أستخدم استخداماً سيئاً، حيث يؤثر على الدين والأخلاق، ويؤدي إلى انتشار الفساد، والرذيلة، والجريمة في المجتمع، وأن ذلك يخالف الوازع الديني الذي أكسبه الله في قلوب المؤمنين، بل ويقضي عليه.
- إيجاد المادة الإعلامية الناجحة من خلال عروض ومشاهد تربوية تبني القلوب وتصلحها، وتعالج أمراضها.
- إنشاء محطات البث الإسلامية التي لها دور إيجابي في إصلاح القلوب، وتقوية الإيمان، وغرس القيم والمبادئ الإيمانية.

- إنشاء شركات إعلامية، تتبنى المنهج التربوي الإسلامي في الإعلام، وعلى رأسها التلفزيوني الفضائي، وتقدم البرامج، والمواد التي لها دور في إصلاح القلوب وتهذيبها.
- إنشاء مكتبة (سمعية – بصرية) سواء في البيت، أو المدارس والجامعات، تحتوي على المواد والبرامج النافعة التي تبني القلوب، وتزكي النفوس.
- اللوحات الإرشادية، والمجلات الحائطية، ففيها من الأثر العظيم لنشر الكلمة الطيبة، والإعلان الهادف، وتتطرق لعدد من المواضيع الإيمانية المنوعة، ولوحة إلكترونية تعرض فيها عبارات دعوية، والتذكير بالأدعية، والأذكار والسنن.

الفهارس

ويشمل على:

- **فهرس الآيات**
- **فهرس الأحاديث**
- **فهرس الآثار**
- **فهرس المصادر والمراجع.**

فهرس المصادر والمراجع

- الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، دار الراية، الرياض، ط٣، ١٤٢٥هـ.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩هـ.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ .
- الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ، ط١، تحقيق: د. مازن المبارك.
- بدران، عبدالله، الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٣هـ، ط١.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت.
- البلالي، عبد الحميد، منهج التابعين في تربية النفوس، دار ابن حزم، ١٤١٨هـ.
- بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ.
- البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ط١ تحقيق: محمد السعيد بسيوني.
- بيومي، مصلح سيد، الخطابة في الإسلام، مكتبة المجد العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- التميمي، أسد الدين، معجم مصطلحات الانترنت والحاسوب، دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠٠٦.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط٢، ١٤١٦هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣، ط١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ، ط١.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منسك شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤١٨هـ.
- آل تيمية، عبد السلام، وعبد الحليم، وأحمد بن عبد الحليم، المسودة في أصول الفقه، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط١.
- جورج، نوما خوري، الشخصية مقوماتها وسلوكها وعلاقتها بالتعلم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- جوركان، ديفيد، كتابك، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤، الرياض ، ترجمة، فؤاد عبدالعال.
- الجوزو، محمد علي، مفهوم العقل والقلب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
- ابن الجوزي ،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم الهوى، ١٩٦٢م.
- ابن الجوزي ،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، دار اليقين، المنصورة، ط٣، ١٤١٩هـ.
- ابن الجوزي ،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: محمود خاطر.

- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الورقات، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.
- الجيزاني، محمد بن حسين، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض،ط١، ١٤٢٠.
- حبيب، راكان عبد الكريم، وآخرون، وسائل الإتصال، دار زهران، جدة، ١٤١٥هـ، ط٢.
- الحجاجي، حسن بن علي بن حسن، الفكر التروي عند ابن القيم، دار حافظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ.
- الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.
- الحلواني، ماجي، الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢ هـ.
- الخازن، أبو الحسن علي بن محمد الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الخزيم، صالح بن ناصر، وظيفة المسجد في المجتمع، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٩هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢١هـ.
- دكوري، محمد، أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية، غير مطبوعة، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، كتاب اليقين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، العقوبات الإلهية، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ.
- الدويش، محمد بن عبدالله، المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن للنشر، الرياض، ط٤، ١٤٢١هـ.
- الدويش، محمد بن عبدالله، تربية الشباب، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ط٩، تحقيق: شعيب الأرناءوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- الرازي، أحمد بن فارس، حلية الفقهاء، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٧هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، فتح الباري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، مجموعة رسائل ابن رجب، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ذم قسوة القلب، دار ابن رجب، المنصورة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الزركشي، محمد بن عبدالله، أعلام الساجد بأحكام المساجد، مطابع الأهرام، القاهرة، ط٥، ١٤٢٠هـ.
- الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٩٣م.
- زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٦هـ.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، مطبوعات الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- السعدي، عبد الرحمن ناصر، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، دار طيبة، الرياض، ط.١٤١٤.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- أبي السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سفيان، نبيل صالح، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.
- سليمان، عرفات عبد العزيز، ديناميكية التربية في المجتمعات، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- السنن الكبرى للبيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- السنو، خالد بن عبدالرحمن، مكانة الكتب وأحكامها في الفقة الإسلامي، دار البيان الإسلامية، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الديباج على مسلم، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور حسن السلمان، دار ابن عفان، الجيزة، ط١، ١٤١٧هـ.
- الشاطبي، أبو إسحاق، الاعتصام، ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت، د.ط.
- الشريف، محمد بن شاكر، نحو تربية إسلامية راشدة، البيان، ١٤٢٧هـ، ط١.
- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين، مجالس الشيخ الأمين الشنقيطي، مكتبة الشؤون الفنية، الكويت، ١٤٢٨هـ، ط١.
- الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي، في السلوك الإسلامي القويم، دار الفكر، دمشق،ط١، ١٤٠٦هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي، ولاية الله والطريق إليها، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩، ط١، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- آل الشيخ، عبد المحسن بن عبد الرحمن، نظرات في الإصلاح، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٩هـ.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط١٦.
- صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، تحقيق: مصطفى ديب البغا.
- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣، ط٢، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٤ ،١٣٧٩هـ.
- أبي طالب المكي، محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط٣، ١٤٢٦ هـ.
- الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٦/ ٢٦٩.
- ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- عبد الخالق، أحمد محمد، قياس الشخصية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت ط١، ١٩٩٦م.
- عبد القادر، موفق بن عبد الله ، منهج البحث العلمي وكتابة الرسائل العلمية، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٨هـ.
- العتيبي، سهل بن رافع، أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، مطابع جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- عثمان، عبد الرؤف بن محمد، محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، مكتبة الضياء، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٥هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الدمام،ط٤، ١٤٢٤هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، الأصول من علم الأصول، دار ابن الجوزي، الدمام،١٤٢٦هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، إزالة السّتار عن الجواب المختار لهداية المحتار.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الفكر، لبنان.

- العرعور، عدنان بن محمد، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ١٤٢٦هـ، ط١.
- عـزت، محمـد فريـد، وسـائل الإعـلام السـعودية والعالميـة، دار الشـروق، جـده، ط١، ١٤١٠هـ.
- ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.
- العساف، صالح حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح، دار المعرفة، بيروت.
- العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- العصـيمي، تركـي بـن أحمـد، كيـف نخـدم الإسـلام مـن خـلال الإنترنـت، دار المعـراج، ١٤١٢هـ.
- أبـو عظمـة، محمـد نجيـب، الوسـائل التعليميـة وتقنياتهـا، دار ابـن حـزم، بـيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الغامـدي، عبـدالرحمن عبـدالخالق، دور الأسـرة في تربيـة أولادهـا في مرحلـة البلـوغ، دار الخريجي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ص٢٧١.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، منهاج العابدين، دار المنهاج، جده، ط١، ١٤٢٧هـ.
- غنيم، سيد محمد، الشخصية، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- فرج، سيد، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- الفرج، عبد الله مبارك، بناء المجتمع الإسلامي، دار الفرقان ، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- فرغل، يحي هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

- الفوزان، صالح بن فوزان، شرح نواقض الإسلام، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ، ط٤.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، لمصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.
- القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح ،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢هـ،ط١.
- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار أحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ.
- القاضي، عياض بن موسى بن عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- القحطاني ،سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض،ط١، ١٤٢١هـ.
- ابن قدامة المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الكاتب العربي، بيروت.
- القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٧هـ ،ط١.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ، ٣٤٨٥.
- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشرق، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ، ط٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ، ط٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، المنار المنيف، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٣ هـ، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، زاد المعاد من هدى خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الوابل الصيب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ ، ط١، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي.
- ابن القيم، الصلاة وحكم تركها، دار ابن حزم، بيروت،ط١، ١٤١٦هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، إعلام الموقعين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ط٢ .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- كريم، بدر أحمد، نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، دار تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ، ط١.
- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩ هـ .
- لوح، محمد بن أحمد، كيف نعيد للمسجد مكانته؟، دار الخضيري، المدينة المنورة، ط بدون، ١٤١٨هـ.
- مستدرك الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١هـ، ط١.
- مسند ابن الجعد، مؤسسة نادر، بيروت، ط١،١٤١٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١٩٦٧٧، مؤسسة قرطبة، مصر.
- المصري، محمد أمين، المجتمع الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط٤، ١٤٠٦هـ.

- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ط٤.
- المعجم الكبير للطبراني، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤ هـ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- المناوي ، زين الدين محمد عبد الرؤوف، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
- منصور، عبد المجيد سيد؛ والشربيني، زكريا أحمد، الأسرة على مشارف القرن ٢١، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط١٦، ١٣٠٠هـ.
- موسوعة نظرة النعيم، دار الوسيلة، جدة، ط٣، ١٤٢٥هـ.
- موسى، خليل توفيق، الإرشاد معجم معاصر، دار الإرشاد، حمص- سوريا،٢٠٠١م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن ، الأخلاق الإسلامية، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٤٢٩هـ.
- النشمي، عجيل جاسم، طب القلوب، دار الدعوة، الكويت، ١٤١١هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢،١٣٩٢هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، التبيان في آداب حملة القرآن، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.
- النووي، يحيى بن شرف، الأذكار ، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز، دار القلم، بيروت، ١٤١٥هـ، ط١.
- ياجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، دار الريحاني، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

- يالجن، مقداد، مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- يالجن، مقداد، والقاضي، يوسف، علم النفس التربوي في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض،١٤١٨هـ
- ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي .
- أبو يعلى، محمد بن الحسين، العدة، الرياض، ١٤١٠هـ.

دوريات علمية:

- حجّار، طارق بن عبد الله، الفكر التربوي في رسائل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وخطاباته، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٠.
- الضويحي، علي بن سعد، العَقْلُ عند الأصوليين، مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢٠، ص ١٦٥.
- الناغي، إبراهيم الحنفي، الإعجاز النفسي في القرآن، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ،٥/٣٨٥.

مواقع إلكترونية:

- موقع عبد الدائم الكحيل، حقائق تؤكد أن القلب يفكر ويعقل، عبد الدائم الكحيل. http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=840
- عرب نيوز، يقول العلماء للقلب البشري عقلاً خاصاً به، سراج وهاب، ٢٩، سبتمبر، ٢٠١٠، http://arabnews.com/saudiarabia/article150010.ece
- موقع المؤتمر العالمي الثالث لعلوم طب القلب، ttp://www.kingoforgans.com/arabic/main.php .

فهرس الآيات

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ	٥٥	١٤٤
﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ	٦٣	٩٧، ٩٨
الفرقان		
﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ	٣٢	٢٦
الشعراء		
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	٨٨	٦٢، ٦٨، ٧٢
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ	٥٠	٢٩٦
العنكبوت		
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ..	٤٣	٢٩٩
﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ	٤٥	١٤١
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ	٦٩	٢٣٣، ٢٣٤
الروم		
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	٩	٢٣٨
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا	٢١	١٨٨، ٢٥١
لقمان		
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣	٢٣٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ	٣٣	٢٢٨

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

•

تم بحمد الله عز وجل وفضله وتوفيقه